كتاب اليوم

عمر بطيشه

شاهد على العصر

كتاب اليوم

أسسه

مصطفى أمين وعلى أمين

ثقافة اليوم وكل يوم

رئيس مجلس الإدارة :

موسى صبرى

رئيس التحرير :

أمين محمد عدلى

نائب رئيس التحرير :

عبد العزيز عبد الحليم

مدير التحرير :

حسين فريد

العدد ٢٣٢ — ذو القعدة ١٤٠٤ — اغسطس أ ب ١٩٨٤

الإدارة : أخبار اليوم ٦ شارع الصحافة ت ٧٥٨٨٨٨ عشرة خطوط

تلكس دولى ٩٢٢١٥ - محلى ٩٢٢٨٢

الاشتراكات

جمهورية مصر العربية :

قيمة الاشتراك السنوى ٦ جنيه مصرى

البريد الجوى

دول اتحاد البريد العربى والإفريقى	٧,٥٠٠ جنيه مصرى — ١٣ دولاراً امريكياً أو ما يعادله
باقى دول العالم (أوربا والأمريكتين وآسيا واستراليا)	١٥ جنيه مصرى — ١٨ دولاراً امريكياً أو ما يعادله

. سنة شهور

ش الصحافة

٥ خطوط)

أسعار كتاب اليوم

المغرب	١٢٥٠ فرنك
لبنان	٦٠٠ ق.ل
الأردن	٦٠٠ فلس

نال	٦٠٠ فرنك	كندا/أمريكا	٣٠٠ سنت
لا	٥ فلورين	البرازيل	٤٠٠ كروزيرو
ترا	١٠٠ بق	نيويورك/واشنطن	٣٥٠ سنتا
ا	١٠ فرنك	لوس انجلوس	٤٠٠ سنت
	٥ مارك	استراليا	٤٠٠ سنت

فى الخارج

إيطاليا	٢٠٠٠ ليرة
باكستان	٣٥ روبيه
سويسرا	٤ فرنك
اليونان	١٠٠ دراخمة
النمسا	٤٠ شلن
الدنمارك	١٥ كرونات
السويد	١٥ كرون
الهند	٣٥٠ سنتا

عمر بطيشه

شاهد على العصر

الغلاف بريشة الفنان
الأستاذ حسين بيكار

سكرتير تحرير تنفيذى
والرسوم الداخلية ● محمد عفت

هذا البرنامج . . وهذا الكتاب . .

بقلم : فهمى عمر

لا شك أنها شهادة طيبة للاذاعة المصرية ان تحرص مؤسسة أخبار اليوم على تحويل البرنامج الاذاعى (شاهد على العصر) الى كتاب وهى أول تجربة من نوعها فى مصر . . وفى هذا دليل على ان الاذاعة تكسب كل يوم ارضا جديدة تثبت اعلامها عليها ، وسط ثورة الاتصال . .

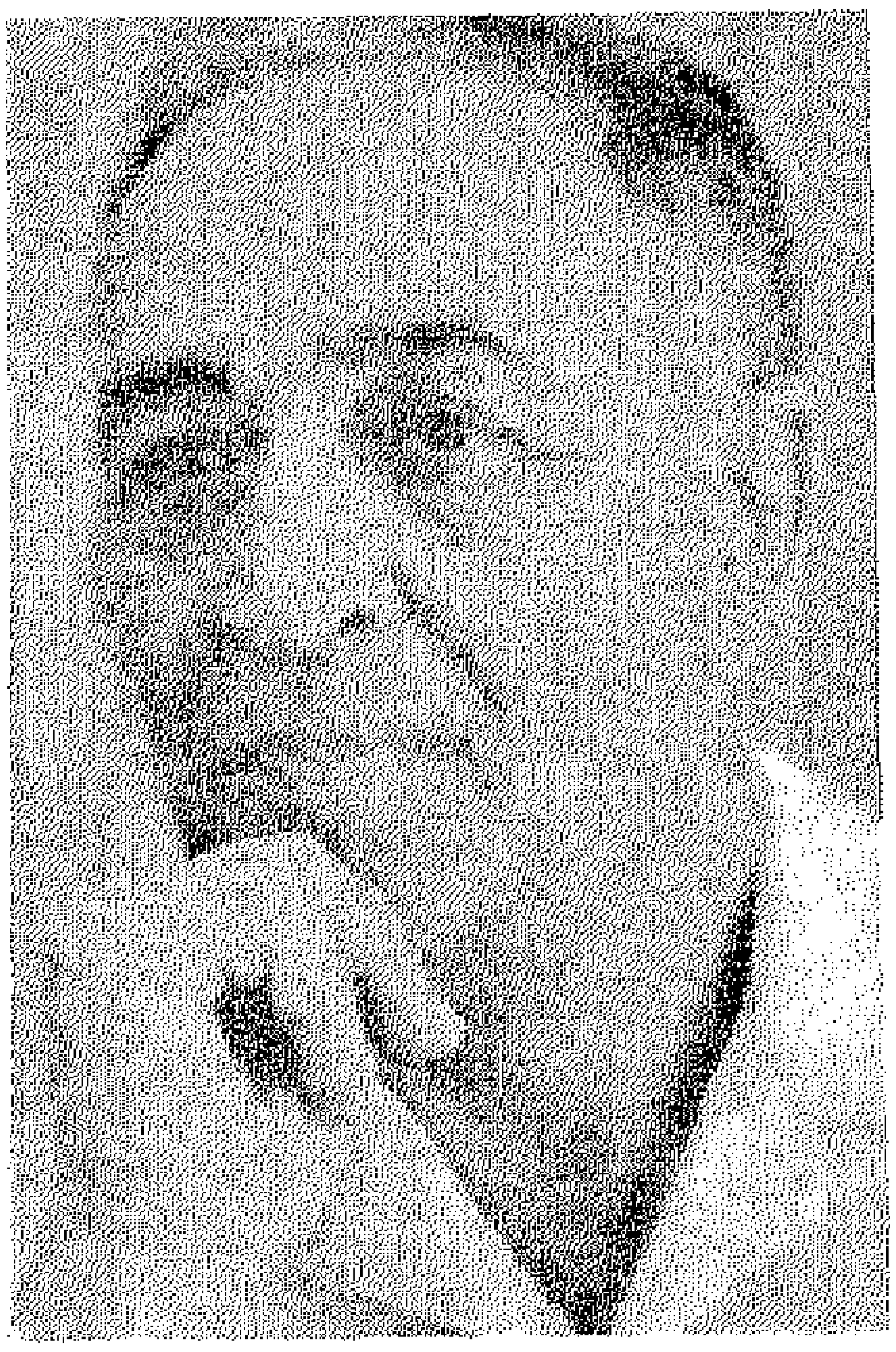

ومن هنا فانى أحيى مبادرة الصديق أمين عدلى خبير النشر المعروف ، لتبنى هذه التجربة باقتناع شخصى بدأ منه كمستمع ، وتلبية لمطلب آلاف الرسائل والبرقيات التى وصلت للاذاعة ودور الصحف ، تطالب باعادة حلقات البرنامج وتطالب بنشرها فى كتاب . .

كما أني أؤكد ان تحول (شاهد على العصر) الى كتاب إنما هو شهادة لمعد البرنامج ومقدمه عمر بطيشة . بأنه محاور كفء استطاع بدأب وصبر وذكاء ان يتعرف على مفاتيح كنوز عقول شهود العصر ويستخرج منها ما اتحفنا به من درر الفكر والعلم والفن . . وعمر هو احد ابنائى الذين تعهدتهم بالتدريب والتنمية والمتابعة منذ التحاقه بالعمل الاذاعى فى بداية الستينات ويسعدنى أنه كان نعم التلميذ .

كما اننى اسعد كثيرا بهذا الكتاب من اجل شباب مصر القارىء المتعطش للمعرفة . . والذى يجب أن تتكامل كل اجهزة الاعلام والثقافة من أجل وصول كل كتاب الى يديه بثمن لا نغلو فيه . . وفى هذا امتداد للرسالة الأصيلة للاذاعة فى تنمية الانسان المصرى الذى نرجو من الله عز وجل ان يجعل كل عصوره نورا وخيرا بإذن الله .

رئيس الاذاعة

فهمى عمر

مايو ١٩٨٤

عمر بطيشة فى سطور :

- تخرج فى قسم اللغة الانجليزية بآداب اسكندرية ، وعمل بالاذاعة منذ عام ١٩٦٤ بمنوعات البرنامج العام .
- حصل على دبلوم الدراسات العليا فى الاعلام من جامعة القاهرة ، وقام بتدريس الكتابة والاعداد والاخراج للاذاعة لطلبة بكالوريوس الاعلام
- صدر له ديوان (الهجرة من الجهات الاربع) عام ١٩٧٠ . وفى الطريق ديوان (أنا بعض آثامك) وكتاب (الشيطان عاريا)
- حصل على الجائزة الأولى لاحسن برنامج حوارى مصرى وهو شاهد على العصر ، الذى يعده ويقدمه فى الشبكة الرئيسية (البرنامج العام) . .
- يعد الآن لجمع مادة الجزء الثانى من شهادات ضيوفه على العصر ، كما يعد دراسة جديدة عن دور الاذاعة المصرية فى تنمية الانسان المصرى ، وكيفية الاستفادة من الاعلام الاسلامى .

★ ★ ★

● المحتـــويات ●

● دكتور زكي نجيب محمود ٧
فلسفة العصر
● مصطفى أمين ٢٣
وخمسون عاما في الصحافة
● دكتور يوسف إدريس ٣٥
شاهد العصر . .
● أحمد بهاء الدين ٤٨
ثورة ٢٣ يوليو . . انقذت مصر من حرب أهلية . . ! !
● نجيب محفوظ ٦١
لو استمر التدهور . .
سيأتى السياح للتفرج علينا بدلا من آثارنا
● دكتور مصطفى محمود ٧٠
لماذا هذه الزوبعة حول نظرية التطور ؟ !
● أنيس منصور ٨١
عصر الضباب وتحطم الآلهة
● دكتور يحيى الرخاوى ٩٤
الحلم والجنون . . والعبقرية
● أحمد حسن الباقورى ١٠٨
. . شاهد له أم عليه ؟ !
● دكتور سيد عويس ١٢٠
. . والكتابة إلى الموتى
● المهندس حسن فتحى : شيخ المهندسين ١٣٤
ومنزل ابيه الذى كل خطوة فيه لها معنى !
● الدكتور حسين فوزى ١٤٢
. . عاشق الحضارات
● دكتور حسين مؤنس ١٤٩
. . وعشق مصر

رقم الايداع بدار الكتب والوثائق القومية ٨٤/٤٠١٧

الترقيم الدولى ٣ - ٠٧٧ - ١٢٤ - ٩٧٧ ISBN

د . زكى نجيب محمود فلسفة العصر

عبور الحدود إلى عالم هذا الرجل ، أشبه بتسلق قمم الجبال . . جهد وعرق ومشقة . . من اجل نتيجة مجزية : نظرة من فوق الى شمولية المنظر عند السفح . إن مجتمعنا يموج بعشرات الظواهر السياسية والثقافية . . والدينية . . وما أحوجنا لكل طاقة نور من كل عقل يفكر ، لنرى اين نحن . . ؟ والى أين . . ؟

إنه الفليسوف كما يسميه تلاميذه ، والأستاذ الدكتور كما يلقبه الأكاديميون ، والناقد المتخصص كما يناديه الأدباء ، ورائد مدرسة الوضعية المنطقية في مصر . . كما تصنفه مؤلفاته ، وراهب الفكر كما تطلق عليه الصحافة . . وهو ايضا شاهد على العصر ، في لقائنا اليوم ، الذى يحلل فيه القضايا ، ويرصد الظواهر ، ويسجل المواقف .

وقبل أن يسمع منى سؤالى الأول طلب التعقيب على هذه المقدمة . .

قال : أقولها بغير تواضع . . أننى لست فليسوفا ، ولا أظن أن الوطن العربى بأسره فيه فليسوف واحد ، بل ان العالم كله لو اشتمل اليوم على فليسوفين أو ثلاثة . . كان ذلك خيرا وبركة .

قلت : فيلسوف وفلسفة كلمتان تخيفان البعض ، بينما يسىء البعض الآخر فهمهما . فلنبدأ أولا بوضع ايدينا على معنى الفلسفة وأنها ليست نظريات مجردة وانما هي فكر خلاق من أجل الحياة وما بعد الحياة . .

قال : لكل عصر قضاياه التى تطرح فى المناخ الفكرى ، فيحاول كل من يستطيع محاولتها من زاويته . المفكر . . الفنان . . الأديب وهلم جرا . . وعصرنا ، وكذلك اى عصر ، رغم التفرق والتشتت الذى يبدو على السطح ، فيبدو الفكر من ناحية والأدب فى ناحية والفن فى ناحية ثالثة ، قد يبدو على السطح أن عالم الفكر وحده مفرق بين عدة زوايا أمام النظر . ولكن ، فى حقيقة الأمر ، يستحيل أن يكون هناك عصر يستحق ان يسمى عصرا إلا إذا كانت هنالك عند الجذور مبدأ أو مبادىء كبرى تضم العصر كله بكل اشتاته ومتفرقاته .

الذى يحفر الأرض الفكرية ليستخرج منها تلك الجذور المشتركة التى منها نبتت شجرة العصر هو الفيلسوف . انه يبدأ منطقيا من المتفرقات الفكرية والفنية والاجتماعية التى تحيط به فى عصره ، ثم يصعد أو يهبط ليستقطب هذه المتفرقات فى الأم الواحدة التى تضمها . فاذا وصل الى مبدأ يفترضه هو انه يتمثل فيه المبدأ أو الام ويرى ان فيه الينبوع الذى تفرعت منه فروع الشجرة بشتى أنواع الوجود والفكر والانسان والأخلاق والجماليات والسياسة . . فهذا هو الفيلسوف . . انه يضع أبصارنا على نقطة واحدة نستطيع جميعا أن نراها . . فنزداد فهما لعصرنا . هذه هى الفلسفة وهذا هو الفيلسوف . .

وإذا ما استهلكت القضايا المطروحة فى المناخ الفكرى وتحول الناس الى قضايا أخرى جديدة ، نكون حينئذ قد استدبرنا عصرا فكريا . . واستقبلنا عصرا آخر يقوم عل جذور أخرى ومبادىء أخرى تحتاج الى فلاسفة آخرين للكشف عن تلك الأصول والجذور . . ومن هنا كان لكل عصر فلاسفته وفلسفته . ولكن طريقة النشاط الذهنى فى النظر الفلسفى واحدة فى كل العصور :

إذن بداية ، وبناء على هذا التعريف الدقيق هل لعصرنا سمات مميزة تصنفه كعصر بين العصور ؟ نعم بغير شك . وبما ان حضارة هذا العصر هى من صنع الغرب ، ونحن وغيرنا ننقل عن الغرب ، حضارته وثمار و آثار هذه الحضارة ونهتدى بها ، سواء رضينا أم كرهنا ، لذلك كان الفلاسفة فى الغرب ، لأن الفكر فكرهم .

●● فلسفة الغرب

وفلسفة الغرب ، التى ننقلها وندرسها ، يمكن التبسيط والقول أنها تنقسم الى اربعة اتجاهات بحسب التقسيم الجغرافى للعالم ، لأن التقسيم الجغرافى يستتبع تقسيما فى الاتجاهات الفكرية . ففى الشمال الغربى من أوروبا يأخذون بتحليل الفكر العلمى ، لاستخراج البنية العلمية والأساس المنطقى الذى تقوم عليه علوم العصور . فيحللون قضايا العلم للوصول الى القضايا الأولية فى العلم .

وفى أمريكا تسود الفلسفة البراجماتية وهى تعنى ان المعيار الحق للتفرقة بين ما هو صحيح وباطل فى الفكرة هو النتائج . كل فكرة تضيف جديدا للدنيا وفائدة بشكل ما فهى فكرة صحيحة ! هى فلسفة عملية تتفق مع عصرهم فى أمريكا .

هذا يختلف مع ما كان سائدا من قبل حين كان المعيار هو الارتداد الى أصول ماضية أقيس عليها الفكرة لأقيمها . فى أمريكا يقولون لا ترتد إلى الماضى ، بل انظر إلى المستقبل بحثا عن المعيار والنتائج التى تتولد عن هذه الفكرة .

●● الوجودية

أما المدرسة الثالثة فتسود غرب أوروبا . . وهى الوجودية . . واساسها حرية الانسان الفرد ، بمعنى انه يصنع نفسه بقراراته وارادته الحرة . فبقدر ما هو مؤلف قراراته وصاحبها بقدر ما هو حر . . وبقدر ما هو انسان على الاطلاق . هذه المدرسة رد فعل للعالم الصناعى الذى يسود هذا الزمن ، حيث يفقد الانسان ذاته أمام الآلات

ولا يستطيع إلا أن يراقب ويقوم بدور ضئيل متكرر لا يحيط بالبداية والنهاية للعمل ككل . . فجاءت الوجودية تتيح للانسان مجال خلق الذات بالقرارات الخاصة . وقد أثرت هذه المدرسة على الفن مثلا ، فنجد أن اللوحة فى يد الفنان لا يسأل عن انطباقها على أى واقع وانما فقط على ما فيها من تكوين وتركيب والوان وخطوط ، فاستقل الفنان بنفسه عن أى شىء يملى عليه كيف تكون لوحته . وهذا ايضا انتشال للفردية الانسانية من الغرق فى العصر الصناعى .

●● المادية الجدلية

الاتجاه الرابع هو المادية الجدلية التى تتركز فى شرق أوروبا . . وهى تقول باختصار ان التاريخ هو عبارة عن انعكاس للنظام الاقتصادى السائد .

هذه المدارس الفلسفية الأربع ، على اختلافها الشديد كما تبدو ، تتفق مع أم واحدة مشتركة هى أن المهم هو الانسان فى هذا العالم . . كيف يعيش وكيف ينبغى أن يعيش ، وليس مهما اطلاقا البحث فيما وراء هذا العالم بل كل ما يعنينا هو الانسان هنا . . والآن .

●●●

نحن فى مصر ننقل هذه الفلسفات مع نقلنا للعلم والفكر والفن الأوروبى . . فما ندرسه فى اقسام الفلسفة بجامعاتنا هو الفلسفة الغربية ، بالاضافة الى الفلسفة الاسلامية التى كانت ولم تعد موجودة الآن . فقد تألفت هذه الفلسفة حين كانت الحضارة مصدرها المسلمون . . ولكن نحن مع نقلنا لهذه الأجنحة الفلسفية الأربع اضفنا لها ما يسمى بالفكر الدينى . . نحن متدينون بحكم عقيدتنا أعمق تدين شهدته الدنيا حتى الآن ، وهنا على سبيل اليقين وليس على سبيل المبالغة . لأن مصر عاشت على الأقل ستة الآف سنة حضارات محورها الدين . . فهذه الفترة الطويلة فى احضان العقيدة الدينية لابد أن تترك طبقات جيولوجية فى ثقافة الانسان المصرى . فالمصرى وديع مهذب وفيه عذوبة تميزه عن كل اخوانه العرب فيما أعتقدلأن الدين يرقق الطبع . اجتاز الانسان المصرى أربع حضارات هى الفرعونية

واليونانية الرومانية والمسيحية والاسلامية ، وهو يخوض الآن الحضارة الخامسة التى هى حضارة الغرب . وهنا تأتى المحاولة لأضافة الجناح الدينى الى الفلسفات السائدة فى هذا العصر بمعنى أنه لا بأس من قبولها جميعا ولكن كما لو كان لسان حالنا يقول بشرط أن نضيف جناحا خامسا وهو انه لابد الى جانب هذه الفلسفات التى تهتم بالانسان هنا والآن فلابد ان اتصور ان للانسان حياة اخرى هى امتداد لهذه الحياة وحساب عليها . .

● ● ●

وماذا لو دخلنا مجال تطبيق هذه الفلسفات وحاولنا ان نرصد آثارها فى حياة العصر . . ماذا نجد ؟

الذى يتمناه الدكتور هو الاخذ بكل هذه الاجنحة وعدم التفرق والاختلاف حولها . . لأن كلها مفيدة . . فتحليل العلم يقدم معيارا للصدق فى الوضعية المنطقية أو التجريبية العلمية وهى ما أخذت بها أنا ، لأنى وجدت أنها أهم ما ينقص مجتمعنا العربى ، لأننى وجدت أننا نقول كلاما فى اغلب المواقف ، ولسنا على استعداد لاثبات انه صحيح ، حيث تجرفنا الرغبة فى رنين اللفظ وجرسه ، فنراعى هذا الصقل اللفظى قبل ان نراعى وجود معنى علمى أم لا حتى فى مجالات العلم !

● أيضا المدرسة البراجماتية تلزمنا جدا . .

قدم لى وزير ما فكرة ما أطلب منه أن يذكر لى نتائجها واحكم عليها بنتائجها على سبيل التخيل العلمى وهو شىء اشبه بدراسة الجدوى . .

الوجودية بمعناها الحقيقى الذى يعنى ان الانسان حر ومسئول فى نفس الوقت عن قراره هى شىء من صميم الفكر الاسلامى . . فالانسان فى الاسلام مسئول عما يفعل أمام الله عز وجل . .

أما المدرسة المادية التى تعنى بالقاعدة الصناعية رغم مبالغتها ، فانها تفسح الطريق أمام التطوير . . مثلا تطوير الزراعة والفلاح بالميكنة الزراعية يخلق انسانا آخر على مدى للزمن فيه ضبط الزمن وللآلة هكذا . .

هذه الفلسفات هى فى واقع الأمر تنظيم لطريقة التفكير ، غاية ما فى الأمر أنها تبتعد وتقرب من الواقع أحيانا . .

● ● ●

•• الحركة الثقافية فى مصر

هذا عن الفلسفة ! وماذا عن الحركة الثقافية فى مصر ؟ . . الواقع أن أهم ما يلاحظ ظاهرة واضحة فى مصر أكثر من أى شعب آخر . . اذا تتبعنا المسار بنظرة طائر منذ القرن الثامن عشر وقبل الحملة الفرنسية التى فتحت الباب على حضارة اوروبا كان العلماء فى الازهر متجانسين مع الشعب . . لم يكن الشعب بدنا والعلماء رأسا منفصلا . . كانوا متصلين بقوة . . وكان عالم الأزهر يذهب بعد تخرجه الى القرية ويختلط بالناس . . ولكن بعد وصول وانتشار الثقافة الأوروبية الجديدة ، خصوصا فى اواخر القرن الماضى وجدنا انفسنا امام فئة أو جماعة المثقفين المنفصلة عن بقية الشعب والمنشغلة بقضايا أدبية وفلسفية وفنية بعيدة عن واقع الناس وقضاياهم الحقيقية . . فقد كانت قضيتهم أشبه بالكرة بين أقدام اللاعبين فقط ، أما الشعب فلم يكن يشارك . . ولذلك لم يكن لهؤلاء المثقفين الا أقل الأثر فى كتلة الشعب . . وتغيروا هم من حيث هم أفراد ، وكل منهم أصبح فردا احسن بما عرفه ودرسه ، ولكن لم تنتقل هذه الحسنات التى اكتسبوها كأفراد لتكون صفة من صفات جمهور الشعب . كان ينبغى ان يتسلل الكثير مما قالوه الى الشعب ليخلق فيهم ذوقية وحساسية جديدة ولكن لم يحدث . . لأنهم كانوا يكتبون والشعب لا يقرأ . . بسبب الأمية وغيرها من الأسباب . هكذا أصبحنا أمام ظاهرة انسلاخية عجيبة استمرت الى ثورة ١٩٥٢ حيث حدث أمر أعجب ، وهو أنه الى ان حدثت الثورة كانت قلة المثقفين أو الرأس تحاول ان ترفع الشعب اليها . . وكانت تنجح من حين الى حين . . مثلا فى الجانب السياسى ، وأيضا فى الجانب الاجتماعى مثل حرية المرأة أو العناية بالصحة أو بالطفولة . . أما بعد ثورة ٥٢ وبالذات فى العشرين عاما الأخيرة انعكس الوضع . . مازالت الفجوة قائمة بين الرأس والجسم أو البدن . . ولكن اصبح البدن هو الذى يريد ان يشد الرأس الى اسفل . . ! وهو يوفق فى كثير جدا من

الظواهر . . فنزل كثير من المثقفين الى الشعب واصبحوا مع كتلة الشعب فى وجهة نظرها التى غالبا هى الدينية وليس الا ! وطبعا لا عيب فى ان يكون اتجاهى دينيا ، بالعكس هذا واجب على كل متدين وعلى كل مسلم ، ولكن العيب هو ان أجعل هذه النظرة تقيم لى محورا فكريا لكل شىء بحيث تجعلنى دائما أشد نفسى الى الوراء .

●● صدر الاسلام وعصره الذهبى

ولو قام الفكر الدينى بمثابة الدينامو من اجل المستقبل فاهلا وسهلا ! وهكذا كان صدر الاسلام وعصره الذهبى . . حيث كان الدافع الدينى دافعا ايضا لبناء المستقبل والحضارة . ولكن عندنا الامر مختلف . . حين لا يصبح أمامى الا ان التفت الى الوراء ! كتلة الشعب تشد المثقفين الآن الى صفوفها . . وبدلا من أن تنظر الى اعلى والى الامام فانها تجعلهم ينظرون الى الخلف . .

وكمثال لشخص يمكن ان نجعل منه عنوانا للعصر الماضى كله . . فإنه طه حسين الذى حاول الاستضاءة من الماضى كله . . فالتراث على أطراف انامله وفى شعاب نفسه ، ولكن . . لكى يستعين به على المستقبل الجديد الذى تغذيه ثقافة وحضارة العصر . . هذا هو طه حسين وعصره . . أو الفترة الماضية .

● ● ●

● التعصب الدينى

أما فى المرحلة الحالية ، وان كنت لا أذكر أسماء ، ولكنى سأشير للظاهرة التى ترتبت على هذه الاسماء ، وهى الانحراف والتطرف والتعصب الدينى الذى نخوض معه الآن محاسبات ومعاتبات . . كيف نشأ التطرف الدينى . . ولماذا نشأ ؟ لأن هناك مناخا جديدا

نشأ . . المتطرفون ليسوا من الفلاحين أو العمال ، وانما هم من المثقفين . . بعضهم طلاب وبعضهم اساتذة . بدلا من ان يكونوا اجنحة لمعسكر جماعة المثقفين أصبحوا أجنحة للكتلة التى تنظر الى الماضى لا ليكون عدة سلاح لبناء مستقبل جديد على اساس الثقافة الجديدة ، وانما ليكون الماضى فقط . . وهذا هو الفرق الكبير الذى يقتضى التعديل السريع بحيث لا ننسى ابدا الجانبين . . إضمن لى ان الرؤية فى الماضى انما هى للحفز الى مستقبل جديد يأخذ فى حسابه العصر الذى نعيشه وأنا أرحب .

● ● ●

ولو نظرنا فى تاريخ الاسلام فى أوله ، على الاقل فى القرون الأربعة الاولى ، حيث الايجابية والابداع فى كل النواحى . . الايمان القوى يجعلهم يقيمون عدةعلوم على أساس هذا الايمان القوى . . دراسة اللغة العربية دراسة لا نظير لهاعلى ايدى الخليل بن احمد وسيبويه وغيرهما ، وذلك لكى يفهموا القرآن فهما صحيحا . كما نشأ الفقهاء الذين أستطيع القول عنهم واثقا انهم احسن تطبيق عملى للمنطق العقلى الذى ننادى به . . كانوا يطبقون المنطق فى استخراج الاحكام من النصوص القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة . هذه حركة فكرية لبها ومحورها الايمان . . ولكن ترمى الى امام ومستقبل للأمة الاسلامية . .

● وماذا عن دور وسائل الاتصال الجماهيرى وأثرها ؟ .

انها ، بحكم ، طبيعتها ، تخاطب جماهير . . وطريقة العرض تقتضى منها أمرين . . أولا ان تبسط المادة المعروضة ، لأنها تخاطب جماهير ، وثانيا لابد ان تجزىء هذه المادة فى احاديث وبرامج مددها متفاوتة خمس أو عشر دقائق أو نصف ساعة ، وهكذا حسب طول البرنامج . . فماذا تكون الحصيلة النهائية عند المتلقى : مادة مبسطة ومجزئة ! فاذا ربيت مواطنا على هذه المصادر وحدها . . فسأجد

المحصول في رأسه عبارة عن فتافيت . . قد تكون كل جزئية على حدة لا بأس بها . . ولكن المثقف هو صاحب الرؤية وصاحب وجهة النظر . . وهذا هو ما نستهدفه . . أما هذه الفتافيت فلا تؤدى الى وجهة نظر أو رؤية موحدة . . ولذلك فأنى اقول دائما انه لابد من الكتاب . . لأن الكتاب موضوع متصل . . لذا يجب اضافته الى وسائل الاعلام الجماهيرى وجمعه معها . .

ولست أنادى بسلاسل شعبية وكتب رخيصة الثمن ، وانما أريد هرما ثقافيا فيه درجة لكل درجات الثقافة . . واختلف مع المسئولين في تصريحاتهم عن ثقافة الجماهير . . أهلا وسهلا بثقافة الجماهير ولكن من الذى ينتج ثقافة الجماهير إلا ان يكون مثقفا فوق الجماهير ؟ ! . .

الحياة الثقافية هرمية : قاعدة عريضة ثم تخصص وتعمق تقل اعداد المشتغلين به بالتدريج إلى أن تصل إلى ذروة بها نفر قليل هم الرواد . . ولست اريد أيضا أن اقول سلاسل ، بل لابد من كتب للصفوة . . وإنني مندهش من أن كلمة الصفوة أصبحت كلمة تقشعر منها الأبدان . . ! نحن نريد هذه الصفوة لكى تربى من دونها ومن دونها الى أن تصل الى من يستطيع أن يخاطب الجماهير فيثقفهم .

●● وحسنة الموقف الثقافى المصرى الآن هى وضوح الابداع الذى يتمثل فى الفنون والقصص والأدب بشكل عام . . وذلك بشكل أوضح من العصر الماضى الذى كان يتميز بغلبة النقل عن الغرب أو التراث . . وهضم هذا أو ذاك . . كانت القراءة وعرض المقروء تغلب . . الآن جانب الابداع أقوى ، ولكن هنا تأتى السيئة ، وهى ان معظم من يبدعون لا يقرأون ! وكأنهم يكتفون بالموهبة الابداعية ، فى حين أنهم لا يلاحظون أنه فى كثير من الحالات تأتى نتائجهم الابداعية خالية من المضمون الفكرى .

●● والفنان ليس مسئولا عن فكر مسئولية الفيلسوف مثلا ، الذى يتعامل مع الأفكار مباشرة . ولكنه يصور التفاعل الانسانى فى الحياة القائمة كما يراها ، فيتخيل لها تركيبة معينة على شكل قصة أو قصيدة

أو مسرحية ، فنجد فى هذه التركيبة صورة لما يحدث فى أرض الواقع . . وهى ليست صورة فوتوغرافية . . ولكن الايحاء الذى أتلقاه يعطينى مصباحا أفهم به ما يقع حتى لو كان ما يقع - فى صورته الظاهرة - ليس هو بالضبط ما أقرأه فى القصة أو المسرحية . . ولكن الصف الأول من المبدعين حين يكتبون قصة أو مسرحية . . يجد النقاد فى هذه الأعمال درة فكرية يستخرجونها . . كأنما أراد المبدع أن يضع هذه الفكرة فى مجرى السلوك البشرى بدلا من أن يتعامل معها مجردة ، فهو يتعامل معها وهى تسيل فى مجرى السلوك البشرى والتفاعل الانسانى . .

●● والناقد ينبش فى هذه التفاعلات التى يجدها فى العمل الفنى ليرى على أى فكرة ترتكز . . ففى شكسبير مثلا أو ديستويفسكى أو تولوستوى وغيرهم لابد ان يخرج الناقد بفكرة كبرى كامنة فى القصة . . ربما لم تكن فى الوعى الكامن للكاتب لأنه ليس مسئولا عن فكرة مجردة . . ولكننا نستخرجها من الطريقة التى جرت بها التفاعلات البشرية كما صورها الكاتب . .

مسرحية أوديب لسوفوكليس مثلا ، تفاعل بشرى بين ملك وملكة وشعب وابن طريد يعود وهو لا يدرى أنه ابن الملك ويتزوج أمه وهو لا يدرى أنها أمه وهكذا ، ويأتى الناقد . . ولو بعد ألفى عام ، وينبش فى هذه الكتلة التفاعلية فى السلوك فيقول ان بها فكرة كبيرة جدا . . وهى علاقة الابن بأمه من الناحية الجنسية ! فيقيم فرويد نظرية سيكلوچية على هذا الاساس ، بل ويعطيها هذا الاسم ويقول « عقدة أوديب » !

●● النقد يجد ما يتصيده من العمل الابداعى . . يجد الدرة الغالية التى يرتكز عليها العمل الادبى أو الفنى . . ولكنها لم تعرض مجردة كما قلت . .

أما الكثيرون من كتابنا فانهم يكتبون شيئا قد تمتعض قراءته ولكنه لا يؤثر فى المدى البعيد . . لماذا ؟ لأنه لو أنصرف لها ناقد قوى

ليستخرج الدرة الفكرية الكامنة فيها تخرج له الشبكة وهى خالية ! لأنه لا فكرة اساسية تدور عليها التفاعلات . ومن السذاجة أنهم احيانا يضعون الفكرة على السطح . . فكرة اشتراكية مثلا . . فيمد الطفل يده ويأخذ السمكة ! ليس هكذا الأدب ولا الابداع . . لابد من اختفاء الفكرة بحيث تحتاج الى ناقد لاستخراجها . .

« ازرا باوند » و« ت .س اليوت » و« چيمس جويس » فى أعقاب الحرب العالمية الأولى تعمدوا تعقيد الشعر والأدب عن عمد ، لكى لا يفهمه الدهماء الذين يقودهم الساسة كالقطيع إلى الحروب والدمار ! عقدوه بثقافات . . بحيث قال عنهم أحد النقاد انك لا تستطيع أن تقرأ شيئا من أعمالهم إلا وأنت فى مكتبه . . لأنك ستجد فى كل سطر إشارة الى شىء لا تجده إلا فى مرجع أو معجم . بالاضافة الى استخدام كلمات من لغات بعيدة مختلفة . . وكأنها صيحة احتجاج من هؤلاء الكتاب على انسياق كتلة الشعب وراء الساسة والعسكريين الى مجازر الحروب وويلاتها !

●● نظرة . . الى الشارع المصرى !

لقد خرج الانسان المصرى عن طبيعته بشكل أرجو أن يكون مؤقتا . . فالانسان المصرى كان فى طبيعته دائما ان يراعى الآخرين . . وحين يتصرف فأنه يتصرف والآخرون فى اعتباره . . وكان يصعب جدا على الانسان المصرى ان يدوس على طرف الآخرين مثل الجار أو الزميل فى العمل أو شريك السوق وما الى ذلك . . ولكن فى السنوات الأخيرة يلاحظ بوضوح شديد أن الأحساس بالآخرين كاد ينعدم ! فيتصرف الفرد فى حياته كما لو كان وحده فى هذا العالم ! لماذا حدث هذا ؟ السبب هو تكاثر الأمثلة أخيرا فى حياتنا التى يصل فيها الانسان الى منصب كبير أو مال كثير ونفوذ بغير جهد . .

كان المألوف أن يقطع الانسان حياته بالعمل منذ تخرجه أو التحاقه بالعمل ، فيقضى فترة حتى يصل الى المال أو النفوذ . . ولكن جاءت فترة مكنت الصغير من الوثوب من أدنى إلى أعلى طائرا فوق الدرجات الوسطى بهليكوبتر !

هذه الدرجات الوسطى يشغلها آخرون صاعدون . . وكتب عليهم أن يصعدوا الدرجات متوالية . فينظروا ويجدوا هذا الطائر الهليكوبتر يقفز فوق رءوسهم ، وفى غمضة عين يصبح هو الرئيس . . والمسئول . . وصاحب النفوذ والمال والقوة فى المجتمع ، وعليهم أن يطيعوا وأن يتبعوا أو على الأقل أن يكونوا صغارا بالنسبة إليه فهل يمكن الا أن يسأل السائل كيف وصل هؤلاء ؟ ! لقد وصلوا اذن بشطارة أخرى غير العمل والمكابدة . . انما يطير فوق العقبات بمعونة أصحاب النفوذ . ومرة فمرة سادت القيمة الجديدة : وهى أن أحصل على أكثر ما يمكن بأقل جهد ممكن . .

وهكذا - بالتدريج - فقدنا الحس بالآخرين ، وكان لذلك ما كان من نتائج مما نسميه الآن اللامبالاة والتسيب والانحرافات والفساد هكذا .

* * *

ومع ذلك فأنى اعتقد انها ظاهرة مؤقتة . لماذا ؟ لأن التاريخ أمام ووراء الانسان المصرى طويل . . وهذه الظاهرة كالمرض الطارىء الذى سرعان ما يزول . والمصرى له خصائصه الممتدة عبر التاريخ ، وأهمها على الاطلاق احساسه بضرورة التكافؤ بين العمل والجزاء ، ان لم يكن فى هذه الدنيا ففى الآخرة ، وذلك بحكم تدينه . وهذا التكافؤ جعله يتعود - أى يكتسب عادة - أن يتقن العمل ، حتى لو كان الأجر قليلا . . هكذا كان دائما . لكن الآن اصبح الأجر أهم من العمل . . فهل يمكن بين يوم وليلة أن يختفى الاحساس الدينى ؟ غير ممكن طبعا ، اذن هى انتقالة ، مجرد أنتقالة عارضة ، لابد أن نعود بعدها الى ما كنا

عليه . ان من أمثالنا الشعبية الأصلية مثل يقول « اعمل الطيب وارمه البحر » . . فى الحقيقة هم لا يقصدون أن ترميه فى البحر وانما أن تنتظر جزاءه ان لمّ يكن فى الدنيا ففى الآخرة !

* * *

●● مبدأ أهل الثقة والولاء

هذه الظاهرة تسببت فيها ايضا أسباب معقدة ، من بينها أنه بعد ثورة ١٩٥٢ ساد مبدأ أهل الثقة والولاء على حساب أهل الكفاءة والخبرة والتخصص ، فأصبح كل رؤساء الأعمال من فئة أصحاب الولاء ، فوضعنا الخيوط فى أيدى من لهم ولاء وليس لهم دراية . . فأخذت المرارة نفوس من يعملون تحت رئاستهم من ناحيتين . . أولا من أن الصغير يحكم فى غير ميدانه ، وثانيا لأنهم هم أصحاب الميدان والخبرة ولم يصلوا الى مراكز القيادة فى هذا الميدان . .

وقد ترتب على ذلك انفصال بين المسئولية والأمر . . فصاحب الأمر ليس هو المسئول ! فلا يحاسب صاحب الأمر على الخطأ اذا وقع ، وانما يحاسب الذين نفذوا أمره ! !

كل ذلك ادى الى اختلال الصورة . . الكل يريد أن يصبح مليونيرا قفزا فوق الدرجات الوسطى . . فاهتزت القيم . . ولكن ـ أيضا ـ من نفس هذه الظاهرة نشأت حسنة كبرى فى الانسان المصرى . . تدلك على أنه لابد أن يعود الى أصالته ، وهى أنه ينحرف هذا الانحراف الذى تحدثت عنه ولكنه فى نفس الوقت لا يجرؤ على أن يفصح به أو أن يدافع عنه كمذهب فى الحياة ! إنما هو يدافع عما كان يؤمن به وهو مصرى أصيل . . اذن فهذه الأصالة كامنة فى صدره .

●● مصر هى أنت

ومن ناحية أخرى لا يجب ان نغفل هؤلاء الآلاف من المصريين المتوارين هنا وهناك فى ساحة الحياة العامة ، فى غاية الاخلاص والدأب

والكد والجدية والجهد ، ولا أحد يدرى شيئا عنهم ، وهم كالجنود المجهولين . . الجسم الشعبى المصرى بخير . . الفلاح لا يعرف هذه اللامبالاة . . فالانسان المصرى الأصيل قائم بقيمه . . وقد كتبت مرة لصديق مصرى كان يعمل فى بلد عربى ثم جاء ساخطا على الحالة فى مصر . . وقلت له يا أخى . . مصر هى أنت . . انك سافرت الى هذا البلد العربى وأنت تحمل فى حقائبك مصر . . وما أعطتك مصر من علم . حقيبتك كانت « مليانه » مصر ! ياصديقى . . مصر هى انت . . تذكر هذا فى كل لحظة من لحظات حياتك . . واذا كان هناك نقد توجهه لمصر فابدأ بنفسك !

* * *

•• العـــزلـــة . .

هل هى موقف فلسفى . . أم عزلة جغرافية ؟ والله لا هذا ولا ذاك ! لقد تعودت منذ طفولتى على الانطواء . . وهذا واضح من كتابى « قصة نفس » فقد تعودت على الانطواء ، ولم اخرج إلا للعمل الى أن تقاعدت . . ومن ناحية أخرى لقد خلقت نوعا متفرغا للفكر ! سعادتى الكبرى أن اقرأ كتابا . . أن أنقد فكرة . . أن أكتب لانطباعات تخرج فى صورة مقالات أو كتب . . هذا انا ، وهذه حياتى !

وفى بيتى وفى وقت مثمر الى جوار زوجتى الدكتورة منيرة حلمى وهى نعم الرفيق . . وقد تزوجتها بعد تخرجى بربع قرن . . ولا أنصح الشباب بذلك . . وإن كانوا يضطرون الآن الى ذلك بسبب أزمة السكن . . ولكنى أقولها لهم صادقا . انى لم أحس بنعمة الحياة كاملة الا بعد أن عشت مع زوجتى . . نتبادل الأفكار والمشاعر حتى ونحن صامتان . . حاملين هم بعض ! ننظر للمستقبل سويا . . نتبادل التعاطف والمودة والرحمة . . وهما ما أوصى بهما القران الكريم .

* * *

●● أزمة الوعى التحليلى والنقدى أو الضدى

هذه الأزمة ابشع ما يخيفنى فى الفكر العربى . . فنحن أميل الى أخذ الفكرة مكورة مثل « شلة » الخيط ، دون التنقيب فيما تحتويه هذه الفكرة . . بل نكتفى بالكرة من السطح . . مثلا الديمقراطية والحرية والاستقلال كلمات تأخذها كما هى بلا تفصيلات ، ونحن ابعد ما نكون بعيدا عن التفصيلات التى تترتب على مدلولات هذه الكلمة . .

لقد قرأت مرة لمفكر غربى كبير تحليلا عن من هو المثقف . . ولأول مرة اسمع هذا الرى ، ولكنى اكتسبته ، على الأقل على اعتبار أنه جزء من الحق ان لم يكن الحق كله ، وهو ان المثقف هو من يحلل . . حينما تقول ديمقراطية دون ان تدرى ما تفصيلات الديمقراطية ، ثم تذهب الى بيتك أو الشارع أو الحكومة ولا تعيش ديمقراطيا ! معنى ذلك انك اخذت الكلمة ولم تأخذ مدلولاتها ! هذا هو موقف غير المثقف . . لا يأخذه الشغف ولا القلق لضرورة معرفة المحتوى بالضبط . . أما المثقف فانه يدقق فى المعنى . . مثلا فى كلمة اشتراكية يكتشف ان هناك عدة اشتراكيات . . وان هناك عدة ديمقراطيات . . وعدة حريات . . هكذا يكتشف تفصيلات الحياة العملية للمفاهيم .

ودور المثقفين . . بناء على هذا يتحدد . . بأنه ينبغى ان يكون معيار الفكرة عنده هو مقدار وجدوى تطبيقها على الواقع . . وقد قطعت شوطا طويلا فى حياتى لاثبات هذا ولكن مجهوداتى لم تثمر لأنها ضد ما تعود عليه الانسان العربى الذى يهتم بصقل اللغة . . فالطاقة الفنية للعربى منصرفة الى اللغة والصقل . . وهذا مقبول فى مجال الشعر مثلا . . ولكن حينما يصبح ذلك الصقل هو الأساس فى صياغة دستور أو قانون زراعى أو تجارى أو صناعى أو نظام تعليم وما الى ذلك ، فهنا يبدأ اللوم . .

لقد قال المنفلوطي مرة أنه يفضل وصفا جميلا لبستان على أن يرى البستان نفسه ! هذا جميل من دنيا الأدب والفن . .

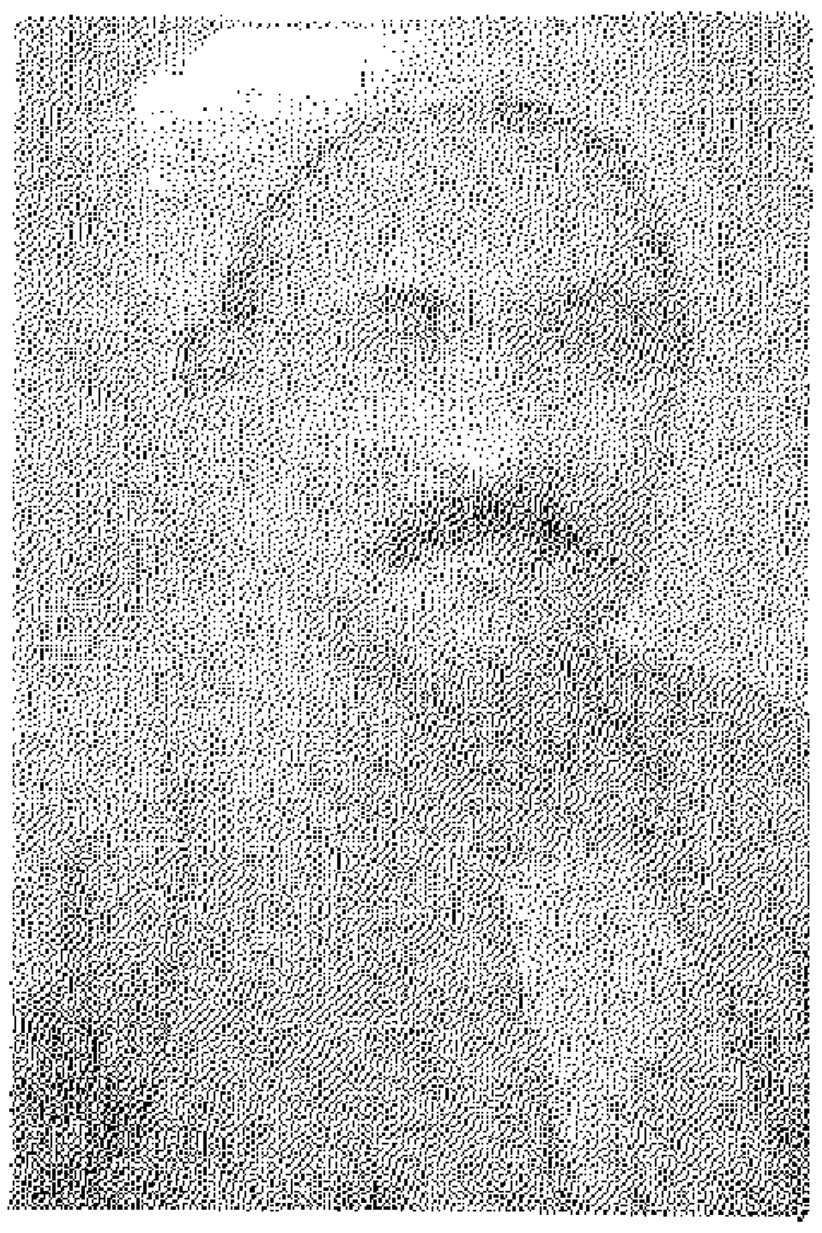

أما إذا دخلنا المجالات العملية فلا يمكن السكوت على هذا . . ولكن هذا نحن !

* * *

●● عصـــر . . واســم . .

وأخيرا . . ماذا نسمي هذا العصر ؟ انه عصر انتقالى بين حضارتين . . حضارة استقرت في القرن التاسع عشر وما قبله . . وحضارة اخرى يرجى أن تستمر في القرن الحادى والعشرين . . وقد كتب على أهل القرن العشرين أن يكونوا هم مرحلة الانتقال بين الاستقرارين . . لذلك نلاحظ اهتزاز القيم وعدم تحديد الفواصل بين الصواب والخطأ . . ومن هنا ضياع شباب العصر لأنه لا يستطيع الاختيار على بيئة سليمة . . بين هذه التناقضات والاختلافات بين أنواع الحكم والاقتصاد وحتى الفلسفات والاتجاهات الأدبية والمذاهب . . فهو عصر تجارب سريعة . . ونرجو ان نرسو على ما نطمئن اليه والوصول الى حياة مستقرة .

○ ○ ○

مصطفى أمين
وخمسون عاما من الصحافة

يتمتع العمود اليومى الذى يكتبه مصطفى أمين بجريدة « الأخبار » المصرية تحت عنوان (فكرة) بثقل وتأثير واسعى النطاق وسط جماهير القراء ، سواء من اتفق معه فى الرأى أو اختلف . ذلك أن القارىء المعاصر فى مصر يستشعر الصدق والشجاعة والإخلاص فى كلمات مصطفى أمين اليومية ، دفاعا عن الديموقراطية وحقوق الإنسان . . إن مصطفى أمين الثمانينات هو أحدى الظواهر الصحية المشرقة اليوم فى مصر .

أيها الأصدقاء كانت هذه نبذة مما كتبته جريدة الأنباء الكويتية مؤخرا عن ضيف حلقة اليوم . . وجدت فيها شهادة صادقة وتقديما واقعيا لضيفنا اليوم . .

● الصحفى الكبير مصطفى امين . . احيى فيك اكثر من نصف قرن من الصحافة التى تسير على قدمين . . وكلنا آذان مصغية لشهادتك على عصرنا . .

●● عصر بلا أسوار :

الجديد فى عالم اليوم هو إلغاء المكان والزمان الذى نتج عن ثورة الاتصالات بالأقمار الصناعية والصواريخ . . لقد أصبح العالم قرية واحدة . . أو قرية الكترونية ، كما قال مارشال مكلوهان خبير الاعلام العالمى الذى توفى مؤخرا ، فلم يصبح شىء أو خبر بعيدا عن متناول أى شخص فى أركان القارات . . أى خبر بعد دقيقة يعرفه كل إنسان . . مثلا خبر اغتيال الرئيس السادات شوهد بالصوت والصورة فور حدوثه فى جميع أنحاء العالم . . بينما لم يصل خبر مقتل قائد جيش محمد على فى الحجاز إلا بعد ستة شهور ! والأهم من هذا أن الحكومات المعاصرة أصبحت لا تستطيع أن تخفى أى حقيقة عن شعوبها كما كان يحدث من قبل . . فأى راديو فى أى مكان فى العالم ينقل كل ما يحدث فى كل مكان فى العالم . . حتى ما يحدث فى الغرفة المغلقة من أحاديث سرية أصبح فى متناول الأجهزة الحديثة ، بالصوت والصورة أيضا ! لقد انعدمت السرية والخصوصية فى عالم اليوم . . إن للعلم فوائد لا خلاف عليها ، ولكن له أيضا مساوئه ! فقد خدم الدكتاتورية ، وجنى على حقوق الإنسان ! لذلك فإنه من الصعب جدا الآن تكوين جمعية سرية . .

●● سنة أولى حرية :

● هل توافقنى على أن بروز الرأى الآخر ظاهرة معاصرة من ألمع ظواهر صحافة اليوم ؟

— هذا أخيرا . . من أيام ! ! لكننا عشنا ثلاثين سنة فى صحافة الرأى الواحد . . وهذه ليست صحافة ، وإنما بلاغات يومية تصدرها الحكومة على شكل صحف . . إنما الصحافة الحقيقية وظيفتها أن تقول

للحاكم ما يريده الشعب قبل أن تقول للشعب ما يريده الحاكم . . الصحافة الحرة أن يكون من حق كل مواطن أن يصدر صحيفة ، حتى لو قرأها قارىء واحد . . الصحافة الحرة أن الشعب لو أجمع على رأى واحد ، وشذ مواطن واحد عن هذا الرأى ، فمن حقه أن يقول رأيه ولو خالف رأى الملايين . . الصحافة الحرة هى التى يختار الشعب رؤساء تحريرها . . فإذا أقبل الشعب على كاتب يصبح رئيسا للتحرير ، وحينما ينفر من جريدة فيجب إغلاقها . . الشعب . . لا الحكومة . . هذا ما ينبغى أن يكون . . أما ما هو قائم فإننى أعتبر أننا فى سنة أولى حرية وأتمنى أن ندخل الجامعة ! ورأيى أننا بين عامى ٧٤ و ٧٦ كنا فى سنة أولى حرية ، ثم رفدنا من المدرسة ودخلنا روضة الأطفال ، والآن عدنا إلى سنة أولى مرة ثانية ! فنتمنى أن نستمر وننجح من أولى لثانية للجامعة

* * *

•• عزيزتى أخبار اليوم :

حينما خرجت من السجن قلت إن حرية الصحافة ليس معناها حرية الصحفيين وإنما حرية الشعب . . ولذلك أنشأت فى أخبار اليوم باب « عزيزتى أخبار اليوم » ، من أجل أن يبدى القراء آراءهم ، كما أنشأت باب « إلى المحرر » ، وباب « رأى الشعب » . . من أجل أن يكتب الشعب رأيه . . فليست الحرية هى حريتى أنا كصحفى . . وإنما حرية كل مواطن فى أن يقول كلمته . .

ومن خلال رسائل القراء أستطيع رصد بعض الظواهر والملاحظات . . فزمان مثلا كان يأتينا العديد من الرسائل بدون توقيع . . أما الآن فكل ما يصلنا من خطابات يحمل التوقيع . . هذا يعكس الشعور بالأمان والحرص على ممارسة الحق فى الحرية . . زمان

كانت تصلنى خطابات بتوقيع مصرى أو إنسان أو خائف . . كان فى مقدور هذا المواطن ألا يوقع على الإطلاق . . ولكن فى التوقيع بهذه الصفة مدلول ومغزى ورأى أيضا يدل على المناخ السائد . . الآن انعدم هذا الخوف .

● صحف الاثارة :

● البعض يتهم بعض الصحف والصحفيين بالجنوح إلى الاثارة والتركيز على عرض السلبيات فقط دون الإيجابيات . . فما رأيك ؟

— رأيى أن صحف الاثارة هى صحف تثير ثائرة الحكام ! فهم يريدون صحفا ترضى الحكام . . ويطلقون عليها اسم الصحف الوقور ! أما الصحف التى تقيم الوزير من نومه فهى صحف الإثارة . . الصحف التى تنشر الحقائق التى لا يريد لها البعض أن يعرفها الشعب هى صحف الإثارة . . أى صحف الإثارة . . ؟ إيه يعنى صحف الإثارة !

● ولكن حضرتك كنت دائما على رأس المنادين بأن المتهم برىء إلى أن تثبت إدانته . . فكيف لا يعتبر إثارة مثلا أن تنشر تفاصيل مثيرة حول قضايا لم ينته التحقيق فيها بعد ؟

— أنا رأيى أنه لابد من النشر ، بشرط واحد ، إنه إذا اتضح أن المتهم برىء فلابد من نشر براءته بنفس حجم العناوين . .

● دولة الظلم ساعة :

● أستاذ مصطفى أمين . . انت اشتهرت أنك داعية لا يكل ولا يسأم ، للأمل والتفاؤل فى غد أفضل . . فما هى الأسباب الموضوعية التى تراها موجودة وقائمة فى واقعنا ، وترى أنها تدعو إلى التفاؤل ؟

— مقومات تفاؤلى أساسا هى إيمانى بالله عز وجل . . هذا الإيمان يجعلنى على يقين من أنه مهما فرض طاغية ظلمه على شعب ، فإن هناك دائما من هو أقوى منه . . الله لن يتركه يطغى إلى الأبد . . وأذكرك هنا بالكلمة المأثورة . . إن دولة الظلم ساعة ودولة الحق إلى قيام

الساعة . . الإيمان فى حياة الإنسان يشبه « الدرابزين » الذى يستند إليه الإنسان فى صعوده على سلم الحياة . . إنه يمنح الأمان والتفاؤل . . لقد جربت فعلا وواقعا هذا المعنى . . فحينما كنت فى السجن ، كان الكرباج الأول أقسى وأمر من الكرباج الثانى والثالث . . والكرباج الأخير كان أخف كثيرا من الأول ! وهناك سبب آخر لتفاؤلى . . وهو إيمانى بقدرات شعب مصر العظيم . . إن هذا الشعب أخرج عمالقة . . وسوف يخرج عمالقة آخرين . . فقط وفروا له مناخ الحرية تجدوه يخرج العظماء . . أما فى عهود الاستبداد فتجد عملاقا واحدا يحجب ظله كل العمالقة . . فيبدون أقزاما . . أو لابد أن ينحنوا ليبدوا أقزاما قصارا . . أما فى عهود الحرية فلا توجد أسقف . . يمكنك أن ترتفع كما تشاء . . لن يحجبك ظل أو يمنعك سقف ! مثلا فى عهد الحريةظهر العقاد وطه حسين وعبد القادر حمزة وحافظ عوض والدكتور هيكل وإبراهيم عبد القادر المازنى وأحمد حسن الزيات وأحمد أمين وعبد العزيز البشرى وأمين الرافعى وزكى مبارك وممد التابعى وفكرى أباظة ، وفى الموسيقى ظهر سيد درويش وأم كلثوم وعبد الوهاب ، وفى المسرح يوسف وهبى وجورج أبيض ونجيب الريحانى ، وفى الاقتصاد طلعت حرب ، وفى العلوم د. على مصطفى مشرفة ، الذى كان مرشحا لجائزة نوبل ، وفى النحت المثال مختار . . كلهم عمالقة . . ظهروا رغم الاحتلال البريطانى والقصر لأن مناخ الحرية كان متوفرا . . لذلك ادعوا إلى إزالة السقف ليرتفع عمالقة جدد كما ارتفع من قبل سعد زغلول والعقاد وطلعت حرب . . وأنا أقول إن المواهب أشبه بالزهور . . تحتاج إلى النسمة والشمس . . تزدهر وتنمو . . ولكنها تموت فى الحجرات المظلمة . . إن القيود تخنق الإنسان . . فأنت لو أتيت بأم كلثوم ووضعت يدك على فمها فإن صوتها سيتغير . . وكذلك عبد الوهاب . . ثم ارفع يدك تجد صوته يطرب ويشجى ، كذلك الصحفى . . وأنا مثلا أكتب كما أتنفس . . وإذا وجدتنى فى يوم لم أكتب ، فإن معنى ذلك أن أحدهم قد كتم

أنفاسى ! إننى أكتب كل ما يخطر فى بالى . . وكلما كتبت فكرة أعتقد أنها آخر فكرة أكتبها ، ولذلك فإننى أضع فيها كل ما فى قلبى !

● الجيل المجنى عليه !

● ما رأيك فى شباب هذا الجيل ؟

— هذا الجيل هو الجيل المجنى عليه . . لأننا ضللناه . . وأفهمناه أن تاريخ مصر هو تلك الأناشيد التى كانت تبثها الإذاعة . . وأوهمناه أن مصر لم يكن فيها رجال من قبل . . وجعلنا سعر الكتاب أعلى من قدرته على شرائه دائما . . فأصبح لا يقرأ . . إننى أطالب الحكومة بدعم الكتاب كما تدعم رغيف الخبز تماما . . ثم إننا عودناه على أن تقوم الحكومة بكل شىء نيابة عنه . . فهى التى توفر له الغذاء والماء والملابس والسكن والوظيفة وحتى التسلية ! فأفقدناه الاختيار من ناحية والطموح من ناحية أخرى . . فالشاب المصرى مثلا لا يستطيع أن يختار نوع الدراسة التى يريدها . . بينما نحن نضعه فى مهنة لا يحبها ولذلك فهو لا يعطى فى مهنته كما ينبغى . . كما أنه لا يستطيع اختيار البلد الذى يريد أن يعمل فيه . . فأين حريته فى الاختيار . . ؟ مع أنه شباب متفتح ويزورنى باستمرار وأرى أن من الممكن أن يظهر منهم عمالقة جدد .

* * *

لذلك فإننى أطالب بإلغاء مكتب التنسيق . . وعمل نظام جديد و أن تقوم كل كلية باختيار المتقدمين إليها فى امتحان خاص يركز على تخصصاتها فقط . وأنا أرى أن الجامعة هى عبارة عن أستاذ ومراجع . . بينما نحن حولناها إلى حصة إملاء وقتلنا روح البحث والنقد والتقييم لكى يخرج فكر جديد من الأجيال الجديدة . . المفروض أن الأستاذ يقول رأيا فيقول الطالب رأيا قد يكون مخالفا . . وهذه هى الجامعة فى كل الدنيا . . وهذا ما كان يوجد فى الجامعة المصرية قديما . . فضلا عن اكتظاظ جامعات اليوم بالأعداد الكبيرة . .

فأصبح من المستحيل أن يعرف الأستاذ تلاميذه شخصيا كما كان يحدث من قبل . .

أنا كنت أدرس فى قسم الصحافة بكلية الآداب من سنة ٥٤ إلى سنة ٦٤ وكنت أعرف تلاميذى واحدا واحدا . . بالاسم . .

أما الآن فهناك طلبة لا يعرفون اسم أستاذهم ! زمان كان يوجد مثلا تلاميذ السنهورى أو طه حسين أو أحمد أمين . . مثلما كان يحدث فى الأزهر . . مثلا رواق الشيخ محمد عبده ، ورواق جمال الدين الأفغانى أو المراغى ، وهكذا . الآن انعدمت الرابطة بين الأستاذ والتلاميذ . .

أما من ناحية الأنشطة المختلفة فقد قاربت على الانتهاء من مدارسنا وجامعاتنا . . فأنا أذكر حينما كنت فى المرحلة الابتدائية أننى كنت عضوا فى جمعية زراعية تنشىء الحدائق وتنسقها فى فناء المدرسة . . وعضوا فى جمعية تصوير وجمعية رحلات وجمعية تمثيل . . وكانت توجد فرق لكرة القدم والتنس والجمباز والكشافة . . غير النشاط الثقافى . . حيث كنا نخرج مجلات . . الآن المدارس لا تخرج مجلات . . ولو أخرجتها تجد أنها تتصدرها صورة السيد المحافظ . . ثم وكيل وزارة التربية والتعليم ثم صورة مدير الأمن . . وهكذا . . أما فى أيامنا فكانت المجلة صورة لحياة المدرسة وأفكار تلاميذها . .

● الانســان المصــرى :

● **لو كنت تكتب مقالا عن الإنسان المصرى فى هذا العصر . . تتناول فيه الشخصية المصرية بكل ما طرأ عليها . . ماذا تكتب ؟**

— أول ملاحظة ألاحظها هى عدم الانتماء . . فزمان كان أهل الشارع كلهم يصد أى محاولة من غريب لمضايقة فتاة من أهل الحى . . أما الآن فإن أى سيدة يمكن أن تهان تحت بصر وسمع أهل حيها ! الكل يقول وأنا مالى ؟ ! بينما زمان كل فرد يشعر أنه أخوها وأبوها وأمها وأن إهانتها هي إهانة لكل امرأة فى مصر . . وعلى أمى وأختى وزوجتى . . هذه أول ملاحظة . . ويمكن أن يكون اكتشاف لهذا التغيير المؤسف

فى شخصيتنا هو ما دعانى إلى التفكير فى (عيد الحب) . فحينما خرجت من السجن . . ذهبت لزيارة قبر أمى ، فرأيت فى السيدة زينب جنازة يسير وراءها ثلاثة أشخاص فقط . . فدهشت أن إنسانا لم يخرج من الحياة بأكثر من ثلاثة أشخاص ! فأوقفت سيارتى وسألت أحد الثلاثة عن صاحب الجنازة فقال لى إنه وكيل معاشات سابق ، فتحسرت على ما رأيت وقلت ليس هذا حى السيدة زينب الذى أعرفه . . زمان إذا سارت جنازة فيه ، كنت تجد كل الراديوهات فى الحى أغلقت ، وينزل الناس من مركبات الترام والأوتوبيس للاشتراك فى الجنازة ! وفى القرى كانت القرية تخرج عن بكرة أبيها ، رجالا ونساء ، للاشتراك فى الجنازة ، وأثناء مرورهم على القرى المجاورة ينضم إليهم أهلها ولو كانوا لا يعرفون من الذى مات !

لذلك فإننى أتمنى أن تعود للمصريين صفاتهم التى ميزتهم على مدى العصور . . المروءة . . الشهامة . . الصداقة . . الأخوة . . التضحية . . الفروسية . . إننى لا أنسى حينما كان عمرى أربعة عشر عاما أننى اشتركت مع أخى على فى مظاهرة ـ رغم الدكتاتورية التى كانت موجودة فى ذلك الوقت ـ وهتفنا فى ميدان محطة مصر بسقوط الملك فؤاد ومحمد محمود باشا . . فقبضوا علينا ووضعونا فى سجن التخشيبة حوالى الساعة الثامنة والنصف مساء مع المجرمين والنشالين . . وحوالى العاشرة مساء فوجئنا بالعسكرى يفتح باب التخشيبة وينادى اسمينا : مصطفى وعلى أمين يوسف . . فظنناه الإفراج . . ولكننا فوجئنا أنه يحمل لنا بطانيتين وصينية كباب وكفتة . . فخفنا أن تكون أمى قد علمت بما حدث من ورائها . . ولكن العسكرى قال لنا ان سيدة كانت تنظر من شرفتها المواجهة للسجن ، وعز عليها أن يدخل السجن ولدان عمرهما لا يزيد على أربعة عشر عاما فى هذا الليل والبرد ولجوع . . وهى لا تعرفنا ولا تعرف أى شىء عن سبب دخولنا السجن . . ولكنه الشعور بالإنسانية والانتماء . . الروح المصرية الحقيقية . . التى تحجبها الدكتاتورية التى تشبه الاعصار الذى حينما

تصل بوادره تجد الناس يغلقون الأبواب والنوافذ وتختبىء من الصقيع والعواصف . . كذلك تختبىء صفات المصريين كالفروسية والمروءة والتعاطف حينما ترى الدكتاتورية ، إلى أن يتوقف الاعصار فتعود للظهور . .

● أستاذى الكبير . . ولكن من الإنصاف أن نؤكد أنه لا يعقل أن كل تغيير كان للأسوأ . . لابد أن هناك جوانب وظواهر وتطورات مشرقة ؟

— فعلا . . من حظ هذا الجيل أنه جاء فى عصر التليفزيون . . الذى يرى فيه الدنيا . . وكل مخترعات العصور ووسائل الانتقال والاتصال السريع . .

● لا أقصد هذا . . وإنما أتحدث عن الوطن والبشر .

— طبعا من أهم الأحداث العظيمة خروج الانجليز . . ثم خروج الاسرائيليين وعودة قناة السويس إلى السيادة المصرية ، وأن يحكم مصر أحد المصريين من أبنائها منذ آلاف السنين . . كلها أحداث جميلة . . لا ينكرها أحد . . أما عن البشر . . فأول ما أطالب به هو أن تعود الروح الإيجابية لدى الإنسان المصرى وألا يكتفى بأن يصبح متفرجا لا مشاركا . . كل رجل وكل امرأة فى مصر يجب أن يكون مشاركا . . ويجب أن تعود روح الفروسية . . أريد أن ينتفض كل شارع مصرى لمضايقة أو معاكسة أى فتاة . . هذا الشعور بالتضامن جوهرى لحياتنا . . أذكر أنه كان يجاورنا فى البيت الملاصق لنا أحد خصومنا السياسيين . وكنا لا نزوره ولا يزورنا . . ثم مات . . فمنعت أمي تشغيل الفونوغراف فى البيت لمدة أربعين يوما احتراما لجارنا الذى كنا نقاطعه ! أما الآن فإننى أجد ميتما وإلى جواره فرح . . وزغاريد تجاور صواتا ونواحا وندبا . . هؤلاء ليسوا المصريين من يفعلون هذا .

○ ○ ○

● هجرة الشباب :

● أعود إلى قضايا الشباب المصرى وأسألك . . هل تعتبر هجرة شباب مصر للعمل فى الخارج خسارة أم مكسبا لمصر ؟

— بل أعتقد أنه مكسب . . ومكسب كبير لمصر . . فأنا ألتقى فى أوربا وأمريكا كل عام ألوفا من المهاجرين المصريين الناجحين نجاحا مذهلا . . مثلا التقيت فى نيويورك بأحد المصريين الذى تخرج من هندسة الاسكندرية سنة ١٩٦٢ وكان ترتيبه الثانى على دفعته . . ورفضت كل الوزارات تعيينه فى الحكومة لأن أسرته كانت موضوعة تحت الحراسة ، فسافر فى الدرجة الثالثة على أحد المراكب إلى أمريكا . . وكان عليه أن يعمل فحاما طوال مدة السفر وكانت خمسة عشر يوما . . إلى أن وصل إلى نيويورك حيث عمل شيالا فى ميناء نيويورك . وبدأ يدخر نقوده إلى أن وفر أجر السفر إلى جامعة هارفارد حيث عمل مرمطونا فى الكافتيريا الخاصة بها . . ثم رقى إلى جرسون فى نفس الكافتيريا . . واستمر فى الإدخار إلى أن جمع مصاريف الدراسة فى ماجستير إدارة الأعمال ، وحصل على الماجستير ثم سافر إلى نيويورك حيث بنك المال . . ولم يقل لهم أنه يريد أن يعمل بالماجستير ، وإنما طلب العمل كفراش فى البنك . . وعمل كفراش ، ولكنهم وجدوه أكبر من مستوى فراش ، فعملوه ساعيا ، ثم وجدوه أعلى من مستوى الساعى فعملوه كاتبا ، ثم مساعد مراجع ، ثم مراجعا . . إلى أن أصبح الآن أحد أصحاب البنك . ! وقد صحبته إلى البنك الذى يشارك فى ملكيته . . لأرى نموذجا لمصرى عظيم . . سر عظمته أنه قبل الوظيفة الصغيرة . . لأن الطريق إلى المنصب الكبير يبدأ من تحت الصفر . . فالشباب المصرى إذا وفرت له الفرصة والمناخ والأمان والحرية ينجز المعجزات . . وهذه هو الإنسان المصرى . أما هنا فإن من ينجح يجد نفسه مقدما للتحقيق أمام أى جهة بناء على شكوى من أعداء النجاح . . وإذا لم يقدم للتحقيق فإنه قد يصاب بالإحباط لأن زميله الذى لا يعمل ينال الترقية وهو لا ينالها . فاعطوا الشباب الثقة يعطوكم العمل العظيم . .

●● قـارىء العصــر :

● من خلال رسائل القراء أيضا . . كيف ترصد أثر العصر على أساليب كتابة القراء ؟

— أصبح قارىء اليوم ، نتيجة لعصر السرعة ، يميل إلى الاختصار والكتابة الموجزة . . وأذكر هنا أن أخبار اليوم هى التى أدخلت الأسلوب التلغرافى إلى الصحافة المصرية . . وهذا الأسلوب يتجاوب مع روح العصر . . فلا أحد عنده وقت للتطويل والإسهاب . . وطبعا الاختصار أصعب من التطويل . . وأذكرك هنا بكلمة مأثوة فى خطاب أرسله سعد زغلول للشيخ محمد عبده يقول فيها « اغفر لى الإطالة . . فلا وقت عندى للاختصار » !

●● مفيــش فـايدة ! :

وبهذه المناسبة أحب أن أنفى وهما شائعا عن سعد زغلول أنه صاحب كلمة (مفيش فايدة) . . التى تدل على اليأس والقنوط من أى تغيير أو إصلاح . . بينما الحقيقة أنه قالها فعلا ، ولكن وهو فى فراش مرضه الأخير . . قالها لزوجته ، أم المصريين ، صفية زغلول ، قاصدا بها حالته الصحية وأن الطب أصبح لا يجدى معه . . وأنا أعلم هذا بشكل مؤكد لعلاقتى الشخصية بهما حيث تربيت ونشأت فى بيت الأمة ، بيت سعد زغلول .

●● أولـويات صحـافـة اليـوم :

● الكاتب الكبير مصطفى أمين . . هل تغير ترتيب الأولويات فى صحافة اليوم ؟

— نعم . . الحياة اليومية أصبحت من صميم السياسة . . رغيف الخبز ، سعر كيلو اللحم ، المرور ، كلها أصبحت سياسة . . أو قضايا سياسية . . بعكس ما كان يحدث قديما حينما كان الاحتلال وحقوق

الأمة هى فقط السياسة . . أما من الناحية الفنية . . فكانت الأولوية للمقال . كانت الصفحة الأولى للأهرام مثلا عبارة عن مقال واحد لداود بركات . . وأذكر أنه فى مرة كتب مقالات يومية عن السودان تحتل الصفحة الأولى فى الأهرام لمدة أربعين يوما ! بعنوان السودان (١) ثم السودان (٢) إلى السودان (٤٠) وكان العقاد أيضا يكتب الصفحة الأولى . . وكثير من الكتاب يكتبون مقالاتهم فى الصفحة الأولى بينما تنشر الأخبار فى الصفحة الثانية . . إلى أن غيرت « أخبار اليوم » هذا الترتيب . . فوضعنا الأخبار فى الصفحة الأولى وضعنا المقالات فى الداخل . . وحينما أنشأت « أخبار اليوم » مع أخى على أمين أدخلنا أيضا صحافة الأقراص . . كان الدواء زمان يوزع فى زجاجات كبيرة . . أما الآن فأصبح أقراصا صغيرة . . كذلك الصحافة ، فظهر الخبر الصغير والمقال القصير . أما من ناحية الأسلوب . . فكان الكتاب قديما يفتخرون بتعقيد أسلوبهم وصعوبته . . وكان يقال إن فلانا يكتب مقالا لا يفهمه إلا خمسة فى مصر كلها . . فحولنا الصحافة إلى صحافة الملايين . . بمعنى أن المقال الذى لا يفهمه كل واحد فى مصر لا يكون مقالا جيدا . . وهذه هى البساطة . . والسهولة . . ومن كلماتى التى أذكرها أننى كنت دائما أقول إن البلاغة هى إبلاغ الملايين . . لذلك أدخلت الجمل القصيرة التى لا يتوه معها القارىء .

● ● شـهـادة فى ســطـر :

● لو كتبت شهادة على عصرنا فى سطر واحد . . ماذا يكون ؟

— أنا شاهد « ما شافش حاجة » ! !

سمع عن الديموقراطية والحرية والعدالة ولم يشاهد أيا منها . . وكل ما أتمناه أن نحول الشعارات إلى حقائق . . وأملى كبير فى ذلك ولدى أسبابى فى هذا الأمل . . فحينما التقيت بالسيد الرئيس محمد حسنى مبارك قال إنه يريد أن تكون مصر لكل المصريين مؤيدين ومعارضين . . فخرجت من عنده وأنا أشعر أن مصر عادت للمصريين .

د . يوسف إدريس شاهد العصر !

أيها الاصدقاء . . ضيفنا اليوم هو باختصار « شاهد عصره » كما يقول عنوان كتابه ! ولو كانت برامج الاذاعة تفصل خصيصا لكان هذا البرنامج « مفصلا » خصيصا له ! فهو هذا المراقب الدءوب لحركة الحياة وتفاصيل السلوك ، ونبضات الفكر الانسانى . يحولها قلمه إلى كل الوان الابداع الفكرى . . فنقرأها مرة على شكل قصة أو مسرحية أو مقال أو رواية .

وفى لقائنا اليوم ، سيتمهل القلم ساعة ، لنسمعها منه ، فى حوار . . منه ، وإليه !

•• الاذاعـة . . لغـة :

يوسف إدريس : أبدأ حديثى بتحيتك على هذا التقديم الذى جعلنى أعتقد أنه كما أن لدينا بلاغة كتابية أو فنية فان لدينا أيضا بلاغة إذاعية ، فشكرا لبلاغتك . وأجب هنا أن أوضح بداية أننى اؤمن ان الأشكال الفنية هى لغات داخل اللغات ، وسأوضح هذا فى هذا البرنامج ، والاذاعة أيضا لغة داخل اللغة ، وأنا ألاحظ ان كثيرا جدا من برامج الاذاعة تتحدث بلغة المقال مثلا لا لغة الاذاعة . أما تعريفى للغة الاذاعة فهى اللغة التى تمسك بالاسماع . . وما يميزها عن أى لغة أخرى أنه بمجرد أن يتوقف مؤشر الراديو على هذا البرنامج وتلتقط منه كلمتين أو ثلاثا على الاكثر ، فان المستمع لا يقدر على تحريك المؤشر بعيدا . ليس للابهار الذى تأتى به ، وانما للخاصية التى يمتلكها المتحدث فى الراديو . . فمثلا تجد فى الراديو متحدثا يقول كلاما عظيما ، واحصائيات قد تكون هامة ، ولكنه لا يملك موهبة الارسال الاذاعى الممسك باذن المستمع . .

•• انفصـام الكلمـة والفعـل :

● هذا البرنامج يتسع لملاحظات ورؤى ضيوفه للعصر الذى نحياه ، ومختلف الظواهر التى تموج فيه . . فعلى ساحة العصر . . ماذا ترى ؟

— الواقع ان هناك سمة واضحة فى مصر والعالم العربى . . وهى سمة خطيرة ، وجزء من رسالتى ان أغيرها ، وهى الانفصام الحادث بين الكلمة والفعل . لقد وجدت الكلمة فى الاساس كوسيلة اتصال وبدأت كاحتياج للجماعة البشرية لا للفرد وذلك لمصلحة الجماعة وتنسيق أدوارها فى الحياة . اذن اللغة وسيلة وليست هدفا . هى وسيلة بدأت لايصال الآخرين برغبات ، أو تحذيرهم من خطر او إدلالهم على وسيلة نجاة ، أو حل لمشكلة .

الملحوظة الغريبة الآن ان الكلام انفصل عن الاحتياج ، بمعنى ان كلامنا « كتر » جدا . والمفروض ان تكون هناك نسبة معينة بين الكلام والفعل . . والمفروض ان الانسان العادى منذ استيقاظه فى الصباح

تحتوى حياته فى هذا اليوم على كم من الافعال وكم من الكلام . ما يحدث عندنا ان الكلام طغى على الافعال ! وبالتالى ، قلت فاعلية الوجود البشرى . . أو وجود المواطن المصرى . . لأن الوجود لا يكتسب من كم ما يقال من كلام ، وانما من كم الفعل الذى يحقق به وجوده . .

● لعلى أذكرك هنا بتعبير أطلقته سابقا وهو « الكلمة الفعل » . .

— بالضبط . . لأن حتى الكلام ليس كله كلاما ! يعنى يوجد كلام أى كلام كما يقولون ! ويوجد كلام فعل . العقد كلام مكتوب ولكنه ملزم . اذن هنا الكلمة تساوى رصيدها من الفعل ، لأنها ستنفذ .

كما لا ينبغى أن يكون الكلام بديلا عن الفعل . بمعنى أنه اذا كان الموقف يقتضى أن تتضارب مع آخر عضليا ، فلا يغنى عن ذلك أن تسبه ! أيضا الكفاح المسلح أو الثورة أو المقاومة إذا استلزمت معركة مسلحة فلا يمكن لأى خطب رنانة أو غير رنانة أو كلمات أو تصريحات أن تغنى عنها ! حتى أعظم الكلمات . . وهى الشعر لا تغنى عن الفعل . . وبالمناسبة ألاحظ هنا ظاهرة بين قوسى الظاهرة التى نتحدث عنها (انفصام الكلمة عن الفعل) وهى ظاهرة الطغيان الشعرى الواضح الآن لدرجة أننى احصيت حوالى ثلاثمائة قصيدة تنشر يوميا فى صحفنا ومجلاتنا ! وهو رقم مخيف . . وكان المفروض ان تقيم هذه القصائد الدنيا وتقعدها ! لو كانت هذه القصائد شعرا حقيقيا لأوقفت الكرة الارضية عن الدوران . . لأن كم الشعر الذى أفرزته البشرية فى كل تاريخها لا يتعدى ألف قصيدة عظيمة غيرت من مصير الانسان . ت . س اليوت لم يكتب أكثر من قصيدة أو مسرحية عظيمة غيرت البشرية . .

أما عندنا فالشعر ليس فعلا وانما هو بديل لفعل . . حينما يكتب الشاعر عندنا قصيدة حب ، فانه يتصور أن مهمته الأولى أن يكذب على الحبيبة . . ويصور لها أن حبه لها أكبر من أى شىء ولو وزن لوزن أكبر من كتلة الأرض والشمس معا . . وهذا كلام فارغ . . يمكن هو يتمنى

أن يحبها بهذه الدرجة ولكن المفروض حين يكتب أن يكون صادقا مع نفسه فى الوصف . . لو كان حقا مستعدا ان يموت فى سبيلها ووصف هذا لجاء كلامه شعرا . . أما اذا كان لا يستطيع ان يشترى لها حتى (فستان) ثم يؤلف معلقة حبه لها فهذا كلام فارغ .

● اهو كذب ام مبالغة يادكتور ؟ !

— المبالغة حين لا يكون لها رصيد من الفعل تصبح كذبا . . ان أكثر كلمة نستعملها فى حياتنا هى القسم و « الحلفان » . . واحد يقول للثانى « رقبتى » ! هل هذا معقول ؟ !

● الحمد لله أن الكلمة غير جادة والا كانت طارت رقاب كثيرة بسببها !

— كل واحد يتفنن فى أنواع القسم : رقبتى ، وحياة تربة أبى ، ورحمة أجدادك . . فى أى لغة أجنبية لن تجد هذه الأنواع من الحلفان أبدا . . كلمة القسم والحلفان لا تذكر فى الخارج الا فى المحكمة فقط ، لأن الانسان هناك تربى على الصدق ، فهو غير محتاج لتأكيد كلامه بحلفان ! وأنت لا تقسم إلا اذا كنت تفترض أن هناك شكا فى كلامك . الإنسان الصادق أهم شىء بالنسبة له أن يكون صادقا مع نفسه . . أما الكذاب فلا يقنع إلا بأن يصدقه الآخرون .

● إذن هنا يقفز سؤال . . المفروض ان الكاتب يجنح الى التعبير الفنى وقد يسوقه هذا الى المبالغة كأسلوب من أساليب البيان ، وفى نفس الوقت المفروض أن يكون صادقا مع نفسه . . فكيف ترى هذه المعادلة الصعبة ؟

— هذا سؤال وجيه « وحلو » لأنه يجعلنى أفكر لأول مرة فى هذا الموضوع . .

الواقع أن هناك تاريخا للمبالغة والصدق فى الكتابة .

● تاريخ ؟

— نعم . . وربما كان لهما أيضا قانون تناسب عكسى أو طردى . . ! لأنه فى البداية كان الناس يلجأون الى المبالغة كطريقة للاقناع بالشىء العادى . .

● ولعله فى هذا الوقت ظهر مبدأ « أصدق الشعر أكذبه » ؟

— نعم . وحين تطور وعى الانسان المستهلك السامع أو القارىء وأصبح الطريق لاقناعه أن تصدق لا أن تبالغ . . وأحب هنا أن أوضح

بين قوسين ان هناك فرقا بين الصدق وقول الحقيقة .

● ما الفرق ؟

— الحقائق ثابتة ، بينما الصدق نسبي ومتغير . . حينما تقول لى أن الكرسى الذى تجلس عليه مصنوع من الخشب وله أربعة أرجل ومسند ، فهذه كلها حقائق . . أما الصدق فهو ان تقول انه رغم هذا أحس وأنا جالس عليه أننى جالس على خازوق ! فالصدق هو صفة للاحساس بينما الحقيقة صفة من صفات القياس أو مواصفاته . الشمس تشرق من الشرق وتغرب فى الغرب . . هذه حقيقة ، ولكن حينما تقول : أحسست والشمس تشرق أنها فى الحقيقة تغرب . فقد كانت ليلتي يوما طويلا ! فهنا كذب فى شكله الخارجي ولكنه صدق فى كنه الاحساس ، وصف حقيقة ذاتية لا حقيقة موضوعية .

نعود إلى مثال الشعر وأنه ليس بديلا للعقل . . لأن الشاعر الذى يجلس على مقهى فى شارع الحمرا أو القاهرة ليؤلف قصيدة عن احساس المقاتل الفلسطينى أو اللبنانى أو المصرى بالرصاصة التى أصابته فى صدره . . لا يصدقه الناس حتى ولو كان وصفه دقيقا . . ولكن متى يصدقونه ؟ حينما ـ وهو يصف هذا الموضوع ـ يتلقى رصاصة شعورية فى صدره ويستشهد . . بحيث يحس أنه بمجرد أن يضع القلم بعد الانتهاء أنه سيقع من فوق كرسيه . لو حول الخيال الى فعل ، ولم يكتب كلمات بديلا لمواقف وانما اتخذ المواقف فعلا . وأصبح شعره مواقف حقيقية . . لوصل الى الصدق . ويمتد هذا الصدق حينئذ عبر التاريخ لأنه يرتفع الى مرتبة القانون . . قانون من قوانين الوجود . . مثل كلمة شكسبير الخالدة « ليدى ماكبث » انك لو استعملت كل عطور العرب فلن تمحو من يدك رائحة الدم !

هذا هو الاكتشاف الشعرى الذى لا يتم الا بالصدق المذهل لشكسبير . . فاكتشف ان رائحة الدم لا تزول أبدا . . ويبقى لهذا البيت بكارته على مدى العصور . ويسجل المعنى الجديد باسم صاحبه على مدى الدهر . . فتقول لمن يكرره بعد ذلك . . لقد قيل هذا المعنى

من قبل أو هذا التعبير . قاله شكسبير !

★ ★ ★

● هل مازال للكاتب صوته المرتفع فى هذا العصر الذى تدوى فيه أصوات القنابل وصيحات جماهير الكرة . . والميكرفونات من الشرق والغرب ومن هنا وهناك .

— ياسيدى ، دائما ، وإلى ابد الآبدين ، سيظل للأدب والفكر دوره القائد . . ان البشر هو الذى يضع السياسة بقراراتها وحروبها ، وهذا الفكر صادر عن فلسفة سائدة . . مثلا فى السنوات القليلة الماضية كلنا لاحظنا ظاهرة الاندفاع نحو البحث عن المال . . وهذه الظاهرة وراء ما نتحدث عنه من فساد وانحرافات . . لأن الانسان المصرى بدأ فى البحث عن أسهل طريقة تأتى له بأكبر قدر من المال . . واذا مددنا هذا القانون لنهايته سنجد أنه فى النهاية لابد أن يقوم بعمل مخالف للمجتمع . . لأن القانون الطبيعى للحياة والمجتمع ان النقود مقابل عمل حقيقى وجهد يبذله الانسان وزمن يقضيه فى هذا العمل . . فالبديل ان تكون لصا ! وهذا أيضا نوع من الفلسفة يرتكز على أنه فى فترة سادت الفلسفة الفردية وعبادة القوة فى كافة أشكالها ومظاهرها . . وهذه الفلسفات نابعة أساسا من أوربا فى وقت ضعفت فيه قبضة القيم والقانون . .

★ ★ ★

فالفكر والأدب مازال لهما دورهما . . ولكن وسائل الاعلام أصبحت مخيفة التأثير . . فبالعكس . . يمكنك القول أننا نعانى من الانتشار المبالغ فيه من الفلسفات لا انحسار الفلسفات . . وللأسف نعانى من انتشار الفلسفات الضارة . . بينما الفلسفات الحقيقية انكمش دورها . . لأن تحويل رسالة الفكر والأدب الى برامج وتمثيليات يحتاج إلى براعة فائقة ، بينما اللعب على الطمع فى النفس البشرية أمر سهل . وأننى أذكرك هنا بموضة انتشرت فى أفلامنا ومسلسلاتنا فى هذه الفترة وهى موضة عادل امام يجد « شنطة » مليئة بالفلوس ! حينما تدقق

فى هذا تكتشف ان « حلم » المصرى العادى أن يجد هذه الحقيبة ، وان الفن السريع لعب على هذه الحقيبة وجعلها محور الصراع . . وذلك لتغذية هذا الحلم ، رغم النهايات الاخلاقية المفتعلة . . وهكذا وهكذا أصبح الحلم المصرى . . يارب مائة ألف جنيه وسراية فى محرم بيه وأجرة الشيال الذى يحمل الشنطة . . كمان ! لهذا المطلوب منا . . قبل الانتاج والتصنيع وحل مشاكل المياه والمجارى والكهرباء ان نحل مشكلة الحلم المصرى وان نغيره .

★ ★ ★

● فيصبح الحلم بماذا ؟

— فى جيلنا كان الولد يحلم ان يكون اديسون ، والفتاة ان تكون مدام كورى . . كنا نحلم ان نكتشف البنسلين مثل فليمنج مثلا . . وهذا النوع من الأحلام هو الذى ينبغى استزراعه فى الواقع المصرى . . لن يتغير الواقع المصرى ونحل مشاكله الا اذا غيرنا الحلم الخفى الكامن فى النفس المصرية أو العربية . . يجب اعطاء فرصة للحالمين العظام فى حياتنا من مفكرين وأدباء لا يملكون رذالة الصغار ولا الحاحهم فى فرض انتاجهم على اجهزة الاعلام ولا يرضون بمنافسة هؤلاء الصغار . . هؤلاء العظام هم الذين سيغيرون حلم الشباب المصرى . هذه رسالة الكتاب . . تغيير الحلم المصرى من حقيبة الفلوس الى البطولة فى مواجهة الواقع .

● لكن . . كما رصدت بروز ظاهرة « شنطة الفلوس » لابد أنك رصدت بالمقابل ظاهرة محاسبة المنحرفين ومحاسبة الفاسدين ؟

— لا يكفى ذلك . . فالمضادات الحيوية لا تشفى المريض . . لابد من مقاومة الجسم ذاته والرغبة فى الحياة لديه . . فالمفروض ان نغير الرغبة فى الحياة أو نوعية هذه الرغبة . . يمكن بأعمال فنية بسيطة ان نعرض ان المتعة الحقيقية ليست فى كثرة المال . . وانما يمكن للانسان العادى ان يجد المتعة الحقيقية فى حياته لو رأى هذه المتعة . . لأن مصيبتنا ـ لأننا طوال الوقت لا نرى الا شنطة الفلوس ـ لا نرى

واقعنا . . مثلا الناس لديهم أولاد وذرية ويقولون « المال والبنون زينة الحياة الدنيا » ولكن . . هل ذاق متعة ان يكون له ابن أو بنت يتكلم معها ويلاحظ كيف ينمو عقلها وفكرها ، ويناقشه أو يناقشها لمساعدتها فى تصحيح أحلامها ؟ هل لفتنا النظر الى متعة ان يحس الانسان أنه لعب دورا فى حياة ابنه أو حياة أسرته أو حياة مجتمعه بالتالى ؟ حتى متعة ان تكتب شيئا يؤثر فى الناس . . اليست أعظم من ان تكتب شيئا ياتى لك بمليون جنيه ؟ متعة ان تشارك الآخرين فى المتعة . . الشىء الغريب ان الحلم بالفلوس مرتبط دائما بالفردية . فى حين فى حقيقة الأمر أنك لو اغتنيت وحدك فى مجتمع فقير ، فانك لن تستمتع بالنقود . . لأنك لكى تستمتع فلابد ان تعيش فى مجتمع مستمتع . . ومعه . . ومن خلاله تحظى بالمتعة . انما تصور أحدهم يبنى قصرا فى قرية معدمة لا يجد أهلها ما ياكلونه . . كيف يستمتع . . ؟ مع من يتكلم ؟ اذا أحب أن يضحك . . يضحك مع من ؟ يعيش مع من . . يشكو لمن ؟ الفلوس لا تتكلم ولا تضحك ولا تسعد إلا بمقدار ما تسببه من سعادة للكل . . لا للفرد .

● الخناقـــة المـصـريــة :

● سانقل مع د . يوسف ادريس نقلة بعيدة وقريبة فى نفس الوقت . . واذكرك بوصف قدمته مرة من قلب الشارع المصرى لخناقة كلاميه يتبادل فيها الطرفان خطبا تكسب الرأى العام لصفه . .

— فى الواقع هكذا الخناقة الحضارية ! فأنا اعتبر الشعب المصرى شعبا مصيبته أنه متحضر زيادة عن اللزوم وعجوز زيادة عن اللزوم ! هناك شعوب فى العالم اليوم مازالت تعيش فى عصر الأسرة المصرية الرابعة . . والمتقدم من هذه الشعوب تجده فى مرحلة الأسرة التاسعة عشرة ! وهى مرحلة فتح الامبراطوريات وغزو البلاد الأخرى . . أما المتقدم جدا تجده « يدوب » فى عصر اخناتون . . أو عصر توجه الدولة الى تقديس المعبد وتوحيد الآلهة والعبادة . . لقد مر الشعب بكل

هذه المراحل وانتهى الى قانونين أساسيين يحكمان حياته . . القانون الأول أنه مؤمن . .لأن البشرية تروح يمينا ويسارا محاولة الفرار من فكرة أن الانسان لابد أن يكون مؤمنا . . وان الانسان غير المؤمن بشيء لابد ان يموت . . لأن احد صفات البشر أنه كائن لابد ان يؤمن . . وأن يؤمن بشيء خارج ذاته . . والصفة الأخرى ان الانسان وظيفته الأولى والأخيرة في الحياة ان يعيش . . يعني لا يموت . . يعيش حياته . . وهذا معناه ادانة لتجارة الموت والحروب والمشاحنات والخناقات . . فالمصرى يلغي ثلاثة أرباع شرور البشرية بهذين القانونين !

● وماذا عن الخناقات الأدبية والصحفية الحالية وما تعكسه من ظواهر ؟

— هي عيبها كما قلت أنها خناقات . . لا خلافات . . نجد كاتبا يسب « مجموعة » من الكتاب . . وهذه غوغائية . . فالمطلوب ان تتحول هذه « الخناقات » الى « خلافات » . . لأن الخلاف أعظم ألف مرة من الخناق . .

★ ★ ★

● الرأى الغالب :

لقد بدأنا نتبنى بعض صفات القطيع . . وهذا واضح في الصحافة الآن . . فكلنا أصبحنا نميل الى تغليب الرأى الغالب . . حينما يهاجم أحدهم مسلسلا نجد الجميع انبروا للهجوم على المسلسل ، بينما كان ينبغي الاكتفاء برأى واحد . . ثم تختلف الآراء . . ولكن هذا لا يحدث . . اما لانعدام الرؤية الفردية ، لأنها تحتاج لقدرة ، وأما للكسل الفكرى . . يأخذ الآراء الجاهزة .

وقد كان يمكن أن يحدث هذا بدون مضار كثيرة ، لولا أنه للأسف ، ساد هذا بين الكتاب . . ان يتحدث عن الاشياء التى يجمع عليها الآخرون ، مع أن المفروض أن ينفرد برأى . . والا لماذا يكتب ؟ اذا كان سيكتب عما أنا موافق عليه ولا خلاف بيننا عليه فما الداعى لأن يكتب . . ؟ انما المفروض ان يقول شيئا جديدا . . أو شيئا مختلفا . .

نحن نخاف من الاختلاف . . وهذا حتى فى الشارع ! مثلا الخناقة التى كنا نتحدث عنها فى الشارع ، تجد الناس يفرقون بين المتخانقين ويفضون المشاجرة ؟ لماذا ؟ لأنهم لا يحبون الاختلاف . . لماذا ؟ ان الخناقة تنفيس . . اتركهما يتضاربان الى ان يصفيا ما لديهما من كبت . . كما يحدث فى الخناقة الانجليزى أو الامريكانى . . ضرب على طول . . وينتهى الموقف . . وقد يتصافيان . . ولكن نحن نتحاشى الصدام المباشر ، ثم يذهب أحدهم ويعمل زومبه فى السر فى الآخر ! ! ولست اعتقد ان هناك لغة أخرى فى العالم فيها كلمة مثل زومبه . . نحن نتداولها فى بساطة ، مع أنها تعنى فى الحقيقة شيئا فى منتهى الجبن وعدم الانسانية ولا يليق بالبشر . .

★ ★ ★

•• الزومبة وطنش والتقارير السرية

وهذا يحتم على الحكومة أن تلغى التقارير السرية . . فهى كلام فارغ . . كيف أكون رئيسا لموظف وأستبيح لنفسى ان اكتب فيه تقريرا سريا ؟ من موقعى كرئيس أستطيع ان استدعى هذا الموظف وأواجهه باسباب عدم ترقيته . . فأولا اعطيه الفرصة ليدافع عن نفسه ، وثانيا اعطيه الاحساس اننى لم أخن ثقته فى .

● لقد دخلت كلمة « زومبه » قاموس اللغة اليومية على غرار كثير جدا من مثلها . . فما تحليلك ؟

— اننا نسهل على انفسنا ارتكاب الحماقات والاعمال الدنيئة بوصفها بأسماء مخففة . فبدلا من يقول له أحدهم « انا دفعت رشوة » يقول أنا رشّيت « بتشديد الشين » . . وفى رأيى أنها جريمة أكبر لأنه فوق ارتكاب

جريمة الرشوة فانه يضيف جريمة تزوير للمعنى وتحريض على الرشوة بتخفيف وصفها بشكل يسهل على الآخرين ارتكابها !

كلمة « تطنيش » أيضا وصفها الحقيقى هو الحديث الشريف « الساكت عن الحق شيطان أخرس » . . فنحن نغلف اللفظ ونحرض عليه . . وأنا اتمنى ان افتح عينى على جريدة الصباح فأقرأ هذا المانشيت القبض على فلان الفلانى لتطنيشه كذا وكذا ! .

● المسئولية الفردية مبدأ اساسى من مبادىء الاسلام . . بمعنى ان الانسان حر فى اختياره وفى قراره ، ولكنه فى نفس الوقت مسئول أمام الله عز وجل عن هذا القرار . . وقد جاءت الفلسفة الوجودية فى هذا العصر . . لتؤكد نفس المبدأ . . فهل ترى ان انسان العصر يقف ويقول أنا مسئول عن الخطأ الفلانى ؟

— كما قلت نحن نميل الى القطيعية بعد ان خفت قبضة الوسائل الشرعية ، وهى العائلة والمدرسة والاستاذ ، على الاجيال . . الاسلام لم يهزم أكبر امبراطوريتين فى عصره بالخاصية القطيعية ، وانما جاء الاسلام ليقوى الفرد المسلم ليصنع من الافراد المسلمين أمة قوية . ولذلك لا يوجد فى الاسلام توكيل لأحد سوى الله ـ عز وجل ـ لا فى الدنيا ولا الآخرة . . ولا يجب مسئولية المسلم أمام الله عز وجل أمير ولا شيخ ولا إمام . . لأن المسلم أمير نفسه . ولهذا فان الذين ينصبون أنفسهم مسئولين عن الآخرين مخطئون . .

●● شارع الهرم . . والمتطرفون :

الذى يقول أنه سيساءل يوم القيامة أنه كان يعيش فى عصر فيه شارع الهرم فى مصر . . نقول له . . ان رجل شارع الهرم سيقف يوم القيامة الى جوارك وسيحاسب ويلقى جزاءه عن مسئوليته عن هذا . . وأنت ستحاسب وتلقى جزاءك عن مسئوليتك لا عن مسئوليته ! لا وصاية من أحد على أحد فى الاسلام . نحن لسنا جلادين على بعضنا البعض . « وإنما المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه

بعضا » فإذا ما أخذ الطوب يحاكم بعضه البعض في هذا البنيان فان البنيان يسقط . يجب ان نتساند ونساعد بعضنا بعضا . لا كهنوت ولا ائمة في الاسلام . كلمة ائمة نحن الذين اطلقناها . ونحن الذين أضررنا بالاسلام وهو دين متحضر . . فيحاول البعض تحويله الى دين متحجر . لا يجب الوقوف في وجه التطور .

● شاهد على العصر . . أم شاهد عصره ؟

● ما هى شهادتك على الواقع العربى الآن ؟

— لا أحب ان أقولها في كلمات . . فالفرق بين شاهد على العصر وشاهد عصره ان الأول يكتفي برصد ما يدور في عصره . . أما الثانى فانه يحاول تغيير هذا العصر الى الأفضل من وجهة نظره طبعا . . وهذا ما أحاوله . . وهو طموح قد يكون مبالغا فيه ولكن . . إذا لم يكن جزءا من رسالة الكاتب طموح ان يبلغ هذه الرسالة ويغير من مجتمعه ـ وفي حياته ـ ليتطابق معها ، فأولى له ان يضع القلم جانبا ويعتكف في مغارة بجبل المقطم !

●● جائزة نوبل

● لماذا هذا الاحساس بالمرارة مع انك ـ وربما يعلن هذا الخبر لأول مرة الآن ـ قد رشحت لنيل جائزة نوبل في الأدب ـ وهذه أول مرة تحدث في العالم العربى ؟

— لقد أبلغونى فعلا بوضع اسمى في القائمة وترشيحى لهذا العام . . ولكن لم أسع لنشر هذا الخبر ولا حتى أقرب الناس الى يعرفونه . . فحين يمنح الانسان جائزة . . فليمنحها . . ولا يجب شغل الصحافة ولا الآخرين بهذا الموضوع . . ولا يجب خلط التقدير بالدعاية . . هذه الجائزة لا تشكل لكاتب حقيقى ـ مهمته الأولى الصدق مع نفسه ـ مكافأة على هذا الصدق . . ولكن من ناحية أخرى هذه الجائزة ليست تقديرا

للأدب العربى لأنه على الأقل يوجد خمسة أو ستة يستحقون هذه الجائزة من زمان . . مثل توفيق الحكيم . . نجيب محفوظ . . طه حسين مثلا أكبر من الجائزة . . زكى نجيب محمود . . جمال حمدان . . وآخرون . . دورهم أكبر من الجائزة كجائزة . . بالعكس أنا اعتبر الأدب العربى الآن وبالذات بعد حركة الاحياء من أعظم آداب العالم . . بل انى أقرر ان حركة القصة القصيرة بالذات . . تكاد ان تكون أعظم مستوى وصلت له القصة القصيرة فى تاريخها كله وفى العالم كله . . ولهذا أنا أقول لكاتبى القصة من الأدباء الشبان الذين يحضرون الى ان الاشكال الفنية لغات داخل اللغة الفنية . . القصة لغة . . والمسرحية لغة والرواية لغة . . وهكذا كما قلنا . . واللغات ليست رسالات . . هل المسألة اظهار البراعة فى اللغة فقط ؟ أم فى مضمون الرسالة التى تحملها هذه اللغة . . الكاتب الحقيقى أكبر من أى لغة . . لأنه خالق هذه اللغة . . بمجهود بسيط يستطيع الكاتب الحقيقى ان يكتب أى لغة . . رواية . . مسرحية . . قصة قصيرة . . وهكذا . . ولكن . . المهم الرسالة . . ثم يتحدث ويكتب اللغة المناسبة (أى الشكل المناسب) بعد ذلك . . وقد حدد القرآن الكريم منذ أربعة عشر قرنا لأول ولآخر مرة مهمة الكتاب ومهمة الكاتب .

● هل لديك اقوال أخرى ؟ !

— أنا مذنب لأننى كنت كبير الطموح فيما يمكن للكاتب أن يحققه فى عمره . بينما الرسالة تحتاج الى أعمار .

● ندعو للدكتور يوسف ادريس بأعمار تضاف الى عمره ليظل يمتعنا بفنه الراقى .

○ ○ ○

أحمد بهاء الدين

ثورة ٢٣ يوليو .. أنقذت مصر من حرب أهلية

* * شاهدنا على العصر اليوم يتمتع برؤية واضحة للعصر، بكل ما فيه من تيارات وقضايا وأحداث .. لا يخشى التصدى بالرأى والفكر لأى قضية .. بدأ من قضايا الحرية وحقوق الانسان .. مرورا بقضية الدين وتعامل العصر معه .. وانتهاء بقضايا الحياة اليومية للشارع المصرى وهو فيها ، دائما ، ذلك الكاتب والمؤرخ والناقد الثاقب الرؤية ، الذى يلمح الخيط الخفى وراءها جميعا .. إنه الكاتب الكبير أحمد بهاء الدين ..

* الشهادة أمام محكمة التاريخ !

بدأ حديثه كمتخصص فى القانون أساسا بقوله : إن كلمة « شهادة » تعني أن يكون الضيف « شاهد عيان » وليس نقلا عن مصادر أو مرجع . . والعصر الذى سأشهد عليه هو العصر الذى عشته . . وهو ينقسم الى ثلاثة عهود :

عهد ما قبل الثورة . . أو العصر الملكى والحزبى

وعصر قيام ثورة ٢٣ يوليو . .

والمرحلة الثالثة تبدأ بنقطة تفوت معظم الناس . . فالناس دائما يقولون عصر عبد الناصر وعصر السادات . . والناس يتحدثون وكأننا مازلنا فى عصر الثورة ! فمن يرى حسنات ينسبها الى الثورة ومن يرى سيئات ينسبها الى الثورة ! والحقيقة أنا اضع الفاصل ليس بين الرجلين . . وإنما أضع الفاصل بعد إصدار الدستور الدائم حينما أعلن السادات فى أحدى خطبه أن مرحلة الشرعية الثورية قد انتهت ، وبدأت مرحلة الشرعية الدستورية . وأسمح لنفسى أن أقرر أننى كنت مشاركا معه فى صياغة هذا التعبير ! وكان هذا فى الواقع إعلانا بانتهاء فترة الثورة بأحكامها الاستثنائية ، وبدء فترة الشرعية الدستورية والعودة الى الحياة العادية .

* متى انتهت ثورة يوليو ؟

معظم الناس يذكرون موعد قيام الثورة فى ٢٣ يوليو ٥٢ ، ولكن الكثيرين لا يعرفون متى انتهت الثورة بمعنى أساليبها وأحكامها وقوانينها . لقد انتهت بأن أعلن أحد أصحاب هذه الثورة ، أن مرحلة الشرعية الثورية قد انتهت وأننا بدانا مرحلة الشرعية الدستورية .

* * *

من هذا الوقت لا يجوز أن نحكتم الا الى القوانين والدستور القائم . . ويجب أن نفهم ان هذا لا يعني انتهاء فكر الثورة ، فقد يستمر الفكر بعد انتهاء الثورة نفسها . . فالثورة الفرنسية مثلا جاءت بمبادىء الحرية والاخاء والمساواة . . وهذه المبادىء والأفكار مازالت حتى الان . . وهى أساس الدستور الفرنسى الى جانب التمثيل النيابى والحكم الجمهورى بالانتخاب وإنهاء الاقطاع . . كل هذا بقى حتى الان . . ولكن عنف الثورة انتهى . .

وهذه النقطة تنازعت عليها كثيرا مع أساتذة القانون الدستورى . . اذ ما هى الثورة ؟ الثورة هى عمل عنيف . . يحاول التغيير بعنف . . إذن هى اجراء غير عادي . . تبدأ بانقلاب على الحكم والغاء الدستور القائم . . وهى بالمنطق العادى اجراءات غير

دستورية . . ! ولكن كل بلد فى العالم فى تاريخه حدث اسمه ثورة . . فالثورة أمران . . مبادؤها . . ورسائلها . . المبادىء يبقى منها ما هو صالح للبقاء . . مئات السنين . . أما وسائلها . . العنيفة . . فطبعا لا تكون مكتوبة فى دستور عادى . . والثورة لها فقه ومنطق وتشريع خاص . . وكل دستور فى العالم تمت كتابته بعد الأحداث ، وليس قبلها . فهو يأتى بعد الحدث ليقننه . . أيضا دستور سنة ١٩٢٣ جاء نتيجة لثورة ١٩١٩ ، وتصريح ٢٢ فبراير الذى أعلن فيه الانجليز استقلال مصر وتحول « السلطان » فؤاد الى « الملك » فؤاد . . وقد وضعت هذا الدستور لجنة من ثلاثين شخصا ، لكى ينظم هذا الوضع الجديد الذى نشأ نتيجة لهذه التغييرات .

* * * *

اذن كان لابد لقيام الشرعية الدستورية الحالية ، من انتهاء الشرعية الثورية . . وذلك لوضع دستور يقنن ما تم إنجازه وما ثبت نجاحه من التغيرات التى أحدثتها الثورة .

هذه هى المراحل الثلاث التى عشتها . .

* * قبل ثورة يوليو وبعدها

* * أعود الى شهادتى ، فأقرر أن الناس فى هذا العصر ينسون ! ينسون ماذا كانت عليه مصر قبل الثورة . . فضلا عن أن الكثيرين الان أو أكثر من نصف الشعب المصرى فى سن الشباب ، وهم معذورون فى عدم معرفة الماضى أو التاريخ الى حد ما . .

ولكن مصر التى نشأنا فيها كطلبة وشباب وأحزاب . . ووجود الانجليز والملك كانت مصر مختلفة تماما عما نحن فيه . . وكانت قضيتنا الأساسية إخراج الانجليز . . أما إخراج الملك فلم نكن نتصور أن يحدث إلا فى حياة جيل اخر بعدنا ! ولكن كان مطلبنا تقليم أظافر الملك على الأقل وتحويله الى ملك دستورى ، بدلا من ملك مستبد يلعب بالوزارات والأحزاب . . أن تجرى انتخابات عادية ، يصل بمقتضاها حزب الأغلبية إلى الحكم ، كالملكيات التى كتبت لها الحياة فى أوروبا حتى الان . . فانها عاشت لأنها تحولت الى ملكيات دستورية .

ولم يكن الانجليز مجرد محتل اجنبى ، وإنما كان هذا المحتل الأجنبى هو الذى يمكن القصر من هذه السطوة ، ومن تحويل الأحزاب الى العاب فى يده .

* * *

القاهرة . . هذه القاهرة !

* الذى أذكره بوضوح جدا أن القاهرة كانت من أجمل المدن وأنظفها ، عدد سكانها حوالى ثلاثة ملايين نسمة فقط ، ولكن ، فى نفس الوقت ، جزء من أسباب جمالها ونظافتها أن قلب القاهرة ، وهو هذه المنطقة التى تضم الان شارع قصر النيل و ٢٦ يوليو وسليمان باشا أوطلعت حرب الى اخره ، كان محرما على الشعب المصرى . لم يكن محرما بقانون ، وإنما كان المواطنون المصريون ، ما عدا القلة من الأثرياء ، لا يستطيعون المشى فى شارع قصر النيل مثلا ، لأنها كانت منطقة أوروبية ! وكان الشعب محجوزا عند أطراف العتبة وما وراءها من الأزهر وعابدين و . . و . . . الى اخره . . وبالتالى كانت منطقة قلب القاهرة فى منتهى الهدوء . . .

** الحفاء !

وكان الشكل العام لما نسميه بشكل مطلق الشعب المصرى هو الجلابية والحفاء ! اننا ننسى الآن ان ٩٠٪ من المصريين كانوا حفاة . . وكانت كل حكومة تأتى تقول فى خطاب العرش ، أى برنامجها ، « وستعمل حكومتى على مقاومة الحفاء » ! بهذا النص فى كل خطاب بلا استثناء ، مما يدل على أنه هدف لم يكن يتحقق ! الحفاء هو العار الذى كنا نراه ، فى حين نجد الان أن أفقر فقير فى القاهرة أو فى الأقاليم يلبس شيئا فى قدمه ، ولو كان حذاء ممزقا ، ولكن أصبح شعوره أنه ليس من كرامته أن يسير حافيا فى الطريق ! هذا يعكس التطور الاجتماعى الذى حدث . وقد أدى انتشار التعليم والتصنيع الذى أظهر طبقة العمال الفنيين والحرفيين الى الدفع بجموع ضخمة من الشعب المصرى من الجحور التى كانوا يعيشون فيها الى سائر أنحاء القاهرة . . لذلك نراهم جميعا الان يرتادون قلب القاهرة . .

● وفى الواقع أن الثورة حينما قامت كسرت حاجزا هائلا كان قائما وأطلقت طاقات شعبية ضخمة . . وفى هذا أنا أعتقد أن الثورة قد جنبت مصر حربا أهلية . .

* ثورة بيضاء بدلا من حرب أهلية

إن السنوات القليلة التى سبقت الثورة كانت حافلة بأحداث العنف : متفجرات ، نسف سينما مترو وبنزايون وشيكوريل ومصانع ومرافق كثيرة ، كان العنف جزءا من حياتنا ، وكانت هذه السنوات حافلة باغتيالات السياسية ، وحافلة بالاضرابات من كل الفئات . . حتى بلغ الأمر ذروته باضراب ضباط البوليس ! وهذا قمة السخط ، فضلا عن إضراب الأطباء والممرضات و . . و . . كل الفئات عبرت عن سخطها العام لضياع العدل الاجتماعى وهم يرون البلد تباع وتشترى وتتحكم فيها أقلية . وقد اعتصم ضباط البوليس أثناء إضرابهم فى حديقة الأزبكية فى قلب القاهرة . . ولم يبق من الفئات إلا الجيش الذى عبر عن غضبه يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، والجيش هو الأداة القادرة على التغيير . . هذه هى المرحلة الأولى التى أشهد عليها . .

* الحياة الحزبية

نعم كانت توجد أحزاب وحرية فكرية نسبية لتعويض بقية أنواع الظلم والاستبداد ، ولكن النظام الحزبى كان غريبا . . وكان الحزب الذى يمثل الأغلبية الساحقة فى مصر ، وهو حزب الوفد ، أقل حزب تولى الحكم فى مصر ! ففى فترة تمتد أكثر من ربع قرن ، تولى الوفد الحكم أقل من ست سنوات ، وبقية السنوات كانت تحكمها أحزاب الأقلية صنيعة القصر والانجليز . وكرد فعل لهذا السخط العام ، كانت توجد حركات ناشئة مثل مصر الفتاة والاخوان المسلمين والحركات الماركسية ، وكنت طالبا بالجامعة وبعيدا عن الانتماء إلى أى منها ، وإن حاولت فهمها جميعا . . مع أن أبى كان وفديا . . لذا كنت متعاطفا مع حزب الوفد .

والمؤرخون يسمونه العصر الليبرالى ، لأن الفكر فيه كان أوسع حرية ، وكان به تحرر فكرى أكثر من أى وقت جاء بعد ذلك . . ولكن حتى سبب هذه الحرية سبب سلبى مع الأسف ! لماذا ! لأن وقتها كان القراء من ؟ كانوا الافا قليلة . . لو الجريدة وزعت عشرين ألف نسخة كان هذا يعتبر توزيعا ضخما ! لو باع كتاب للدكتور طه حسين ثلاثة الاف نسخة فقد كان يعد نجاحا شديدا ! بحكم الواقع الاجتماعى كان عدد الذين يقرأون ويكتبون ويهتمون اقلية . . نخبة . . وهم عادة أوسع افقا ، ويتقبلون بسهولة الاراء المختلفة . . ولا خطر من الآراء . . . ! اما وقد أصبحت الجريدة توزع فى هذا العصر مليون نسخة ، والكتاب يطبع بعشرات الالاف ، ودخل سوق القراءة ملايين جديدة غير مهيئة من قبل للثقافة وتبادل الرأى والاختلاف . . فقد وضع هذا قيدا جديدا على الكتابة الى جانب قيد السلطة . . يعنى أنا أقول أن الكاتب فى بلادنا ، وفى العالم الثالث عموما ، محشور بين سلطتين : سلطة الحكم حسب نوعها ، وسلطة القارىء الجديد غير المؤصل ، وهو قارىء أمامه فترة ليست قصيرة ليصبح لديه من سعة الأفق ما يجعله أهلا لأن يتقبل حوارا بين رأيين دون تشنج أو تعصب أو اتهام أحد الأطراف بالخيانة أو الالحاد أو العمالة ، الى اخر قائمة الاتهامات العصرية !

فى ٢٣ يوليو الثورة جاءت فقلب الهرم الاجتماعى . . وبالتصنيع والاصلاح الزراعى والشعارات المرفوعة ، فئات كثيرة من الشعب المصرى وجدت نفسها فى وضع جديد ، وأخذت تطالب بحقوق ، وصارت موجودة فى كل مكان بالبلد وفرضت وجودها . . .

* وزراء اليوم . . أبناء أى طبقة ؟

إن معظم الوزراء الذين حكموا بعد الثورة هم أبناء الفقراء الذين دخلوا الجامعة وتفوقوا فاصبحوا أساتذة جامعات ، أو من كبار المهندسين أو العلماء ، وهم الذين تولوا الحكم من بعد الثورة حتى الآن . . فى حين كانت مناصب الوزارة قبل الثورة قاصرة على النفوذ الانتخابى والعلاقة بالقصر وبالانجليز ، وكان هذا مقصورا على فئة قليلة ممن نسميهم الأعيان والاقطاعيين وأولاد الذوات . . والباشوات . . وهذا مظهر آخر من مظاهر التغير الاجتماعى الهائل . .

إن الذين يشغلون الآن مراكز رؤساء مجالس الادارات والهيئات والبنوك والوزراء . . كلهم ما كانوا ليصلوا الى هذه المناصب لولا قيام ثورة ٢٣ يوليو ، التى أرى أنها لو لم تقع بهذه الطريقة السلمية التى قامت بها ، لحدثت حرب أهلية مدمرة بعد ٢٣ يوليو بسنة أو اثنتين أو خمس على الاكثر ! ويكفى أنه قبل الثورة بأسبوع واحد . . شكل الملك فاروق حوالى أربع أو خمس وزارات فى أقل من شهر . . وقد أصبح ثابتا تاريخيا

الآن أن أحدى هذه الوزارات تغير رئيسها وجيء باخر بنصف مليون جنيه تم دفعه الى الملك ! كانت المسائل بهذا الهوان ، وهذا بعد معركة القنال التى سقط فيها شهداء البوليس المصرى فى الاسماعيلية برصاص الانجليز ، وإلغاء معاهدة ١٩٣٦ وحريق القاهرة . . فى وسط هذه الأحداث الجسيمة ، كان يحدث هذا الهزل فى الحكم .

* ماذا اخذ على الثورة

دون الدخول فى تفاصيل كل قانون وكل مشروع . . أنا اخذ على الثورة أنها ركزت على تحرير الانسان المصرى وتغييره اقتصاديا فقط . . فتحت له الجامعات وأعطته فرصة التعليم وأقامت له المصانع . . الى اخر هذه المشروعات ، ولكنها لم تحاول أن تخوض بنفس القوة ، معركة تطوير هذا الانسان المصرى معنويا وثقافيا وفكريا ، لكى يكون مؤهلا لتلقى الثقافة الجديدة ، وللمشاركة الجديدة . .

لو بسطنا الموضوع ، نجد أن الملايين التى أطلق عقالها وأصبحت منتشرة الآن فى كل أنحاء القاهرة ، نأخذ عليها الكثير فى سلوكها العام ، فى عدم الاهتمام بالنظافة أو عدم احترام قوانين المرور أو ما أسميه بالأخلاق الاجتماعية . . هذا الانسان لم يكن يكفيه أن نعطيه الفرصة المادية ليصبح فى هذا الوضع ، وإنما كان لابد أن يواكب هذا ، محاولة جادة أيضا للتهذيب والتعليم ، ليس بالمعنى المدرسى طبعا ، وتغيير القيم والعادات ، أو بمعنى اخر ركزنا اهتمامنا على التنمية الاقتصادية للانسان المصرى وأغفلنا التنمية البشرية . . ونحن نعرف أن الرسول صلى الله عليه وسلم غير قوما من البدو الجاهلين الى هذه الأمة العظيمة . . ونجد فى أحاديثه وتعليمه للناس أنه كان يغير هؤلاء القوم ويعلمهم أشياء نتعجب لها الآن ، مثل استعمال السواك ونظافة الثوب وجماله حين نذهب الى المسجد . . يربى أخلاقا اجتماعية لديهم . . يأمرهم بازالة الأذى أو إماطة الأذى من على الطريق . . وهذه هى القيادة الى جانب الرسالة السماوية . . أن يحدث هذا المجتمع عن النظافة ، وعن السلوكيات الصحية للأكل والشرب مثلا « نحن قوم لا ناكل حتى نجوع واذا أكلنا لانشبع » فهو يتكلم فى الصحة والعادات والتقاليد . .

لقد جاء موسى وعيسى عليهما السلام بالقيم الانسانية العليا ، أما محمد صلى الله عليه وسلم ، فانه النبى الوحيد الذى صنع دولة وحكمها وقادها . . وجد أن عليه أن يغير شعب هذه الدولة . وحين خرج جيش هذه الدولة ليحارب الفرس والروم لم يكن مثل جيوش القبائل التقليدية ، بالميمنة والميسرة والقلب والقائد . . وأصبحوا يقبلون هذا القائد أيا كانت قبيلته . وحينما يأمر عمر بن الخطاب بتغيير هذا القائد على عظمته ، مثل خالد بن الوليد فان خالد يقبل فورا . . هذه أخلاق اجتماعية جديدة تماما على شبه الجزيرة العربية فى ذلك الوقت . .

نحن لم نفعل هذا . . لأنه عمل نبى ، لكن نحن أعطينا دفعة طموحات وآمال للشعب المصرى فى حقه فى الحياة ، ولم تصاحب هذا تربية . . اجتماعية وأخلاق اجتماعية جديدة وكانت هذه هى المشكلة . .

* وندفع الآن ثمن هذا الخطأ

الآن . . فى مرحلة الشرعية الدستورية والقنوات الشرعية ، بدأنا ندفع ثمن غلطات كثيرة . . على رأسها عدم التربية الاجتماعية التى صاحبت التقدم المادى . . فبعد أن عودنا الناس على أن العمل هو القيمة الأساسية ، أصبح العمل هو آخر قيمة . . واختلطت القيم فى ذهن الناس . . فقد أعدنا الحرية بطريقة أعادت فجأة أمراضا كثيرة من بينها الفوارق الاجتماعية ، وظهور فئات تثرى وتغتنى بشكلب فاحش بوسائل غير طبيعية أو بوسائل تقوم على الاستهلاك المبالغ فيه ، الذى لا يقوم على طاقة انتاجية كالفرق بين الانسان السوى الذى يشترى من السوق بقدر دخله ، والانسان السفيه الذى يشترى كل ما يتمناه أو « نفسه فيه » ثم يكتشف أنه عاجز عن الدفع ! فيقع فى سلسلة الديون ويدفع ثمن هذا باهظا ، وتعود الفوارق الاجتماعية الى الاشتداد مرة أخرى . . هذا هو فى رأيى الجانب السلبى فى مرحلة الشرعية الدستورية التى نعيشها ، وهى فترة مازالت تحت التهذيب والتشذيب والتطوير !

* القوانين والاجراءات الاستثنائية

نحن فى مرحلة الشرعية الدستورية . . وهذا شىء يجب أن نلزم أنفسنا به ، كما يجب أن نلزم به سلطات الدولة ومؤسساتها المختلفة . وهى مرحلة ، بطبيعة وصفها انها شرعية دستورية ، تحتاج الى التغيير والتطوير ، ولكن من خلال الدراسة والنمو التدريجى ، وليس من خلال الاجراءات الاستثنائية العنيفة ، والمسموح بها فقط فى الفترات التى تسمى الشرعية الثورية .

* الطبقات الجيولوجية الفكرية

اننى أشبه المرحلة الحالية بمرحلة علاج وتصحيح لفترة أنطلقت فيها غرائز الناس ورغباتهم وشهواتهم بلا ضوابط . وبالتالى اختلطت القيم اختلاطا شديدا مما أوجد حالة من الفوضى الذهنية والنفسية لدى المواطن . . . ونحن فى مرحلة توجد فيها على قيد الحياة أجيال متعاقبة تعيش معنا هنا فى نفس الوقت . . جيل ما قبل الثورة وجيل

الثورة ، وجيل الشرعية الدستورية . . كلهم باختلاف آرائهم هنا . . وهذا يندر فى تاريخ الدول أن توجد فيها هذه الطبقات الچيولوچية المختلفة ، وكلها على سطح الأرض . . وليست مدفونة . . لذا يحدث ما يسمى التمزق والبلبلة . . ومصدرها الاختلاف الشديد فى خلفيات الناس الموجودين من كل الفئات .

* * *

واعتقد أنه وقد تم فتح باب الحوار فى هذه المرحلة وتحت الضوابط التى تشذب الشرعية الدستورية ، ولا تفسرها على أنها غابة ، القوى فيها يأكل الضعيف . .

اهم ما يحدث الآن هو أن هذا الجدل يمكن أن يؤدى الى درجة من « الغربلة » للأحداث والاراء ، ودرجة من التفاهم . . لا أقصد أن يكون كل الشعب المصرى على رأى واحد ، لأن ذلك لا يوجد فى أى بلد فى العالم ، لكن على الأقل يجب أن نجد ثلاثة أو أربعة تيارات عامة نستطيع أن نعرفها .

ولكنى ازعم أن أهم شىء لا نقوم به الآن هو دراسة الصورة الجديدة والتكوين الجديد للمجتم المصرى . . القرية الجديدة اختلفت تماما عن القرية القديمة . . بحكم أشياء كثيرة . . الذين خرجوا من القرية للتصنيع ، والذين سافروا للدول العربية وعادوا باموال اشتروا بها سلعا وأجهزة وغيره ، واكتشاف الناس أن الكسب من التجارة أسهل من الأنتاج . . وأن الفلاح الذى يستطيع أن يفتح « بوتيك » أو « كشك » يوفر على نفسه أن يعزق الغيط من الفجر الى الليل ! ليس لدينا حتى الآن دراسات علمية جادة لكى نعرف الخريطة الاجتماعية الجديدة لمصر . لم يقم بهذا حتى الآن لا وزارة ولا جامعة ولا هيئة أو مؤسسة علمية ولا حزب سياسى ! إن لدينا نقصا خطيرا فى البيانات والمعلومات والاحصائيات والبحوث الميدانية التى تعتمد على سؤال الناس مباشرة .

* مذكرات الساسة والوزراء

● بهذه الرؤية الواضحة وهذا التحليل السياسى للعصر يتفجر سؤال عن ظاهرة موجودة حاليا قد يكون لها شكل التحليل السياسى الذى قمت به الآن ، لكنها اثارت تعليقات كثيرة ، وهى ظاهرة كتابة الوزراء والسياسيين والصحفيين الذين عاصروا فترات الحكم المختلفة ، مذكراتهم . . التى ينشر بعضها خارج مصر . . فما رأيك وتعليقك ؟

— انا شخصيا أرحب بشدة بكل هذه المذكرات التى صدرت أو ستصدر . . بصرف النظر عما فيها من حقائق أو أنصاف حقائق . . لأن المذكرات فى النهاية شخصية . . لذلك لا يمكن أن تكون موضوعية ولا يجب أن نرفضها من أجل ذلك . .

بعض الصحف تشن حملة على أصحاب هذه المذكرات على أساس انها تضم بعض أسرار الدولة مثلا . .

وانا فى الحقيقة فى حيرة . . لأن هؤلاء الصحفيين أو الكتاب الذين يهاجمون ، هم أنفسهم دائما يطالبون بكشف الأسرار واذاعة الحقائق على الناس والكتابة بحرية ! فاذا جاءت بعض هذه المذكرات لا توافق رأيهم أو هواهم اذا بهم يطالبون بالحجر على حق الكتاب والسياسيين فى كتابة مذكراتهم ! بينما كانوا يرحبون بمذكرات كيسنجر ويحتفلون بها . . وايضا نيكسون وكارتر . .

فاذا حدث ذلك من مصريين فانهم يهاجمونهم على أمرين : أولا مبدأ الكتابة فى حد ذاته . . وانا أعتبره أحد حقوق الانسان ، بل إنه ضرورة يجب أن نطلبها منهم . .

والأمر الثانى أنهم ينشرون هذه المذكرات فى دور نشر أجنبية أو فى صحف عربية . .

أنا أقول لو كانت دور النشر والصحف المصرية مستعدة لنشر هذه المذكرات لما نشروها فى الخارج . . ولكننا مازلنا نحاكم هذه الأشياء بآرائنا الشخصية . . مع أن نشر مذكرات لشخص ليس معناه انك تتبنى آراءه !

بل إن من حقك التعليق عليها وأن تهاجمها كما يحدث فى الخارج !

المهم الا نتناقض مع أنفسنا . . فحين يطالب كاتب بحرية التعبير . . وإذاعة الحقائق ، ثم لا تعجبه هذه المذكرات ، لا يجب أن يطالب برؤوس كتابها .

* حيرة شباب العصر !

● هذا يأخذنا الى قضية حيرة شباب العصر أمام تعدد وسائل معرفة الحقيقة فى هذا العصر . . فهم أمام مثل هذه المذكرات . . من ناحية . . وأمام أجهزة الاعلام الحكومية . . وصحف المعارضة . . وإذاعات العالم . . وهم يتساءلون . . ممن يعرفون الحقيقة ؟ ومن يصدقون ؟ !

— الحقيقة أن هذه الأسباب ـ لو أعتبرت أسبابا للحيرة والبلبلة ـ ستزداد رغم أنفنا جميعا ! نتيجة لثورة الاعلام والاتصالات فى العالم . . بحيث اخترقت الحدود . . فقضية المنع هنا ليست واردة كعلاج اطلاقا . . . منع الحقائق غير وارد . . وانما هى قضية تحصين . . كيف نثقف المواطن ونكون لديه بآراء صحيحة وتمرين عقلى صحيح وتعويده على عادات ذهنية صحيحة أن تكون لديه الحصانة ازاء هذا . . انها كالحصانة أو المناعة أو التطعيم الطبى . . فبالتحصين بالحرية نتفادى هذا . . لأن الشاب المصرى حينما يجد من حقه أن يقرأ الآراء المختلفة هنا . . فلن نجد فيما يراه على التليفزيون المخترق الحدود جديد . . وذلك فى المستقبل . . ستتكون لديه مع الزمن أداة

للحكم على الأشياء . . بعد ذلك عليه هو أن يكمل المهمة بتثقيف نفسه . . بالقراءة . . بحيث تصبح قيمة يعترف بها أن البيت الذى يقرأ جريدة ليس كالبيت الذى لا يقرأ . . والذى يشترى كتابا ليس كمن لا يشترى . . وأن الذى يذهب لمشاهدة عمل فنى ليس كالذى لا يذهب . . حين نهتم بايجاد قنوات تعليمية فى الأذاعة والتليفزيون . . حين . . وحين . . وحين . . الى آخر هذه الأشياء التى تضمن الحصانة للانسان المصرى . . ولكن تعال للواقع . . أى بيت ريفى مصرى يحب أن يشترى تليفزيون . . فماذا يرى على شاشته . . فضلا عن المسلسلات والأفلام الأجنبية . . يفاجأ بالاعلانات تهاجمه . . وتقول له اشتر كذا . وكذا وكذا . . سلع غريبة عليه وليست فى متناوله . . وهو رب أسرة . . أطفاله يتساءلون طبعا لماذا لا نشترى هذا ؟ ! لقد وصلنى مرة خطاب من مواطن يقول فيه « ان هذا الأمر ليس فقط خطرا على الأسرة ، ولكنه شىء يتحدى رجولة رب الأسرة

* الموقف العربى والدور المصرى

الموقف العربى حاليا فى الحضيض . . وأظن أنه لم يحدث فى فترة من الفترات أن كانت هناك هذه الكمية من الخلافات والمقاطعة والتنابذ ، وأحيانا الحروب الحقيقية بين الدول العربية ، كما هو حادث الآن . . والبلاد العربية عاجزة عن أمرين أساسيين :

الأول أن تتفق على أولويات القضايا العربية ،

ثانيا أن تتفق على استراتيجية شاملة لأى بند من بنود هذه الأولويات . . ولكن كل البلاد العربية تتصرف ازاء الأحداث من يوم ليوم ، وبالتالى دورنا هو فقط رد فعل . . ورد فعل دائما متأخر على ما يفعله الآخرون على أى مستوى !

* * *

● دور مصر أساسى فى العالم العربى . . ومقاطعة مصر هى أهم أسباب هـذا الضعف المستشرى فى الجسد العربى . . ولكن أتمنى دائما أن يفرق الحكام العرب بين أمرين : الخلافات بين الحكومات والمصالح القومية الأساسية . . فاننا نجد أوروبا الغربية تبنى أنابيب غاز قادمة من الاتحاد السوفيتى رغم اختلافهما السياسى . . ولكن لا أحد يتصور ، ولا هو جائز فى القانون الدولى أن يقوم الاتحاد السوفيتى مرة بقطع الغاز عن غرب أوروبا !

أما نحن فحين تختلف دولة عربية مع دلة عربية ، فانها تسارع مباشرة الى وسائل انتقام تمس مصالح البشر . فحين اختلفت سوريا مع العراق ، بدأ اغلاق الحدود

بينهما ، بينما من قديم الأزل ، كانت مدينة حلب فى سوريا مصدر التصريف الأساسى والتصدير لشمال العراق لقربها من البحر . . ثم إغلاق الحدود الجوية وإيقاف خطوط الطيران . . أو تقفل سوريا أنابيب البترول التى يعتمد عليها العراق . . هذه أشياء لا تجوز . . إننا نجد فى غرب أوروبا السوق الأوروبية المشتركة بين دول فيها خلافات حادة جدا . . سياسيا واقتصاديا . . لكن لم تنسحب إحدى هذه الدول من السوق مثلا ؟ فهذا هو الأسلوب لذى اتمناه للدول العربية . . فلنتشاجر كما تشاء ، ولكن لتبقى الشرايين الحيوية الطبيعية كما هى .

* * *

تعريف جديد للوطنية

● هل ترى أننا نحتاج لتعريف جديد للوطنية فى هذا العصر ؟

— لم يعد الوطن فى هذا العصر شيئا مجردا يصعب تحديده . . لم كان فى رموزه كما كان . . فقديما كانت الوطنية هى العدوان والغزو . . أما اليوم . . فاننا نريد أن نحب مصر من خلال حبنا للمصريين . . هذه هى الوطنية الجديدة . . مصر . . بشعبها . .

الوطن فى الواقع أرض وأسلوب حياة . . لكن آخر تعريف له هو التعريف الجغرافى . . يعنى لو كانت مصر فى القطب الشمالى بلدا جليديا كنا سنحبها ! ولكن المهم أن مقياس العالم اليوم فى التقدم والتخلف لم يعد القوة العسكرية والقدرة على الغزو ، وإنما هو مستوى معيشة المواطن معيشة كريمة . . كما نرى فى الدانمرك . . مثلا . . ولكنى ضد الذين يرفعون راية مصر وحب مصر لإخفاء آرائهم السياسية الأخرى ازاء كيفية النهضة بالشعب المصرى . . إننى أقرر أننى إذا كنت أحب مصر فاننى أحبها من خلال شعبها ، من خلال العمل على نهضته وتنمية مصالحه والارتفاع بمستوى هذا الشعب . . التغنى بنيلها وظلها الظليل مقبول وضرورى ، ولكن ليس على حساب هذا الشرط !

زمان كان الشعب الروسى جائعا ويعتبر من رقيق الأرض ولكن كان القيصر يستطيع أن يرسل جيوشا تهدد باريس ! وكان هذا يسمى وطنية ! الان لم تعد هذه تعد وطنية . . الوطنية هى مستوى الشعب ورقيه . . انجلترا باعت الامبراطورية حينما اكتشفت أن هذه الامبراطورية ستؤثر فى مستوى شعبها ! فالعصر ليس عصر امبراطوريات وانما عصر شعوب . . فمن يحب مصر حقا عليه أن يحبها من خلال حب مصالح شعبها . . حبا موضوعيا وليس حب انشاء وشعر وأغانى !

المعارضة المصرية

* ماذا تأخذ على أحزاب المعارضة المصرية ؟

— ليست أشياء كثيرة . . لكن قد يكون فى ذهنك ما يقوله البعض من أن المعارضة يجب أن تكون بناءة وهادفة وأن تقدم حلولا . . وأنا لست من هذا الرأى ، فهذه ليست مهمتها . . المعارضة هى المعارضة . . ونحن لم نصل الى مرحلة النضج السياسى بحيث تكون لأحزابنا برامج لا تتغير بتغير الأشخاص . . ولكن أحزاب المعارضة المصرية ليس فى ذهنها أن تصل الى الحكم يوما ما ! وذلك لأنها لا تعبر تعبيرا حقيقيا عن التيارات الواسعة الموجودة فى الشارع المصرى حتى الآن . . !

العلم . . والتكنولوجيا قبل فوات الأوان

* وألخص شهادتى على العصر فى سطور قليلة ، فأقول اننا فى عصر على المستوى العالمى فيه ثورة علمية بالغة الضخامة والخطورة . . سيلحق بها فريق من دول العالم فيكتب لها مواصلة التقدم فى الطريق . . وسيسقط فريق من هذه الدول من حالق . . ! وأعتقد أن بلادنا مؤهلة للتركيز على هذه العلوم المتقدمة التى تغير العالم الآن ، وأن نكون منتبهين الى ما يسمى بالثورة الالكترونية ، والثورة الثالثة أو ما بعد الصناعية . . هذا هو الطريق

نجيب محفوظ

لو استمر التدهور . . سيأتى السياح للتفرج علينا بدلا من اثارنا !

يقولون عن شاهد هذه الحلقة أنه حينما يمسك بالقلم فانه يكون فى أحسن حالاته . . كالفارس المحنك حينما يمتطي صهوة جواده . . فيجول ويصول . . اما حينما تنزع منه قلمه ، وتضطره الى الحديث الشفوى ، فكأنك سلبته سلاحه وجواده معا . . ولذلك سندعوه الى الكتابة الصوتية ، او الكتابة بصوت مسموع . فالى عالمه المصرى الرحيب نقترب . . والى شوارع وأزقة القاهرة ندخل . . وبعضها أصبح عالميا حينما صورها قلمه . .

كانت تلك المقدمة محاولة منى لاستفزاز الكاتب الكبير نجيب محفوظ الى الأفضاء بحديث شفوى طويل صريح . فالمشهور عنه أنه لا يجيد الحديث أمام الميكروفون . . وكم حذر الأذاعيون بعضهم البعض من هذه الصفة فيه . . ويبدو ان الاستفزاز آتى ثماره . . . فقد صال وجال . . وانفعل واحتد . . . وهدأ وثار . .

وقال : بشكل عام يخيل الى أننا نعيش عصر انتقال طالت مدته بسبب ما صادفنا فى السياسة الخارجية من عقبات ومتاعب . . وأنه نتيجة لثورة ٢٣ يوليو وما غيرت فى وسائل الانتاج ، والعلاقات الاجتماعية ، وما ترتب عليها من تغيرات ، تعرض المجتمع وما زال إلى تغير مماثل فى القيم والمعاملات والرؤى الاجتماعية والثقافية والروحية . . كيف انعكس هذا على العصر وفى أى الأشكال ؟ تراجعت مثلا طبقات برمتها وبرزت الطبقة الوسطى ، ولحقت بها طوائف شعبية جديدة ، ثم جاء الانفتاح والتغيرات الاقتصادية الأخيرة ، فقلبت الموازين . . بحيث أصبح مكان الطبقة الشعبية القديمة طبقة الموظفين الآن ، تعلوها الطبقة الوسطى ومعها الحرفيون وفوقهم التجار ورجال الصناعة والمال .

● ما مدى اختلاف صورة القاهرة بين « الثلاثية » و « الحب تحت هضبة الهرم » .

— اختلاف شاسع . . القاهرة زمان كانت محدودة ، قليلة السكان ، أنيقة المظهر . . أما قاهرة اليوم فهى من التضخم أصبحت عسيرة الهضم .

مثلا :

أنا لا أعرف أجزاء كثيرة فى القاهرة الآن وممكن أن أتوه فيها . . زحام وضجيج ومواصلات مكتظة . . متضخمة وكأنها متروكة لقدرها بدون أى تنظيم أو دفاع . قاهرة زمان كانت تقوم على الطبقات الشعبية من أهل الحرف . . وكانوا فقراء ، وبعض الموظفين ، ثم السادة من كبار الملاك والاريستوقراطيين المعزولين عن باقى الطبقات . . اليوم نجد الصناعات ورجال الأعمال والعمال والحرفيين الذين انتعشوا أخيرا . . وهذه ايجابيات . . أيضا كثرة المدارس جانب إيجابى . . ولكن الجوانب الايجابية تحتاج لتنظيم . مثلا العمال . . مطلوب تأهيلهم لمواجهة الآلة الحديثة ، وكذلك الحرفيون . . . التعليم مكتظ ، ولكن بلا عناية بالتدريس ولا بالمدرسة . . لكى يصبح التعليم مجانيا فعلا . . لأنى أخشى أنه جاءت فترة أصبح أسمه « لا تعليم بمصروفات باهظة » . . نحن

نريده تعليما حقيقيا . مدرسة زمان كان بها ملعب كرة ومكتبة ومجلة وفريق موسيقى وتمثيل وخطابة . . . ورحلات أسبوعية . إننا فى المرحلة الابتدائية رأينا أمجاد مصر رؤية العين . . الآثار الفرعونية والاسلامية والقبطية . . التليفزيون ينوب الآن عن المدرسة فى هذه المهمة خاصة للغالبية من الأميين . . ولكن هذا يختلف عن أن ترى الواقع نفسه وليس مجرد صورة له . . لقد كنا نشارك إيجابيا فى الحياة الاجتماعية والسياسية . . وقد وجدنا فى أعقاب ثورة شعبية وهى ثورة ١٩ ـ قام بها الشعب . . لذلك كانت كل القوى الشعبية فى حالة خلق وإبداع وعمل . . فولد الاقتصاد المصرى ولادة طبيعية ، والفن والثقافة والعلم وهكذا . .

* * * *

● القلق . . الضياع . . الغربة . . اللا انتماء . . . مصطلحات أصبحت ادانات لصيقة بهذا العصر . . فهل هى فعلا جزء من « تركيبة » هذا العصر ؟

— لدرجة كبيرة نعم ! على قدر ما نستطيع أن نزعم أننا نفهم هذا العصر . . وأسباب ذلك معروفة . . فى الخارج . . بعد الحروب وخيبة أمل الناس فيما أعقبها من سلام وقلق . . ولأنهم غالبا فقدوا الايمان الدينى ولم يجدوا بعد ما يحل محله ، حدثت هذه التصدعات التى تجد جذورها فى الفلسفات الأوربية الالحادية . . بالنسبة لبلادنا . . لم يحدث انفصال عن العقائد الدينية ، ولكن السياسة لعبت دورا هاما فى هذا . . . فالثورة ، أى ثورة ، مثل أغلب الثورات فى العالم الثالث ، كانت ثورات شمولية ، حيث تتضخم الدولة . .لأنها هى التى تقوم بالتخطيط والاصلاح ، ويتضاءل دور الفرد والمشاركة الشعبية ، لأنها لم تكن ثورات ديمقراطية . .

من هنا كان الأحساس بالغربة والقلق وضعف الانتماء فى الشباب أسبابه الأولى سياسية . فضلا عن أن العالم قد أصبح فى شبه وحدة بسبب ثورة وسائل الاتصال الحديثة ، مما ساعد على تسرب فلسفات العالم الأخرى الى بعض المثقفين . . حتى لأسباب غير نابعة من بيئتهم . . فتضافر العنصران لأبراز ظاهرة الضياع والقلق وعدم الانتماء .

* * * *

الانسان المصرى . . وهذا الجيل

الأجيال الحديثة تحتاج منا الى عناية كبرى . يجب الاعتراف أننا ، ربما رغبة منا فى اتاحة فرصة التعليم للجميع ، لم نحسن تعليم أحد ! وذلك بسبب زحام المدارس وعدم اعداد المدرسين الأكفاء ، فأصبح تعليما ناقصا والتربية انعدمت . . من الخير الذى تضمره الدولة ، ينشأ شر لم تكن تفكر فيه . . فقد أرادت أنْ تضمن عملا لكل خريج . . وهذا شىء جميل ، ولكن كانت نتيجته البطالة المقنعة التى نشكو منها . .

الأنسان المصرى الآن لا يهتم إلا بذاته . . خاصة الشباب . . وممكن علاج هذا بخلق المدرسة السليمة . . وتدريب الحرفيين .

أزمــة الثقــافة

● هل حقا لدينا ظاهرة ازمة ثقافية ؟

— نعم بلا شك . . وجزء من هذه الأزمة له أسبابه العالمية ، وهو تغير وسائل الثقافة فى العالم وانتقال قراء الكلمة الى مستمعين ومشاهدين . . . والمشاهدة تراعى الامتاع والتسلية أكثر من الجدية . . لأن طبيعة العرض تقتضى ذلك . . هذه ظاهرة عالمية . . جاءت لنا ونحن فى حالة تختلف عن أوربا المتحصنة بمناعة ثقافية ، كما أنهم فى أوربا أستطاعوا خلق أدب إذاعى وتلفزيونى راق . . أما عندنا فلم نفعل ذلك ، بالأضافة لانعدام المناعة بسبب أخطاء التربية والتعليم . . جيلنا لقنوه عشق الكلمة المكتوبة فى المدرسة . . كنا نحفظ قرآنا وشعرا . . وكان أساتذتنا المعممون يعتبرون أنفسهم حفظة اللغة وسدنه التراث . . وكانوا يضيفون الى المقرر من عندهم من منابع التراث . . وكان فضلهم علينا كبيرا لأنهم عرفونا بالأدب قبل أن نتعرف على طه حسين أو العقاد أو غيره . . . أما اليوم فقل لى ماذا يتلقى ابنك فى المدرسة ؟ أو ما الذى يحببه فى القراءة ؟ لا شىء . . ! بل يمكن العكس ! فظهر جيل ليس من عشاق الثقافة الجادة . . « ما صدق » وجد التليفزيون والراديو ووسائل التسلية فانصرف إليها . . . . ومن جهة أخرى فان الثورة ، أى ثورة ، من طبيعتها أن تحمى نفسها ضد أى أفكار مضادة ، خاصة فى بدايتها ، لذلك تجد أن حرية الفكر قد عانت . . ولذلك أصاب الفكر كبح جامح ، فلم توجد فى الثلاثين عاما الأخيرة مغامرات فكرية كما وجدت فى أعقاب ثورة ١٩١٩ . .

أيضا جاءت على الثورة تيارات ، وإن كانت متكاملة ، ولكنها متناقضة بعض الشيء . . ففي وقت من الأوقات سادت الروح اليسارية ، فحجبت اليمين ، ثم اعتدلت فحجب اليمين اليسار ـ فأصبحت القوة الثقافية المصرية تطير دائما بجناح واحد . . وجناح مقصوص . .

اضف الى ذلك الانفتاح وسوء الحالة الاقتصادية ، والغلاء ، وغلو الكتاب . . تجد أن القاعدة التى ظلت على وفائها للثقافة الجادة المكتوبة صادفت عقبة جديدة فى غلو الكتاب . . كل هذه العوامل أصابت النهضة الثقافية . . ولذلك أصبح مناخنا الثقافى عليلا يحتاج لعلاج . إنما من حسن الحظ أن القوة الانتاجية فى الشباب غزيرة وقوية ومتنوعة . . فنحن لا نشكو من الابداع من الأفراد . . وإنما من الجمهور القارىء ومن مناخ التحيز السياسى .

المواهب الجديدة بخير . . وتشق طريقها للنشر بشتى الطرق . . ولكنها تمر فى جو مظلم معاد لا يعطيها حقها . .

● ولكن . . هل المواهب الجديدة تعكس عصرها ؟

— فعلا . . أجد هذا فى كل ما قرأت . . وعلى سبيل المثال لا الحصر . . جمال الغيطانى ، صنع الله ابراهيم ، مجيد طوبيا ، وجميل عطية ، واسماعيل ولى الدين . . وفى الأسكندرية تجد سعيد سالم ، ومحمد الجمل ، وعبد الله الوكيل . . كلها مواهب لا تحتاج الا إلى المناخ .

● هذا ياخذنا إلى تقييمك لموقع الأدب المصرى من الأدب العالمى ؟

— حينما أدعى للكلام فى هذا الموضوع أجد نفسى « غير مفتوحة » ! هل وصلنا الى الأدب المحلى لنتكلم عن الأدب العالمى ؟ أقول أنه سيكون لدينا أدب محلى حينما يستوفى شرطين ، كاتب أصيل وجمهور . من حيث الجمهور ٦٠ ٪ أميون ، والأربعون فى المائة الباقون منهم لا يزيد عن خمسة فى المائة يحبون القراءة ! ومن حيث الكاتب ما زلنا نتطلع إلى شكل عربى أصيل يظهر ويتميز بين الأدب العالمى كما تميز فن الأرابيسك مثلا فى الفن التشكيلى العالمى . . ثم ماذا تظن فائدة العالمية ؟ أليس بالكثير أن يحصل أديب منا على جائزة نوبل ؟ أيغنى هذا عن علاج التدهور الثقافى الموجود ؟

● وكيف يحصل على هذه الجائزة جارسيا ماركيز ولا يحصل عليها أحد من عمالقتنا :

— ألا يجوز أنه يخيل إلينا فقط أنهم عمالقة ؟ ! ! !

● ● الرواية . . وعصر السرعة

● استاذ نجيب محفوظ ، يسمى البعض عصرنا « بعصر السرعة » وقد اقلمت الرواية الطويلة نفسها لتلائم ايقاع العصر . . فكيف كان الأمر بالنسبة إليك ؟

— إن صح أن نطلق صفة السرعة على الحضارة الأوربية او العالمية ، فأننا لا ينبغى أن نطلقها بنفس الدرجة على البلاد النامية . . ومع ذلك ، فقد تأثرنا . . وعن نفسى أقول أن الايقاع الذى كنت أكتب به تغير . . فقد أصبح أوجز وأسرع . . والمدهش أننى كتبت رواية تتناول حياة أجيال فى ثورة ١٩١٩ وهى الثلاثية فى ألفى صفحة ، وحينما أردت كتابة رواية مثيلة لها تتناول ثلاثة أجيال أيضا من هذا العصر ، وهى « الباقى من الزمن ساعة » لم تستغرق أكثر من مائتى صفحة ! هل هو عنصر السرعة ؟ ربما . . ولكن بالأضافة لذلك فان الفرد لم يصبح مهما بذاته . . أن تمسك بشخصيته مثل « أحمد عبد الجواد » لتصفه من شعر رأسه إلى أخمص قدمه لم يعد موجودا الآن . . لم يصبح للفرد أهميته المركزية السالفة . . بل أصبح مجرد أسم وظيفة . . وموقف . . وكأنها رؤية عامة وليست رؤية خاصة تفصيلية . . لقد تراجع دور البطل الرئيسى . . وهذا واضح ايضا فى كتابات الشبان . . اختفت بلورة وعملقة الفرد . . بل أن هذا الفرد العملاق لم يعد موجودا فى الحياة المعاصرة نفسها . . لا يوجد عمالقة ! !

●●●

قضية العصر

● اريد أن اسالك . . بم يتفوق جيل العصر عن جيلك ؟

— ربما بمغامرات فكرية لم تكن موجودة أيامنا . . لأننا كنا أصحاب قضية واحدة هى القضية الوطنية . . أما الآن فقد تعددت الأيدلوجيات . . لقد دخل جيلنا فى معركة كانت جديدة أيامنا وهى معركة اللغة . . وهل تصلح الفصحى كلغة للرواية والقصة ؟ كانت مشكلة حاولنا تذليلها . . الجيل الحديث استفاد من هذا الصراع ، وابتدأ محررا من حيث انتهينا . . فجاءت لغته اكثر خصوصية وأكثر فردية وأكثر أبداعا . .

● وما قضية الجيل الحالى ؟

— قضية الشعب قبل الدولة . . وقضية الأمة قبل الأمم الأخرى . . وقضية الفرد للخلاص من ضياعه وقيوده . . فهو أدب أكثر ثورية من أدبنا . . رغم أن أدبنا كان شعاره ثورة ضد الأجنبى

● وهل ادباء الجيل واعون لهذه القضايا ؟

— بالتأكيد . . بل أؤكد لك أنهم أكثر وعيا . . ففي جيلنا كان الوعي ينبثق من عدم الوعي . . بمعنى أن الكاتب كان يخيل اليه أنه يكتب قصة غرامية ، فتخرج قصة طبقية مثلا ! أما الآن فالوعي بالقضية أوضح وربما الثقافة أكثر . . المهم العبرة بالنتيجة الفنية لا الوعي أو عدم الوعي بالقضية . .

الشارع المصرى

● لو ترجمنا الظواهر التي رصدتها عن العصر في هذا اللقاء إلى مشاهدات مرئية في الشارع المصري . . ماذا تكون ؟

— طبعا الزحام غير المعقول . . وعدم النظافة . . والمطبات . . والأرصفة المكسرة . . وأزمة المواصلات . . كل خطوة بمعاناة . . وكلها ظواهر حديثة . . وإنسان العصر يعاني أكثر من أسلافه . . وإن كان لكل عصر همومه . . ولكن كانت الأعصاب أهدأ ، والحياة أيسر ، والثقافة أكثر تنوعا . . والملاهي أكثر .

● ● ●

أغنية العصر وظاهرة أحمد عدوية

● ما رأيك في أغنية اليوم ؟

— لا تنس أنك تتحدث الى رجل له تذوق كبير لكل أنواع الغناء . . وأجد سعادة كبيرة في سماع التواشيح العربية . . أو أم كلثوم وعبد الوهاب . . كذلك عبد الحليم حافظ . . وبعد اختفاء عمالقة الغناء الذين رحلوا . . لاحظت أنني فقدت حماسي لمن يتبعونهم في مدرستهم الفنية ... لأنني تعودت على العمالقة . . والأفضل أن أستمع الى شيء جديد أو مختلف حتى لو لم يكن في نفس عملقة الراحلين . . فأحيانا أستمع الى الفرق الحديثة التي استبدلت الآلات الحديثة بالتخت التقليدي . . مثل نوح والمصريين والأصدقاء . . وأجد فيها جمالا . . أيضا هناك أغاني حديثة الأذاعة تقاطعها مثل أغاني عدوية . . أجد فيها كلاما وألحانا « تمشي معايا » أيضا ! واطرب لها وأجد صلة بينها وبين فوضى العصر . . أو هي ترجمت فوضى العصر في قالب غنائي جميل ! مثلا حينما تسمع (نار يا حبيبي نار فول بالزيت الحار) يخيل إليك أنه كلام فارغ ، ولكن في الواقع ، حينما تسير وسط مجاري طافحة . . ألا يكون له حينئذ معنى ؟ !

● ولكنك طبعا لا توافق على أن تحتل هذه الألوان خريطة الغناء في مصر ؟ !

— يجب أن تعلم أن هذه الأغنيات لم تنشأ من فراغ . . ألا يسمعها الملايين ؟ نعم . . .

إذن فهى غناء . . أم تظن أن الغناء هو ما يعجبنى أو يعجبك فقط ؟ ألا يسمى الذى يعجب الملايين غناء ؟ !

• • •

الفن والانفتاح

● استاذ نجيب محفوظ . . هذا الرأى يطرح قضية الجمهور . . وهل تقدم للجمهور ما « يريده » أم ما « يحتاجه » وفرق كبير بين الاثنين ؟

— لقد طوحت بنا بهذا الحديث - دون أن تدرى - لما يقال عن المسرح الحديث والسينما الحديثة . . لقد امتلأ السوق بالحرفيين الذين أغناهم ربنا . . أولا أن ربنا اغناهم فأنا أسعد الناس بذلك . . ! فقد ظللنا طول عمرنا عاملين كتاب واشتراكيين من أجل العمال والحرفيين . . فلا يصح أن نغضب حينما يفتح عليهم ربنا ! بالعكس . . أنا أعتبر أنه من حسنات الانفتاح - مهما قلت فيه - أنه كان خيرا وبركة على هذه الطبقات . . وأنا أدعو لهم بالمزيد . . طيب . . أليس من حقهم الحق فى التسلية مثلنا ؟ طبعا . . وقد جاءهم الرزق . . ولكن لم تأت الثقافة بعد . . وهم يحتاجون فنا يناسبهم الى أن تصلهم الثقافة . . وقد جاءهم هذا الفن فيما يقدم الآن من أغانى عدوية أو مسرحيات فكاهية أو أفلام عادل أمام . . ماذا يغضبك أنت فى ذلك ! ! !

اكتف أنت بعدم مشاهدة هذه الفنون « الهابطة » كما تسميها !

● ● سيد درويش

● ● أم كلثوم

وللعلم كان هناك دائما فنان أو نوع من الفن فى مصر والعالم . . فن عماد الدين ورمسيس للمثقفين . . وفن فى روض الفرج للطبقات الشعبية . . والى جانب سيد درويش

وأم كلثوم وعبد الوهاب كان يوجد شكوكو والجزايرلى . . المسألة ببساطة أن الحرفيين ملأوا سوق المشاهدة والاستماع والفرجة فخيل للناس أنها ظاهرة جديدة . . هذه

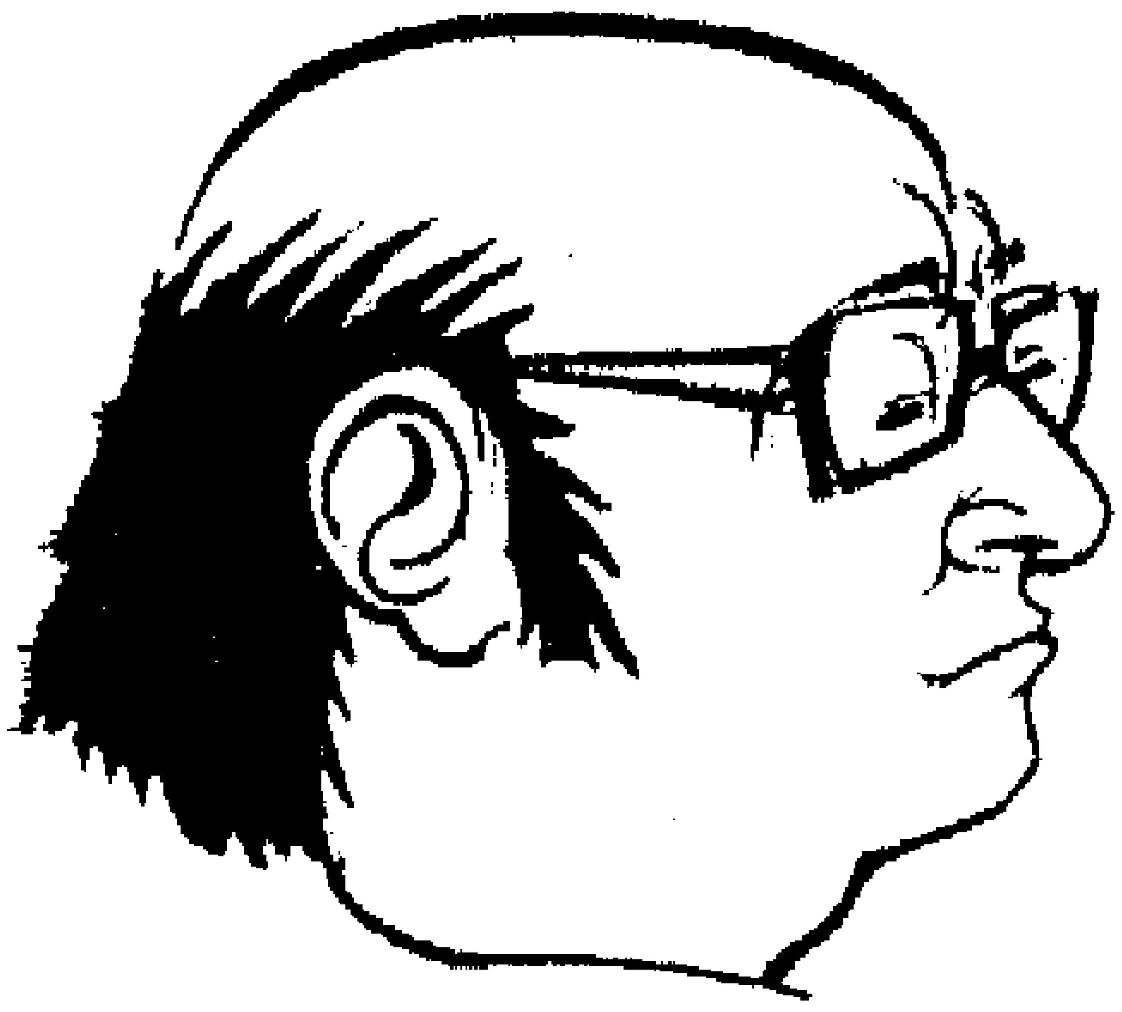

● ● عبد الوهاب

● ● شكوكو

واحدة . . أما النقطة الأخرى . . فان حبهم للمسرح والسينما . . أيا كانت درجة هبوطها . . أفضل من أن يحبوا شيئا فارغا . . هذا مكسب . . بل إن أولادهم يتعلمون اليوم في الجامعة الأمريكية . . وستخرج منهم طبقة مثقفة جديدة . . يصبح المسرح والسينما من تقاليدها العائلية ! فتساعد على رفع الفن . . إذن هي مرحلة فقط لا تخيف أحدا عاقلا . .

● هل لديك أقوال أخرى ؟

— أريد أن أقول أن أمتنا تجابه الآن تحديات مماثلة للتحدى الصليبى والاجتياح التتارى . . ليس لنا أعداء في قوتهم . . ولكن العدو الحقيقى الأسوأ من كل هؤلاء هو التخلف في عصر السرعة العلمية الذى لا يعرف الرحمة . . وإذا لم نلحق أنفسنا . . فأن السياح ، الذين يأتون للتفرج على بلادنا . . سيأتون غدا للتفرج علينا ، باعتبارنا شعبا تخلف عن الدنيا . .

ونحن نملك مقومات التحدى منذ تحدينا الطبيعية وأخضعنا النيل وأنشأنا الحضارة .

○ ○ ○ ○

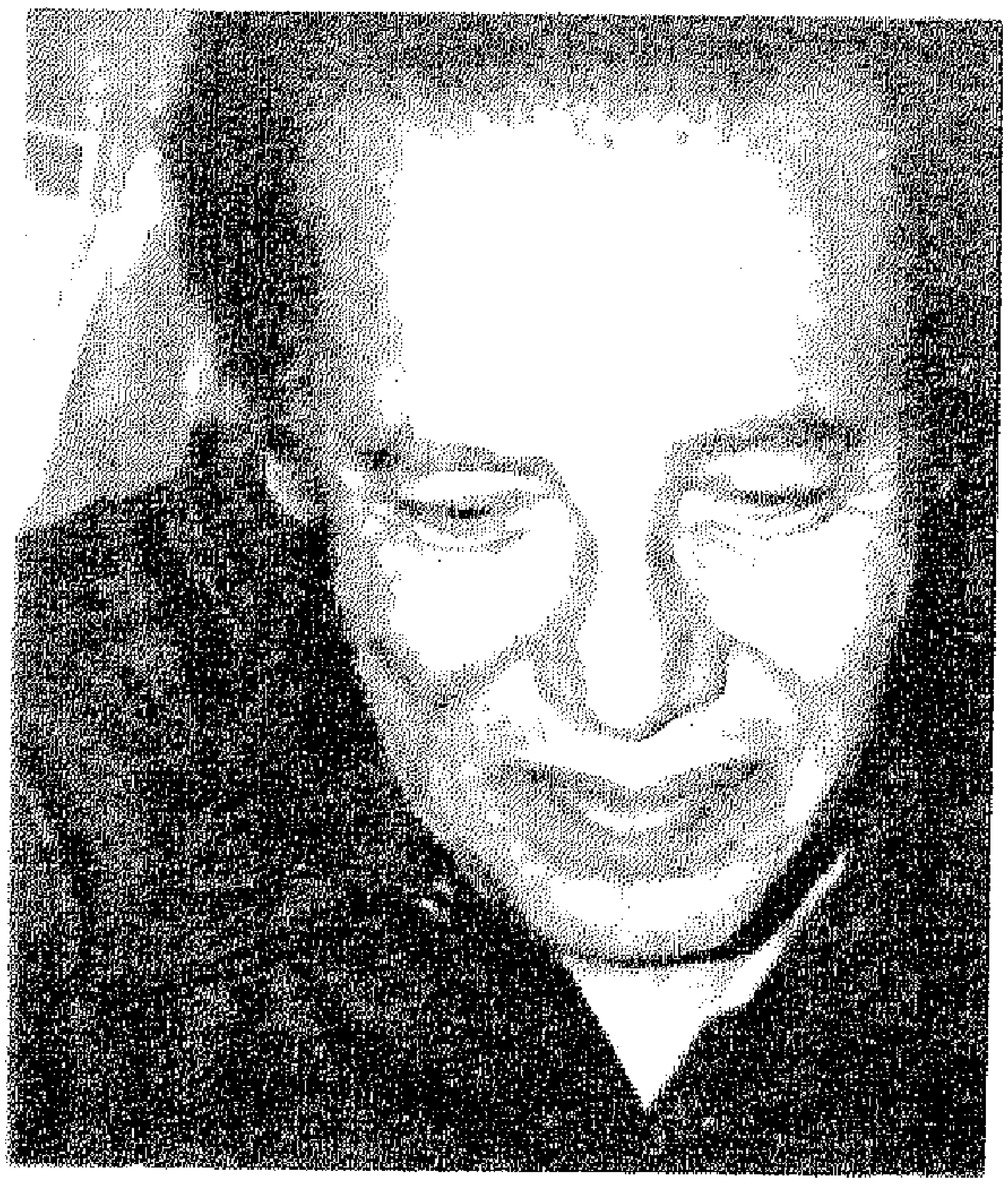

الدكتور مصطفى محمود لماذا هذه الزوبعة حول نظرية التطور ؟ !

ضيفنا اليوم هو أحد اثنين (والثانى هو الشيخ الشعراوى) استطاعا النفاذ الى كل عقل وقلب فى هذا العصر . . فمؤلفاته من أكثر الكتب توزيعا . . وأحاديثه يلتف حولها الصغير والكبير ، والمتعلم وغير المتعلم والمسلم وغير المسلم . . انه المفكر الدكتور مصطفى محمود . .

قلت له فى البداية . . لست أدرى من اين تبدأ شهادتك على هذا العصر الذى يموج بالأفكار والظواهر الجديدة التى تتنازع انسان العصر ؟

ونظر الى قليلا ثم قال :

الحقيقة أني كراصد ينظر الى هذه الدينا من تلسكوب ، أحس أنه قد حدث شيء ما فعلا . . أول انطباع الآن هو احساس الزحام . . والايقاع السريع . .

. . زحام . . زحام . . زحام :

كل الناس تجرى وتتدافع بالمناكب . . ليس فى القاهرة فقط . . وانما فى العالم كله . . لقد زرت لندن من ربع قرن وزرتها الآن . . فأحسست بفرق كبير . . ليس فقط الزحام والتدافع والايقاع السريع . . وإنما أيضا المادية الملحوظة بشكل خطير . . فمنذ خمسة وعشرين عاما رفض سائق التاكسى الانجليزى أن يأخذ منى بقشيشا . . أما هذه المرة القريبة ، فان سائق التاكسى « لطش » منى عشرة جنيهات اخذها ليفكها ، ولم يعد !

اذن هناك تحولات أخلاقية فى الفرد . . مادية وعبادة للمال فى كل مكان . . ربما بسبب الحالة الاقتصادية السيئة والغلاء . . فأصبح الأمر يحتاج لدخل أكبر والدخل يحتاج لجرى ونشاط ، بينما ايقاع الحياة السريع لايعطى فرصة التقاط الأنفاس . . أضف الى هذا الانفجار السكانى وزيادة الطلب مع عدم زيادة المعروض أو الانتاج . . فأصبح التقاتل على نفس اللقمة والبدلة تقاتلا مسعورا . . العالم كان تعداده ألفى مليون فأصبح خمسة مليارات تقريبا . . الصين تخطت الألف مليون وحدها . . وقد أصبح الصنم الجديد المعبود هو فاترينة المواد الاستهلاكية التى يتحلق حولها الناس بشوق مسعور فى كل مكان بالعالم .

● ● ●

. . التطرف الدينى :

ولكن المذهل أنه رغم حديثنا عن هذه المادية . . فانك تلتقى فى الشارع بذقون وعكاكيز ، ورجال مقصرى الأثواب حسب السنة ، أو فتيات محجبات ، وأحيانا « منقبات » ! وهذا تناقض عجيب . . وهذا المنظر يوهم بأن التدين قد وصل بهم الى مداه . . .

وأحب أن أقول أن هناك فرقا بين الدين وبين شكل الدين . . فالدين ، بمعناه الحقيقى ، مجموعة أخلاق . . علم وعمل ومكارم أخلاق . . فعامل الله والناس من خلال هذه القنوات الثلاث . . الدين هو علم بالله عز وجل . . ولاتناقض بين علمنا بالله وعلمنا بمخلوقات الله . . كله علم . . وكل علم تحصله يضيف لرصيدك فى الدين . . والاسلام دين التسامح والرحمة والمودة . . أما أن يخرج لك من جوف التاريخ جماعات ، صورة الدين عندها أن تحمل رشاشات ومدافع ، وتقتل ، وتحاصر الكعبة ،

وأحدهم يدعى أنه المهدى . . أو جماعة أخرى تكفر المجتمع ، فان الأمر يحتاج لوقفة ! لأن المسألة شكلها دين ولكنها ليست على علاقة بالدين !

● ● كيـف ؟

- إن الاسلام فى مفهومه الحقيقى ليس انقلابا . . والا كان حصل فى ٢٤ ساعة . . وكان ممكن النبى صلى الله عليه وسلم يطلع فى مكة ، ويقوم بانقلاب عسكرى فى ساعات وينتهى الأمر . . ولكن هذا لم يحدث . . لقد ظل النبى صلى الله عليه وسلم فى مكة يدعو بالموعظة الحسنة ثلاثة عشرعاما . . بل انه قوبل بالاضطهاد فصبر عليه ، وأوذى المسلمون وصبروا . . فكأن الله يريد أن يعلمنا جوهرية معنى الدين وانه ليس انقلابا عسكريا . . النبى لم يضع خنجرا فى ظهر أحد ليجبره على الاسلام ! وانما ظل يسالم حتى من يعاديه . . فالدين ليس انقلابا ولا ثورة . .

● ● كيف يادكتور ونحن نعرف ان الاسلام كان ثورة شاملة ؟

— اذا كان الاسلام يتضمن معنى الثورة ، فهى ثورة على نفسك أولا . . وعلى شيطانك وسلبيتك وفرديتك واثرتك وشهوتك ، أى ثورة على مملكتك الحيوانية الداخليةأولا ، والا تبقى كل دعوتك كلاما وشعارات . . . ويقال لك ابدأ بنفسك . .

● ● اليس الاسلام ثورة على المستوى الاجتماعى ؟

— اننى أتحدث عن الجوهر لا الشكل . . الدين فى معناه الحقيقى اشراقات قلوب واستنارة باطنية . .

تبدأ أولا بأن تحكم نفسك - ثم تنقل ذلك للناس - ليس بالمسدس والارهاب وانما بالحكمة والموعظة الحسنة من استنارتك الداخلية . . أذن المواصلة بينك وبين الناس لن تكون انقلابا عسكريا . . ولا حشدا لجيش . . لم تحدث حرب فى الاسلام الا بعد صبر ثلاثة عشر عاما حينما أصبح المسلمون مهددين بالانقراض . . ومع ذلك بدأوا بالهجرة . . ثم أذن لهم بالدفاع عن أنفسهم . .

اذن المعنى الانقلابى الذى رأيناه فى محاولات الجماعات المتطرفة هو تزييف . . لقد كذبوا على الله وعلى أنفسهم . . والدليل أنهم لايمثلون الدين أو الحق فى شىء ، أن الله أحبط ماصنعوه . . أليس الله يقول :

« وان جندنا لهم الغالبون » ؟

لو كانوا جند الله والحق ما أحبطهم الله !

● ● اننى اتصور انهم لو استمعوا إليك الآن لقالوا انهم خسروا معركة . بمنطقهم . .

— وأين هم ؟ ! لقد انتهوا . . إننى ضد القهر والارهاب . .

لقد حسم الله الموقف بقوله « لا إكراه فى الدين . . قد تبين الرشد من الغى » . . فلا يمكن أن تخرج على الناس بمرسوم ثورى يحولهم فى ٢٤ ساعة الى فضلاء !

● ● ●

الشارع المصرى مستفز

●● ولكن . . فى رأيك . . ما أسباب هذه الظاهرة ؟

— لاشك أنه أحيانا ما يكون شكل الشارع المصرى مستفزا !

الشاب يتخرج من الجامعة ومرتبه بسيط ، لايصلح للزواج واقامة البيت ولا حتى مجرد الحياة ! المرتب كأنه بدل بطالة . . وهناك فروق وتفاوت ضخم فى الدخول . . ويقرأ أن فلانا عنده ١٢٤ مليون جنيه مثلا . . يذهب الى السينما فيفاجأ بالعرى والجنس . . يسمع أغنية يجد التلميحات الجنسية . . بينما هو غير قادر على الزواج . . فتحدث له ردود فعل عنيفة . . بعض الاغانى فيها دعوة صريحة للجنس . . فتنقلب عنده المسألة الى أن يقول « لقد كفر الناس . . دول كفار . . احنا نهدها بقى ونخليها ضلمه » لأنه لا يستطيع العيش فانه يريد أن يهدها على الكل . .

أيضا شيوع وانتشار الانتهازيين والوصوليين والمتسلقين . . وملاحظة أن القريبين من أصحاب النفوذ هم الدين يصلون والشرفاء لايصلون . . وهى من بين التبدلات التى أعقبت ثورة ٢٣ يوليو وما افرزته من طبقة جديدة وصلت الى الثراء السريع نتيجة قربها من أصحاب النفوذ أو لأنها كانت الهتافة والوصوليين والانتهازيين ـ بينما تخلف المخلصون الى آخر الركب . . هذه الصور تستفز الشباب . . وهو طبعا يبحث عن ذرائع . . أوراية يستتر وراءها ليهد الدنيا « ويخليها ضلمه » . . فكانت كلمة « لا إله إلا الله » هى الراية والذريعة لهذا الشباب .

●● أصابع أجنبية وراء الظاهرة :

والواقع أن الكثيرين من هؤلاء الشبان استدرجوا بحسن نية . . لأن هذه الظاهرة لاتخلو من أصابع ماكرة وجهنمية وليست مصرية . . لأننا كمصريين غير متطرفين . . وفينا الاعتدال والوداعة . . فاذا رأيت هذه الظاهرة الدموية فتأكد أن وراءها أصابع تحركها وتصرف عليها . . دول أجنبية يهمها أن تظل هذه المنطقة من العالم موطنا للصراع والدموية . . ولعلك تلاحظ أن شكل الخريطة العربية الآن لا يسر . . ! تكاد كل دولة أن تكون فى حرب مع جارتها . . والغريب أن يقف رئيس لبنان « أمين الجميل »

ويقول أنه اكتشف أن الاسرائيليين حريصون على تقسيم لبنان وعلى الايقاع بين المسلمين والمسيحيين . . وانهم يهيجون التناحر الطائفي . . يقول ذلك زعيم لبنان المسيحي . . إذن هذا دليل على وجود أصابع أجنبية بالفعل تحاول اثارة الحزازات وتقليب الطوائف بعضها على بعض والنفخ في أنواع التطرف المختلفة ولا تنسى أن صناع السلاح العالميين يهمهم بقاء مناخ الحرب والشجار . . وما أيسر هذا بالتستر وراء الدين !

• • •

•• الاسلام هو الحل العالمي :

•• لعلك لمست الآن في هذه الاجابة موضوع المواجهة بين الاسلام وبين متغيرات العصر في العالم ؟

— لا . . لقد تناولت الى الآن شيئا شكله دين ، ولكنه ليس الدين الحقيقي . . أما الاسلام الحقيقي فهو الحل للعالم كله . . لأنك تجد فيه الحلول الاقتصادية الجذرية . . التي تشتمل على أفضل ما في الرأسمالية وافضل ما في الاشتراكية . . ولكن انطلاقا من حرية الارادة . . بدون نظم بوليسية ولا قهرية ، وانما كلها مبنية على قناعة الفرد وايمانه بالحساب في حضرة الله عز وجل . . وخشيته من الله بالغيب . .

وفكرة القطاع العام موجودة في الاسلام . . فالثروات التي في باطن الأرض مثل المناجم مثلا كانت تعتبر ملكا للأمة الاسلامية . . واستخراجها عمل من أعمال الدول وهو « الركاز » . . والغنائم كانت قطاعا عاما يوزع على الناس . . وأيضا القطاع الخاص كانت فكرته موجودة لأن الملكية حقيقة . . لم يكن يوجد نزع ملكية في الاسلام . . ولكنها حرية لها ضوابط . . لك أن تتملك ماتشاء . . وأن تتاجر وتكسب ، ولكن للفقير حقا في مالك . . ليس فقط الـ ٢½ ٪ وهي الزكاة . . وانما الانفاق أيضا بكل مستوياته . . والحاكم يقدره للمصلحة العامة . . سواء كانت دفاعا أو مصالح أو انشاءات أو خدمات . . وهي ما نسميه الآن ضرائب . . والدرجة الأعلى من ذلك هو أن كل مازاد عن حاجتك لا تحتفظ به « يسألونك ماذا ينفقون . . قل العفو » أي كل مازاد عن حاجتك . . اذن هي مستويات متعددة من الانفاق تبدأ من الحد الأدنى . . وهو الزكاة . . ثم الانفاق الضريبي الذي يحدده الحاكم ، ثم انفاق الانسان المسلم باختياره لما هو زائد عن حاجته . . لا تجد هذا في أي نظام . . والناس يتهربون من الضرائب الحديثة . . أما في الاسلام فان الأساس أن الضمير هو الحارس . هذا من الناحية الاقتصادية . . أم من الناحية العلمية . . فبالاضافة الى أن الاسلام احترم

العلم وحض عليه ، الا أنه وسع رقعة العلم ، فقد اعترف بالعلوم الطبيعية والانسانية ، وحتى علم النفس :

« وفى أنفسكم أفلا تبصرون »

واضاف لكل هذا العلم بالله عز وجل :

« فاعلم أنه لا إله إلا الله . واستغفر لذنبك » .

اذن الاسلام أضاف للحضارة فعلا . . وهو الحل الحقيقى لكل المشاكل .

●●●

●● الاسلام . . فى المواجهة العالمية :

حال المسلمين حاليا دون المواجهة . . لأن الخريطة الاسلامية مفككة والدول الاسلامية مختلفة مع بعضها البعض . . ونظمها تكاد أن تكون نظما شخصانية . . والدين الموجود الآن هو شكل الدين فقط ! كما أن الأوضاع الاقتصادية فى معظم هذه الدول ضعيفة جدا وتهددها الانفجارات السكانية .يكفي أن كل الدول العربية تستورد لقمتها وسلاحها . . انك تعتمد فى سلاحك على العدو . . فكيف تكون كفؤا لمواجهته فى لحظة المواجهة ؟ ! سيمنع عنك السلاح والقمح . . فتضطر الى الاعتماد على معسكر آخر . . لو لم تعطك أمريكا ستأخذ من الاتحاد السوفيتى . . وهكذا تفقد عدم انحيازك . انك مضطر الى أن تاخذ منهم القمح والسلاح . . فلابد من نهضة واصلاح اقتصادى . . ولابد من هدنة تستعد فيها ، وتصلح بيتك . . وتعمل صناعة سلاح . . وزراعة . . ولابد من حد أدنى من الاتفاق بين الدول العربية . . ولابد من أن تصالح أسرتك العربية كلها ، وتتفقوا على كلمة سواء . الى أن يحين ذلك الوقت فاننا محتاجون لهدنة نلتقط فيها أنفاسنا .

●●●

المواجهة الحقيقية

أما المواجهة الحقيقية التى نحن مطالبون بها الآن فهى نهضة وتوعية بالمعنى الحقيقى للدين . . الدين ليس معناه أبدا أن العلم كفر والمدارس كفر ، كما تقول الجماعات المتطرفة الآن ، وانما الدين معناه علم بالدرجة الأولى . تتلقى العلم ولو من

الصين ، ولو من عدوك . . نريد علما وعملا ومكارم أخلاق ، ونهضة كاملة ، ودعاة قدوة . . اننا نحتاج الى احياء . . احياء معانى الدين الحقيقية فى النفوس .

العلم والايمان

● ● هل آن الأوان لالتقاء العلم والدين فى هذا العصر . . بمعنى أن القرن التاسع كان قرن الشك فى الدين . . وأن القرن العشرين هو عصر الشك فى كل المسلمات بما فيها مسلمات العلم ؟

— نرجو أن يلتقى العلم والدين . . وهذه هى رسالتنا . . لكن الواقع . . أنهما لم يلتقيا بعد . . مازال الكثيرون يقولون « علم ايه ! يكفينا كتاب الله » وهم يتصورون أن الدين شيء والعلم شيء آخر . . وللأسف أن عددهم كبير . . لايعلمون أن معنى الدين الحقيقى هو خلق انسان موسوعة . . مثل ابن سينا مثلا . . الطبيب الشاعر الأديب . . الفلكى . . الصوفى . . الخ ابن رشد ، جابر بن حيان ، الرازى ، ابن الهيثم . . كل واحد منهم كان موسوعة . . وكل واحد منهم يمثل المسلم الحقيقى . . لم نر أحدا منهم متدينا فقط أو عالما فقط . . وانما يجمع بين الاثنين . . والمعنى هو : أن تكون مسلما أى أن تكون موسوعى العقل . . لقد أصبح ابن سينا مرجعا . . وهذا هو معنى العلم والايمان . . .

● ● الم تهز نظريات الكوانتم والخطأ والاحتمال الثقة فى مسلمات العلم فى القرن العشرين ؟

— تأكد أن حقائق العلم الأساسية لاتتعارض مع الدين . . فليس كل العلم تخمينا وظنا . . انما الثوابت فى العلم لاتتعارض مع الدين . . مثل كروية الأرض . . أما العلم الظنى الذى مازال فى طور الاجتهاد والبحث فانه لايقوم حجة على الدين لأنه لازال خاضعا لكلمة « الله أعلم » ولكن الله قال (قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق) فهل عرف أحد كيف بدأ الخلق ؟ لم يعرف أحد بعد . . ولكننا مطالبون أن نسير وندرس ونبحث ونجتهد . . لقد حاول داروين ، ولكن نظريته ماتزال تخمينا . . ولكن الله عز وجل أمرنا بالسير فى الأرض ، وهو يعلم أننا سنصيب ونخطىء . . ولكنه يقبل منا الخطأ لو اجتهدنا وفكرنا . . .

● ● ●

الاعجــاز العلمى للقــران

● ● لعلك لاحظت انتشار كتب التفسير العلمى للقرآن الكريم ؟

— شيء طبيعى فى بلد كان الملوك يبنون فيه من أجل الموت ! الفراعنة بنوا الاهرامات من أجل الموت ، بينما تندهش لو عرفت كيف كانوا يعيشون ؟ ! الأسرات الفرعونية القديمة كانت تقطن فى بيوت شديدة التواضع . لكن أمام الموت يبنون الأهرامات والمعابد الضخمة ويستعدون لما بعد الموت بتجهيزات وغذاء وعتاد . . لقد كان كل اهتمامهم بما بعد الموت . . ان الانسان المصرى « مركب » أساسا على حكاية الموت وما بعده . . فلا غرابة اطلاقا على الاهتمام بالدين وان يظل الكتاب الدينى سيد الكتب !

● ● خاصة كتب الاعجاز العلمى الآن . .

— لأنها لغة العصر . . فنحن فى عصر العلم والفضاء . .

● ● علماء الدين يبدون عدم رضى عن محاولات التفسير « العصرى » للقرآن الكريم . . مثل محاولتك فى كتابك الشهير . . ويقولون انه كما أن للطبيب أدواته ، وللمهندس والمحاسب أدواته . . كذلك المفسر له أدوات لايجب أن يهملها . . فلابد له من التمكن من الفصحى لغة القرآن . . وان يحفظ القرآن . . ويدرس اسباب وتاريخ نزول الآيات . . وأن يدرس الناسخ والمنسوخ . .والحديث . . ورواته . . وهكذا . . كما يتهمونك انت والمفسرين العصريين بتحميل القرآن الكريم مالا يحتمل . .

— لقد كانت تفسيراتنا العلمية خاصة ببعض الآيات الكونية فقط وليس بالقرآن ككل . . آية تتكلم عن الجنين مثلا . . آية لابد أن تمر على متخصص فى الطب . . آية تتحدث عن الشمس لابد أن تمر على متخصص فى الفلك . . لأن الأزهرى الذى درس البديع والبيان والاعراب سوف يفهمها فى حدود ما درسه . . ولكن أهم ما فيها لن يفهمه الا متخصص . ولكنهم يرفضون أن يقوم المتخصصون بتفسير الاعجاز فى هذه الآيات الكونية القليلة ! ان آية « يخلقكم فى بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق فى ظلمات ثلاث » تحتاج الى عالم أجنة ليقول ما هى الظلمات الثلاث . . لابد أن ينورنا ! ان الأزهرى الذى أجاد اللغة وأدواتها لم يشرح البطن ولم يعرف الرحم . . فله حدوده ، ولابد أن يستعين بالعالم المتخصص . . ولكنه يتصور أن القرآن حكر وكهانة ، ولكن الله عز وجل يقول : « ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر » أى أن الله يسره وسهله لمن يفهم . . وهم يريدون تصعيبه ! لقد أتاح لنا العلم الاطلاع على آفاق جديدة . . ونزل الانسان على القمر . . فلماذا لا نعرف ما وصلوا إليه . . ؟

لا يجب عزل فهم القرآن عن المعطيات العلمية لكل عصر . . أما ان أحصر فهمه فيما قاله السلف فغير معقول . . السلف على عينى ورأسى . . ونحن نعيش على فتات موائد السلف . . ولكن الزمن اختلف . . وتقدم العلم واتسعت آفاقه . . وأتيحت لنا معلومات جديدة . . فهل لنا دور أم انتهى . . الكلام فى القرآن الكريم ؟ هل القرآن للسلف وحدهم ؟ انه معجزة لكل العصور . . ومن هنا أقول انه فى كل عصر سيفض الناس عن القرآن سرا جديدا . . بناء على علوم ستتاح . . نفهم منها أسرارا لم يفهمها السلف . . أما الحجر على كل جديد فغير مقبول . .

● ● ولكن المهم ألا نلوى أعناق كلمات القرآن لتلائم « تفسيرا » عصريا . . !

— بالضبط . . هناك مسرفون يلوون الكلمات لتطابق نظرية معينة . . وأنا ضد ذلك . . فالمفروض أن نلتزم بالمعنى العربى للكلمة . .

هذا مانقصده . . وعلى سبيل المثال لقد فسرت الذرة بأنها الذرة بمعناها العلمى الحديث ، فى حين أن معناها اللغوى هو الهباة أو الشىء الضئيل . .

● ● أريد أن اسألك سؤالا . . ألم يكن الله عز وجل يعلم أن كلمة الذرة سوف تتسع لمعان مختلفة ؟

— بالطبع . . إذن كل عصر سيفهمها على قدر معرفته . . لقد فهموا منها قديما الهباة أو الشىء الضئيل . . أما نحن فلسنا مرغمين على ذلك الفهم المحدود . . لأن الله سبحانه وتعالى حينما أنزل الكلمة كان يعلم أنها كوعاء . . سوف تتسع لمعان مختلفة ومتجددة ومتعددة كلها داخلة فى الآية . . وكلها معان يحتضنها القرآن . . وهذا وجه من وجوه اعجاز القرآن .

● ● ومارأيك فى الضجة التى صاحبت حديثك عن نظرية التطور ، وما فهم من أنك تؤيد هذه النظرية ؟

— أقول باختصار إن النظرية ليست كلها خطأ ولا كلها صواب . . فيها حد أدنى من الصدق . . التطور نفسه حقيقة . . لاجدال فى هذا . . هناك من يرفضون فكرة التطور من أساسها . . هم أحرار . . ولكن العلم لايعرف المجاملة . . وقد تصوروا أن القرآن ضد التطور على اطلاقه . . وهذا غير صحيح . . بالتعكس . . فان آيات خلق الانسان من الآيات المتشابهات التى تحمل عدة وجوه . . ففى آية أن الانسان من طين . . وفى آية أخرى « من سلالة من طين » اذن يوجد اختلاف يدل على انها تحمل وجها آخر بالتأكيد . . وآية أخرى تقول : « ما لكم لا ترجون لله وقارا وقد خلقكم أطوارا » ، فجاءت كلمة التطور والأطوار بلفظها . . وقال المفسرون انها أطوار فى الرحم . . فمن أدراهم ؟ ان الكلمة تتسع لمعان أخرى . . خاصة أن هذه الآية جاءت ضمن آيات

عن الخلق الأول . . الخلق الكونى . . لا للجنين أوْ الطفل . . أية أخرى : « والله أنبتكم من الأرض نباتا » . . وآية أخرى « ولقد خلقناكم ثم صورناكم . . ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم » ، ففصلت بين الخلق والتصوير . .

كلها آيات خلق حمالة أوجه وتحتمل المعنى التطورى . . ولانستطيع فى النهاية أن نقول أن القرآن مع أو ضد التطور لأن باب الاجتهاد مازال مفتوحا . . لذلك أقول للجميع لا داعى للخناقة . . ولكن الله أمرنا بالسير فى الأرض لننظر كيف بدأ الخلق ، فلابد أن ننفذ الأمر لمعرفة السر . . سر الخلق . . والمخطىء له أجر والمصيب اجران . . لم ينفذ هذا الأمر الا دارون ! أتى بنظريته . . قد تكون خطأ . . ولكنه اجتهد .

●● ولكن يادكتور ماذا تقول فى آدم عليه السلام . . فلو كانت نظرية دارون صحيحة فانها تلغى آدم ! ! . .

— نحن لانعرف البدء الأول . . إن الملائكة فى آية الاستخلاف ، قبل أن يخلق الله آدم قالوا لله عز وجل حينما أخبرهم أنه جاعل فى الارض خليفة : « أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء »

فمن أين عرفوا ذلك فى حين لم يكن آدم قد خلق بعد ؟

●● ان المفسرين يقولون هنا يادكتور أن الله حينما خلق جهنم فزع منها الملائكة وسالوا الله عز وجل عن الهدف من خلقها . . فأجابهم أنه سوف يخلق مخلوقا هو الانسان ، سيعاقب المخطئون من بنيه بهذه النار . . ومن هنا علمت الملائكة بامر الانسان واستخلافه فى الأرض . .

— هذا كلام المفسرين ، ولكن ما أدراهم وما دليلهم ؟ ! لاشىء ! كلها اجتهادات أيضا ولكن الكلمة الأخيرة لله سبحانه وتعالى .

●● انهم يهدمون . . ولا يبنون :

●● ظهرت فى اعقاب ثورة ٥٢ ضمن جيل متمرد على القديم . . وناديت بتصفية التركة القديمة وخلق اهداف جديدة تنبض بروح العصر . . فهل ترى ان هذه الدعوة قد تحققت واستمرت فى جيل الشباب الحالى ؟

— للأسف انهم حطموا القديم ولم يبنوا بديلا . . هل بنى أحد دار الأوبرا المصرية بعد أن احترقت ؟ هل بنى أحد التعليم المصرى بعد هدمه ؟ أبدا . . لقد أصبح التعليم فى أى مدرسة مصرية الآن أغلى من هارفارد بسبب الدروس الخصوصية التى جعلت التعليم هنا أغلى من جامعة أو كسفورد . . لقد قررت الدولة مجانية التعليم بدون فتح مدارس جديدة أو اضافة فصول . . فكانت النتيجة هذا الزحام والتكالب

والتكدس فى الفصول . . الفصل يستوعب أربعين تلميذا فيضعون فيه ثمانين . . فهل هذا تعليم ؟ وهل هذه مجانية ؟ ! ! انها كذب ! مجرد كلام وشعارات وليست خيرا حقيقيا . .

الطفل المصرى

● ● ما رأيك فى الطفل المصرى وطريقة تربيته فى هذا العصر ؟

— فى الواقع أن البيت المصرى اختلف . . فأصبح الأب والأم يذهبان الآن للعمل ويتركان الطفل إما للشغالة أو دار الحضانة . . وقد كان لهذا أثره الخطير . . لأن هجران الأم للبيت وترك أولادها جعل الطفل يفقد جانبا هاما من جوانب التربية . . والواقع أننا فى عصر اختلفت فيه المرأة جدا عن ذى قبل . . فحينما تنظر حولك تجد

● ● أنديرا غاندى

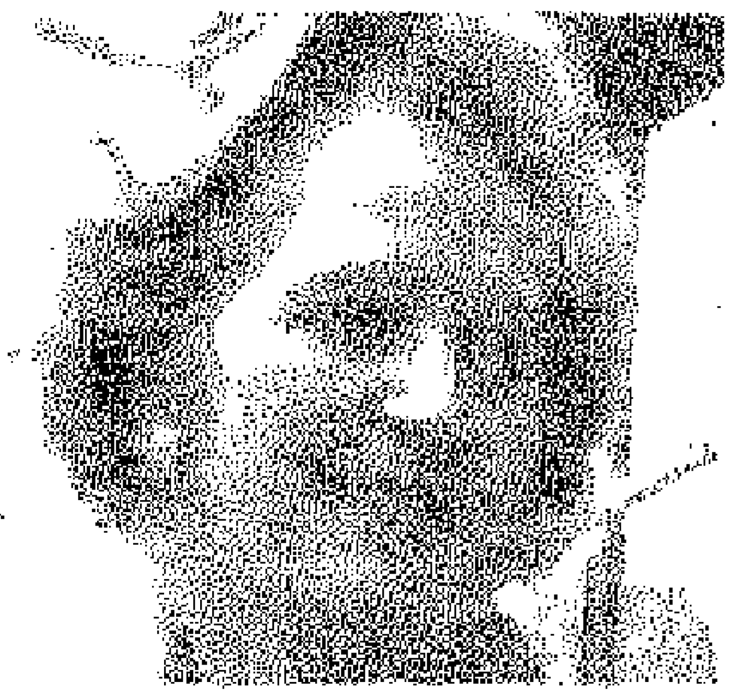

● ● مسز تاتشر

● ● سيمون فيل

أنديرا غاندى . . مسز تاتشر . . ماريا لورديس . . سيمون فيل . . كلهن زعيمات . . فنحن نكاد أن نكون الآن فى عصر المرأة وليس عصر الرجل . . لقد عاد الرجل الى الوراء كثيرا . . تقهقر الى الخلف . . ومع ذلك المرأة حتى بعد أن أخذت المناصب وأصبحت المرأة الحديدية ، فانها ليست سعيدة . . ! لا يعجبها الرجل الطيع ، وانما تريد الرجل القوى الذى تستند عليه كما تقول . . فحينما انهار هذا السند القوى وأصبح الرجل مجرد تابع يحمل لها ما تشتريه من فاترينات البضائع الاستهلاكية ولا يملك الا أن يقول نعم فانه لايعجبها ! انها غير راضية حتى بعد استقلالها وحريتها . . والخاسر الحقيقى هو الطفل . . ونجد الآن حركات نسائية عكسية . . فى المانيا مثلا قامت النساء بمظاهرات للعودة الى البيت ! كما أباحوا الطلاق فى ايطاليا . .

ولذلك نقول أن الموجود فى الشريعة الاسلامية وفى القرآن الكريم هو الحق ، وتمام الكلمة . . فبعد كل ما وصل اليه الغرب عاد ليقول :

« الرجال قوامون على النساء » . .

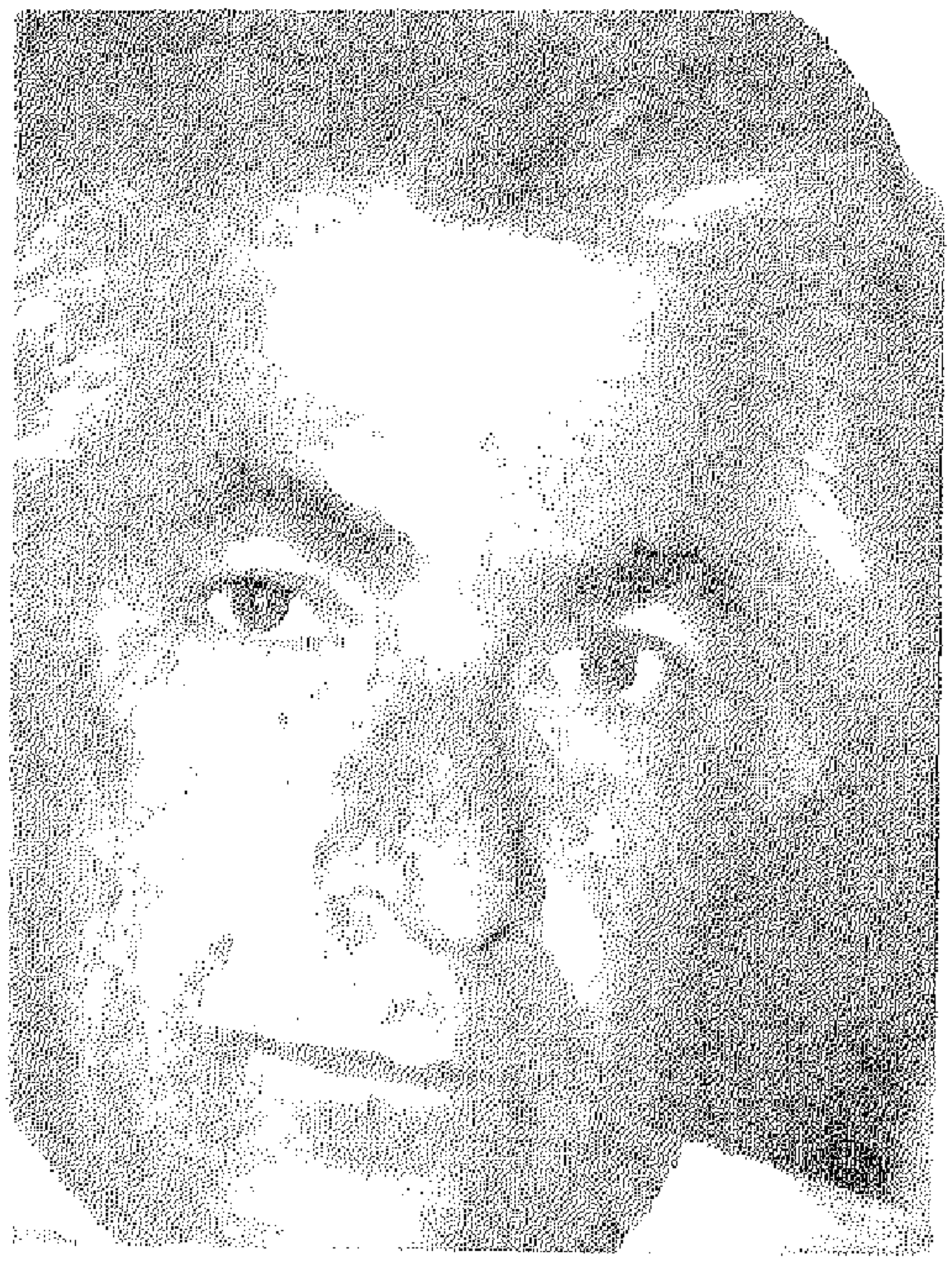

أنيس منصور
وعصر الضباب وتحطم الآلهة !

شاهدنا على العصر فى هذه الحلقة التفوق عنده إدمان . . . فكما كان ترتيبه دائما الأول على كل مراحل التعليم ، فقد أصبح كذلك من أكثر الكتاب توزيعا . . وتأليفا ! أجاد سبع لغات . . وانضم إلى صالون العقاد ، ونال التشجيعية والتقديرية وغيرهما . وطوف فى الآفاق حتى رضى من الغنيمة بخمسة وسبعين كتابا . . حتى الآن ! حتى لكأنه سافر فى العصر كله . . بفكره ومفكريه ، وتياراته وفلاسفته ، وشعوبه وزعمائه .

تحـديد البداية . . مغامرة فكرية :

●● الكاتب الكبير أنيس منصور . . لكل عصر فكره وفلسفته ، فما هى فلسفة هذا العصر وأين تحدد بدايته الفكرية ؟

وكأنما كان يتوقع السؤال ـ أو على الأقل حاول أن يبدو كذلك . . فالتفوق هوايته ، وقد اعتبر نفسه فى امتحان . ومضى فى اجابته المستفيضة التى لم أحاول قطع تسلسلها . .

ـــ قال : إن تحديد بدايات العصور هو أصعب ما يواجه أى كاتب أو مؤرخ ، لأنه لا توجد فواصل بين العصور ولا حدود سياسية كالخرائط . . ولذلك لا بد من المخاطرة بافتراض أى فرض ومناقشته ، فمن الممكن أن تتساءل . . ما هو الهدف من كفاح أو كل كفاح الانسان عبر كل العصور ؟ انه مضاعفة نصيبه من الحريه . . حريته من الخوف . . من الجوع . . من المرض . . من القهر . . من الظلم . . فتاريخ الانسان هو كفاحه من أجل حريته . . فإذا اخترنا هذا التعريف بداية فنحن اذن فى المكان الأمين لدراسة التاريخ أو التأريخ على الأصح . . لأن هناك نوعين من كتابة التاريخ والنظر اليه . . فالتاريخ هو الاعتماد على النصوص التاريخية وفهمها وبحثها ، أما التأريخ فهو معايشة التجربة الانسانية فى أى عصر وكتابتها .

●● مغامرة أخرى لتحديد البداية :

وبعد ذلك أنتقل إلى مغامرة أخرى ، أو مخاطرة علمية أخرى فأفترض ان بداية هذا العصر الحديث هى فى أواخر القرن التاسع عشر .

● ● ●

رجل الشـارع والأغلبية :

فاذا وافقنا على هذه البداية الافتراضية ، فاننى أستطيع أن أقول أن من أهم معالم العصر الحديث الاهتمام بالرجل الصغير . . أى برجل الشارع . . اى بالأغلبية الصامتة فى أى مجتمع . سبب هذا الاهتمام أنه

جاء على الانسان حين من الدهر كان كل اهتمامه بالحاكم أو الطبقة الحاكمة . . أو النبلاء . . أو الجيش والكنيسة ورجال الدين . . دون الاهتمام بالأغلبية الكبيرة . . وهكذا ظهرت المذاهب الاشتراكية والشيوعية التى تريد أن تنتصف للانسان الصغير . . أى المقهور المطحون المهضوم . . ولا يزال هذا الموضوع هو محور التفكير والفسلفات والمذاهب حتى الآن . . فلا يوجد مذهب فلسفى أو سياسى أو اجتماعى لا ينشد تحقيق أكبر قدر من الحرية والأمان للأغلبية الساحقة فى أى مجتمع . . وهى الأغلبية المكونة من رجل الشارع . أى العامل والفلاح والموظف . . أو الانسان الصغير . ذالك الشىء الصغير : الذرة :

فى نفس الوقت أيضا . . من ظواهر هذا العصر . . إلى جانب الاهتمام بالانسان الصغير . . الاهتمام بالشىء الصغير . . أو الجسم الصغير : الذرة ! فأهم تطورات هذا العصر ظهرت مع علم الفيزياء . . أو علوم الفيزياء النظرية . . التى رصدت المادة ، فوجدت أن المادة الصغيرة الضئيلة يوجد بها شىء ضئيل هو مصدر القوة فى هذا الكون . . وهى الطاقة المختزنة فى الذرة . اذن ففى عالم الفزياء نحن أيضا فى عالم الشىء الصغير . . فالشىء الذى كان يتصور أنه غير قابل للتجزئة تبين أنه قابل للتجزئه .

● ● ●

اكتشاف العالم الجديد . . قارة اللاشعور :

وفى نفس الوقت أيضا . . من معالم هذا العصر . . الاهتمام باكتشاف القوى الكامنة ، ليس فى المادة فقط كالطاقة الذرية ، وانما فى أعماق الانسان نفسه . . وهو ما ظهر فى علوم التحليل النفسى ، خاصة عند فرويد ، حيث أن فى داخل الانسان قوة كامنة تحاول الحضارة وضع الضوابط والفرامل فى سبيلها . . فهناك الغرائز القوية ، والحضارة هى تكميم وتقييد وترشيد هذه القوى وفقا للمواصفات الدينية والخلقية والاجتماعية .

إذن نحن أمام الطاقة الموجودة فى الشىء الصغير ، وأمام الشىء الصغير أو الانسان الصغير أى الطاقة الموجودة فى المجتمع الكبير ،

وأمام الطاقة الكامنة فى هذا الانسان الصغير . والمعنى أنه لا شيء صغير جدا ! فكل شيء صغير إذا ما اقتربنا منه اكتشفنا قوة وطاقة هائلة لم نكن نراها من قبل .

وكوكب صغير أيضا !

يضاف إلى ذلك أن الكلام عن الانسان الصغير أعاد النظر أيضا أمام القيمة الحقيقية للانسان . . فقد كان الفكر السائد فى العصور الوسطى أن الأرض مركز الكون . . وان الانسان سيد الكون . . فجاء العلم الحديث وأسرف فى تحقير . . أو تصغير الانسان . . أى تتفيه شأن الانسان . . فالكرة الأرضية ليست الا كوكبا تابعا لنجم واحد هو الشمس . . والشمس ليست الا أحد النجوم فى مجموعة هائلة اسمها المجرة . . والمجرة تضم ملايين الشموس . . وفى الكون ملايين المجرات ! إذن فهذه الكرة الأرضية ليست الا فقاعة صغيرة يعيش عليها الانسان . . وليس كل صراع البشر الا حركة أو هزة خفيفة تافهة فى كون لا حد له ! . وقد أدى هذا الاكتشاف إلى انزال الانسان من على عرش الكون . .

* * *

الانسان فى مواجهة الانسان والوجودية

وقد فوجئنا أن مشاكل العصر ليست بالسهولة التى كنا نظنها ! فقد فوجئنا بتحديات كبيرة للانسان فى مواجهة الانسان نفسه ! فبعد الحرب العالمية الأولى انتشرت المذاهب الاشتراكية التى تطمح إلى تحقيق قدر من العدل للملايين المغمورة التى لم يكن لها حساب ، أو تدخل فى الحساب ضمنا . . ثم جاءت الحرب العالمية الثانية التى أدت إلى انهيار النازية والفاشية ، أو المذاهب السياسية الكبرى التى كانت تحشر ألوف الناس دفاعا على وجهة نظر شخص واحد وأدى هذا

الفشل إلى فشل الانسان أمام نفسه . . فهزائم الحرب هى انهيار نظرية أمام شخص ، أى ضلال أو ضياع الفرد . . فكان لا بد أن يستأنف الحكم فى قضية الفرد وحرية الفرد وقيمة الفرد . . ولذلك ظهرت فى أوربا المذاهب التى تشيد بالفرد وتضخم فى دوره وتبالغ فيه ، كنوع من رد الاعتبار العقلى . . للانسان . . أمام عقل الانسان . . مثل الوجودية . لأنه من الواضح أن الانسان بعقله يفقد عقله ، بمعنى أن العاقل يستخدم كل قدراته فى تطوير الأسلحة التى تقضى على الانسان ، تماما كما يدخل الانسان خمارة بمحض اختياره ، فكأنه بعقله ذهب ليفقد عقله ! وهذا هو ما أصاب النوع الانسانى بنوع من الخيبة والفشل واليأس والرغبة فى الموت والانتحار . كل ذلك ساد التفكير الأوربى والعالمى فى الأربعينات .

* * *

•• حرب فيتنام . .
المعنى : الثورة على الادارة !

شىء من ذلك ظهر ايضا بعد حرب فيتنام بين أمريكا . . أقوى دولة فى العالم تحارب فيتنام . . الدولة الصغيرة . . على أرض فيتنام . . ويفشل الأمريكان وينهزمون ، ويظهر التمرد فى المجتمع الأمريكى ويكون له صدى فى كل المجتمعات الشابة فى العالم . الثورة على الارادة وعلى الآلة العسكرية وطحن الارادة الانسانية . . كل هذا من الممكن أن يوصف بأنه من معالم العصر .

* * *

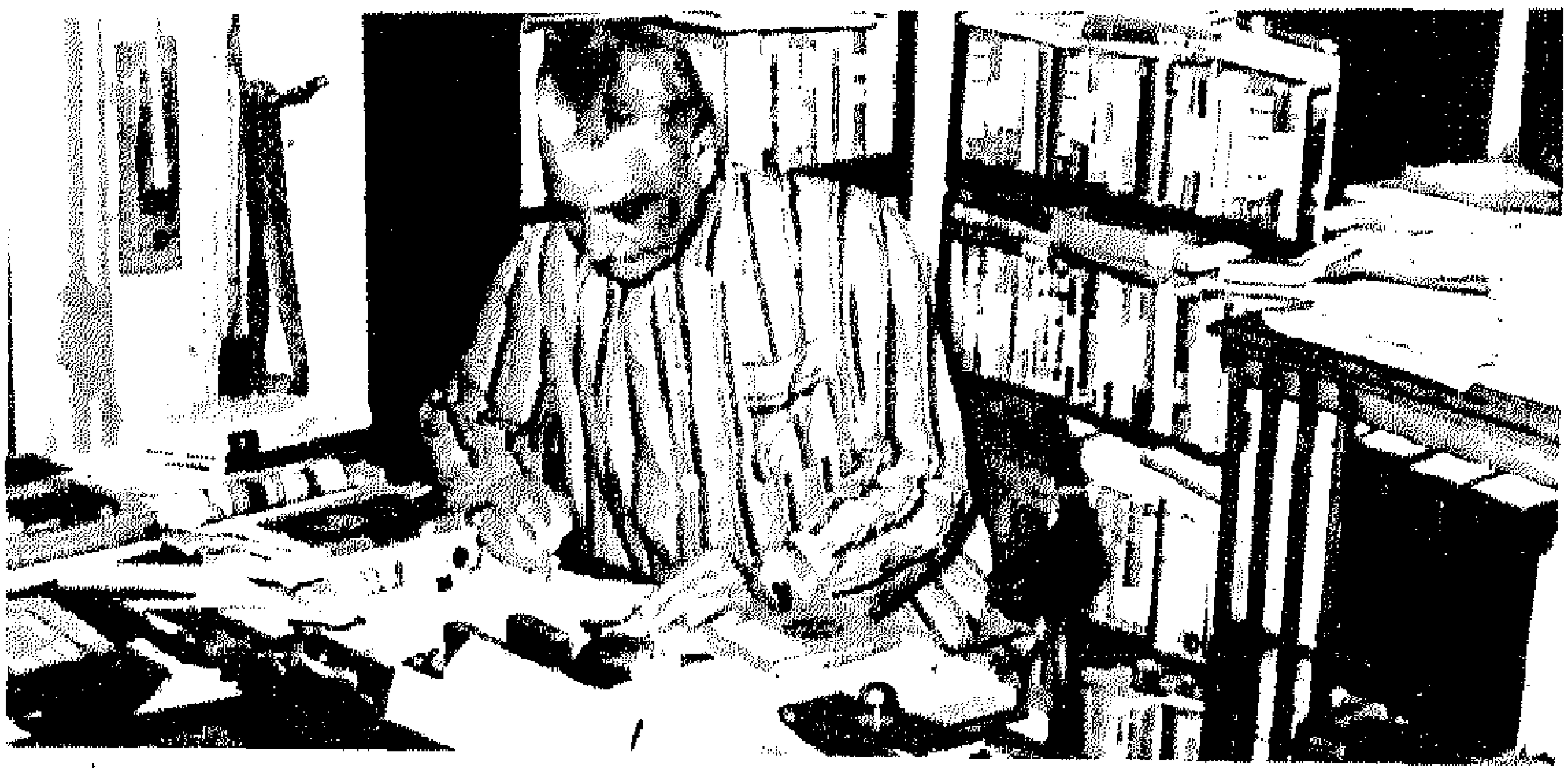

فى صالون العقاد . .
شهادة على العصر

●● الكاتب الكبير أنيس منصور . . اننا نعيش فى عالم صغير كما قلت . . بل أن ثورة الاتصالات احالته إلى قرية الكترونية . . ولذلك لن نسأل إذا كان حديثك السابق ينسحب على مصر أيضا . . ولكن نسأل عن ترجمتك لنبض العصر فى كتابك الأخير « فى صالون العقاد . . كانت لنا أيام » ونحن نعتبر هذا الكتاب شهادة على عصرك . . فما مدى صدق هذا الفرض ؟ .

— لقد درست الفلسفة والأداب . . فلسفة التاريخ وتارخ الفلسفة وعايشت الفكر المعاصر وقمت بتدريسهما فى الجامعة ، وعاينتها قراءة وكتابة ومراجعة وتراجعا . . وذكرت هذا كله فى الكتاب الذى يقع فى سبعمائة صفحة . ويمكن وصفه بأنه شهادة على عصرى وعصر جيلى فى الأربعينات والخمسينات وما بعدها . . ففى نهاية الأربعينات كنت أدرس الفلسفة وتحيرت بين المذاهب الفلسفية والدينية ، وقلبت ذلك

يمينا وشمالا ، واخترت ما يناسبنى ، فى تلك السن لا يناسبنى بالضرورة فى سن أخرى ، ولكن الانسان عادة ما يختار ما يناسب عقله وتفكيره ثم يغير بعد ذلك ما استطاع إلى ذلك سبيلا . . ففى كتاب العقاد سجلت ما كنا نعانيه نحن شباب ذلك الوقت . . كنا نتردد على العقاد وطه حسين والحكيم وعبد الرحمن بدوى وابراهيم مدكور وغيرهم . . سجلت حياتى فى مواجهة العقاد . . وفى ضوئها . . وفى ظلها . . وقريبا جدا منها . . وبعيدا جدا عنها . . لم أترك فكرة خطرت لنا الا سجلتها . . وناقشتها . . وأدرتها . . وقلبتها . . وجملتها . . وحسنتها ، ثم ألقيت بها فى النيل ! كعادة مصر الفرعونية حينما كانت تجمل العروس ثم تلقى بها فى النيل .

● العقـاد

وفى هذا الكتاب تحدثت عن جيلى . . وعن الأستاذ العقاد وأثره فى فكرنا . . هل كان العقاد حقيقة كما صورته أم كما تصورته ؟ فالعقاد فى الكتاب هو جزء من تصورى . . أى أننى أراه هكذا . . قد يرى العقاد أو غيره من الأدباء على نحو غير ما أراه ، ولكن هكذا الكتاب . . وكل أدب هو ترجمة ذاتية . . وهو ترجمة ذاتية لذاتى وأعماقى ومشاكلى . . وفيه شهدت عصرى وأشهدت الناس عليه ، وأنا مسئول عن كل ما جاء فيه من صواب وخطأ ، وعذرى أننى أكتب عن نفسى ، وليس من السهل أن يرى الانسان نفسه بوضوح ، ولكننى كما رأيت كتبت !

●● مـدينـة بلا قلـب :

●● هل ترى أننا نعيش فى عصر بلا حب . . أو مدينة بلا قلب . . كما يقول عنوان ديوان الشاعر أحمد عبد المعطى حجازى ؟ هل نفتقد الحب ؟

ـــ لعل المقصود أننا نعيش فى عصر مادى آلى ميكانيكى منفعى . . ربما كان ذلك هو المقصود وهذا صحيح . . ولكن هناك شيئا يدل على أننا نحن إلى العواطف والجلسة الهادئة والحديث العائلى والموسيقى الناعمة والكلام الصغير . . وهذا واضح فى اقبال الناس على الرومانسيات . . أذكر أنه منذ سنوات قليلة ظهر الشاعر الفرنسى بول جيرالدى ، وهو من أرق الشعراء فى كل العصور ، وله ديوان اسمه « أنا وأنت » وهو من أرق وأجمل ماكتب شاعر فى العصر الحديث . وقد أصدره الشاعر فى أواخر حياته على ورق فخم جميل ، وأقبل الناس على هذا الديوان بالملايين . ثم طلبوا منه أن يسجل قصائده على اسطوانات . . وبيعت بالملايين أيضا . . مثل هذا الحادث لا يمكن أن يكون عرضا ، وانما هو تعبير عن ظاهرة افتقاد الناس إلى الحب وإلى التعبير عن أعماقهم بهدوء ، لأ ننا نعيش فى عصر السرعة والتسرع . فالناس فى حاجة إلى أن تهدأ ، أن تهضم ما أكلت ، تستوعب ما قالت وما قيل لها . بل ان هناك اتفاقا غير مكتوب على تشجيع واحتضان قصص الحب . . مثل قصة حب ادوارد الثامن لزوجته دوقة وندسور . . قصة حب الأمير تشارلز وديانا . . قصة شغلتنا جيمعا ، رغم أننا لا نرتبط بالامبراطورية البريطانية ولا ندخل فى الكومنولث ولكن الناس يحبون من يحب . ونحن فى هذا العصر نفتقد معان أخرى غير المعانى المطروقة . . نريد كلمات أخرى غير كلمة الجمعية والنقابة والهيئة والحزب وغيرها من المسميات التى تدل على أن ارتباطا حديديا يجمع بين الناس على أساس من المصلحة .

• • •

مغامرة فكرية صغيرة من ناحيتى !

• • ما رأى الأستاذ أنيس منصور لو غامرت انا ايضا مغامرة فكرية صغيرة من ناحيتى ورصدت ظاهرة أطلب التعليق عليها . . وهى ظاهرة التكريم . . تكريم المشاهير من الموتى والاحياء ايضا فى هذا العصر . . ادباء وفنانين ولا عبى كرة ؟ ! هل هى ظاهرة تدل على وفاء مثلا ؟

— هى ظاهرة تقديس الموتى . . فاننا فى هذه المنطقة من العالم نقدس موتانا ! وليس من قبيل الصدف أن تجد أهم معالم مصر ثلاثة أهرامات . . وهى ثلاث مقابر كبرى مشهورة . . فهو احتفاء بالموتى وشعور بالندم أن عددا من الناس كانوا يستحقون التكريم وهم أحياء فتداركنا ذلك واحتفينا بهم بعد رحيلهم . . ولو أن واحدا على عشرة مما نقوله عنهم بعد موتهم قد قيل وهم أحياء لأ سعدهم ذلك وأطال أعمارهم أيضا !

●● يبدو ان كتابنا المعاصرين قد تنبهوا إلى هذه الملاحظة فقرروا تكريم أنفسهم وهم أحياء بمذكراتهم . . كما فعلت انت فى كتاب « صالون العقاد » !

ـ صالون العقاد هو أكثر الكتب تأريخا لى ولجيلى فى مواجهة الأستاذ العقاد الذى يستحق الاحترام الكبير .

●● فنون العصر وخوليو

●● ونحن فى قلب العصر نسالك . . ماذا ترشح من فنون العصر لتقدمه إلى زائر او ضيف أجنبى يزورك فى القاهرة . . وأين تذهب به ؟

— أنا أذهب إلى المكان الذى لا خلاف عليه بين أحد من الأحياء . . وهو المتحف المصرى ! فيزور حضارتنا المصرية الكبرى المبهرة .

●● ولو طلب أن يشاهد شيئا من فنون العصر الحديث . . لا العصر الفرعونى ؟ !

— اذهب به إلى قاعة سيد درويش ليستمع إلى فرقة الموسيقى العربية ! من المؤكد أنه لن يستمتع بذلك ، ولكنى سوف استمتع !

●● هذا يأخذنا إلى ما يتردد الآن حول انتشار الفن الردىء . . فهل استسلم العصر للذوق الردىء ؟

— هناك تعبير قديم يجرى مجرى الحكم والأمثال وهو أنه لا مشاحة فى الأذواق أو أن الأذواق لا تناقش ! ولكنى أعتقد أن الذوق يمكن مناقشته وتعليمه ، وغير صحيح أن الذوق شىء ليس فى الكتب . . بالعكس هو شىء فى الكتب . فأنت تروض الناس على سماع المعانى الجميلة والموسيقى الجميلة والصور الجميلة ، فأنت بذلك تربى

الذوق ، وفى نفس الوقت تعمل على تطويره وتهذيبه . من المؤكد أن بعض الأعمال الأدبية أو الفنية تعتبر رخيصة . . والتناول هو الرخيص وليس المعنى . . لأن المعنى عند الجميع . . أما الرخص فتحدده طريقة التناول . . أو الشكل . . والمعانى أقمشة . . والفن تفصيل . . القماش . . تفصيل المعنى ، تفصيل الألوان ، تفصيل النحت ، تفصيل النغم . . واشاعة الفنون الرخيصة من المؤكد أنه يشيع الذوق الرخيص . . وهي دائرة مفرغة . . لا تحلها الا التربية والتحكيم فى الذوق بوسائل الاعلام الهائلة . . « وراسكين يقول « أسلمنى زمام الموسيقى فى أى بلد أسلمك شعبا طيبا » . .

●● ومن هنا ياأستاذ أنيس كان النقد انه على مدى سنوات طويلة لم نر هنا فى مصر من فنانى العالم الا خوليو اجليسياس وداليدا وروسوس وسيناترا وانريكو ماسياس . . أى مطربين فرديين . . لم تر فرقة باليه أو فرقة مسرحية عالمية . . أو فيلسوفا او مفكرا كبيرا . .

— هؤلاء الفنانون الذين ذكرت فنانون عالميون ، ومتعة للدنيا كلها . . والعيب ليس فيهم وانما فينا نحن . . فنحن لم نختر الا هؤلاء . . نستطيع أن ندعو فرقة باليه . . أو أن نشترى مفاعلا نوويا . . ولكنك لم تفعل . . فدعوة هؤلاء الفنانين الفرديين ليست خطأ ولكن الاقتصار عليهم هو الخطأ ، فهذه الدعوة كان يمكن أن تكون أفضل لو دعونا فرقا غنائية أو مسرحية أو موسيقية مثلا . . فى وقت من الأوقات كنا نرى هنا على مسرح الأوبرا فرق الباليه الروسى والفرنسى والأوبرات الايطالية وفرقا مسرحية كالأولد فيك . . ونستطيع أن تفعل ذلك الآن إذا أردنا فهو شىء مازال ممكنا .

* * *

الحياة الفكرية فى مصر :

●● ما هو موقفك باختصار من كل من : الحياة الفكرية فى مصر ؟

انا كل ما أقدر عليه هو أن أكتب فانا أقدر على نفسى ولا أقدر على غيرى

ولكن . . أى نوع من الكتابة ؟

— ليس كل ما يكتب يعتبر أدبا . . لغلبة الأسلوب الصحفى عل معظم الأقلام . . ومن المؤكد أن الصحافة تقصف أعمار الأقلام وأعمار الكتاب . . لأن الكتابة الصحفية ملاحظة للاخبار اليومية التى تتغير بدورها من يوم ليوم . . ولذلك فان الكاتب والمقال يموت ويحيا يوما بعد يوم . . أما الفن والأدب فهما الباقيان .

●● وماذا تتصور الذى ينبغى أن يقوله الكاتب فى هذه الفترة ؟

ـ على الكاتب أن يكون واقعيا . . أى يعبر عن واقعه وواقع الناس . . فهو ليس مرآة سلبية ولكن مرآة لها ارادة . . فأنت تكتب لكى تغير الناس أو تضحك الناس على الناس مثلا . . انه التطهير أو الكاثارسيز كما سماها أرسطو . . المهم أن نتناول قضايا الناس .

شهادة على العصر : عصر الغموض !

●● وما هى قضية العصر التى ترى أنها لم تحظ بالاهتمام اللائق من كتابنا ؟

— الواقع أن العصر الذى نعيش فيه فى مصر هو عصر من الصعب أن تعبر عنه بوضوح . . لأنه عصر ملىء بالغموض . . أو التناقضات . . أو ملىء بالتغيرات المختلفة للعبة السياسية فى مصر . . فقد تغيرت قواعد اللعبة الساسية أكثر من مرة . . ومن كنا نعده بطلا أصبحنا نعتبره خائنا ! ومن كنا نعتبره مثلا أعلى لم يعد الناس ينظرون اليه كذلك . . فهذه التغيرات أصابت الفكر بالدوار . . فلم يعد أحد يعرف له هدفا أو طريقا أو أسلوبا . . وكما حار الناس حار الكتاب أيضا . . فاذا أراد أحد أن يشخص هذا العصر . . فأيسر ما يقال أنه عصر تداخلت فيه المتغيرات ، وأصبح من الصعب أن نتبين طريقا وسط هذا الغبار الشديد من الأفكار والأفكار المضادة ، والآراء والآراء المضادة ، والنظريات والنظريات المضادة . . وهكذا . .

●● أعتقد أنه فى هذا الغبار تتحدد مهمة الكاتب . . ان يقود الطريق ؟

— دور الكاتب يجب أن يكون مثل دور موسى عليه السلام . . أثناء التيه . . فكان يطلق عمودا من الدخان لكى يسير وراءه اليهود ، فاذا جاءه الليل أشعل النار . . ! مهمة الكاتب الآن أن يطلق الدخان نهارا والنار ليلا . . وفى ذلك هداية للضالين بين المذاهب الساسية والفكرية !

●● وما موقفك من الحياة الحزبية ؟

— كل حزب من أحزابنا حريص على أن يوضح فكره وان يقنع به الناس . . وذلك للوصول إلى السلطة . . ولا ضرر من تعدد وجهات النظرات . . بل الخير أن تتعدد . . لأن هدفنا واحد وهو خير مصر . . ربما قيل أن أحزاب المعارضة لا تزال صغيرة . . ولكن من يدرى بعد عشر أو عشرين عاما . . وهى فترة قصيرة فى عمر الشعوب . . يشتد عود هذه الأحزاب ، ويصبح لها منطق أوضح وأسلوب أقوى ، ووسائل أقدر على اقناع الناس ، وبذلك تصبح لها نفس قوة وجهة النظر السائدة فى مصر .

●● وما موقفك من الطفيليين والانتهازيين ناهبى أموال الشعب ؟

— فى كل عصر يظهر هؤلا الناس أو هذه النباتات المتسلقة . . أى التى لاتعتمد على بذورها وسوقها فى الارتفاع إلى الشمس التى تتنافس للوصول اليها كل النباتات . . وانما تتسلق على غيرها . .

●● ولكن الا يلاحظ أن هذه « الفئة » زاد انتشارها فى السنوات الأخيرة ؟

— لا أظن . . والواقع أنه أمام كل قضية تجد ثلاثة أنواع من البشر : الداخلون ، والخارجون ، والمتفرجون . . أو المؤيدون والمعارضون والمتفرجون عليهم وهم - لأنهم ليسوا طرفا فى أى قضية - من المؤكد أنهم أطول عمرا من الذين يقولون نعم أو يقولون لا . . وفى النهاية لا يحس بوجودهم أحد . . ولذلك فهم أطول عمرا من الجميع !

الوجـــودية والاســــلام

●● الكاتب الكبير انيس منصور . . هل تنصح شباب هذا الجيل الا يكرر تجربتك فى الحيرة بين المذاهب والعقائد ، وأن يعرف أن الصراط المستقيم - أو الطريق المستقيم - هو اقصر مسافة بين نقطتين كما تعلمنا فى المدرسة ؟

— لقد بدأت بالايمان وحفظت القرآن وأنا فى السابعة من عمرى . . وكان ذلك سببا فى سلامة النطق واللسان عندى . . وحفظت الشعر . . وفى سن مبكرة اعتدت على جميع الكلام . . ودخلت جماعة الاخوان المسلمين . . ثم تنقلت بفكرى بين مختلف المذاهب إلى أن اتجهت وأنا فى الجامعة إلى الفلسفة الوجودية . . والوجودية نوعان :

مؤمنة وملحدة . . وقد آمنت أنا بالوجودية المؤمنة ، ولم أبعد لحظة واحدة عن الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره . . ولكن شغلنى المنهج الفلسفى والمشاكل الانسانية فى مواجهة المجتمع عن كل القضايا الأخرى . ولذلك يغلب هذا المنهج على مؤلفاتى . . أما ما كتبته عن الدين فلا يتجاوز كتابين ، أحدهما « طلع البدر علينا » وهو يتناول رحلتى إلى بيت الله الحرام لأول مرة أعتمر فيها . . وأحمد الله أننى اعتمرت بعدها خمسا وعشرين مرة ، وحججت ست مرات . والكتاب الآخر هو « ديانات أخرى » وقد صدر أخيرا ، وفيه تعرضت لكل الديانات الأخرى غير الاسلام والمسيحية واليهودية . . مكتفيا بما كتبته فى « طلع البدر علينا » وصححته « طلع البدر على » أى على عقلى ووجدانى ، وكيف تهيأت فلسفيا ووجدانيا لهذه الشفافية الغامرة من الايمان .

ولكن . . مراعاة فروق التوقيت ياسادة ! :

ولكن فى نفس الوقت أرى أنه ليس شابا من لم يعرف الحيرة ويقلق ويتشكك . . فهذا طبيعى للشباب ، فهو متدفق القوى ، حريص على أن يتسرع إلى هدفه . . ولا يجب أن تخلط بين السرعة والتسرع . . والظلم الذى يقع على الشباب هو أننا نتصور سرعة العصر تسرعا . . ومن العدل أن نتذكر كيف كنا ونحن شبانا قبل أن ننصح الشباب . لا يجب أن نطلب أبناءنا أن تطابق أفكارهم أفكارنا . ومن يطلب ذلك من ابنه عليه أن ينظر أولا إلى شهادة ميلاده . . ولذلك يجب مراعاة فروق التوقيت بين الأب وبين الابن ! وذلك كى لا نكرهه على أن يعيش ما لا يستطيع !

● كلمـــة أخـــيرة :

نحن فى عصر الشعور بالغربة والغرابة . . عن العصر والأرض والنفس ولذلك نحاول أن نتوطن . . وأن نعين انفسنا فى المجتمع !

الدكتور يحيى الرخاوى

الحلم والجنون .. والعبقرية

● أيها الأصدقاء .. أن الكثيرين من المفكرين يدينون هذا العصر .. ويقولون أنه أوصل الانسان إلى القمر .. وبهره بالتكنولوجيا المتقدمة ، ولكنه سلبه الروح .. وأنه أصابه بما أسموه أمراض العصر .. من الأعباء النفسية التي لم يعرفها الانسان من قبل . من أجل هذا الموضوع ، وغيره ، نزور شاهدنا على العصر في هذه الحلقة .. الأستاذ الدكتور يحيى الرخاوى أستاذ الطب النفسى بطب القاهرة ورئيس جمعية الطب النفسى التطورى .. الذى يكمل بطاقة تعريفه قائلا :

السن ٥٠ سنة ..

أعشق حرفتي كطبيب نفسى .. وكل نشاطاتى المعرفية والثقافية نابعة منها ، وكل تطورى النفسى يرجع الفضل فيه إلى هذه المهنة .. رغم موقعى النقدى الشديد من تفاصيلها .. وأنا أستعمل نوافذ مختلفة للوصول إلى الناس .. منها هذه المهنة .. التى يأتى فيها

الناس إلى هنا . . ثم تلقائيتى أنا فى الذهاب إلى الناس . . فأكتب الرواية والقصة القصيرة والشعر والمقال الصحفى والرأى . . لكى أرد جميل المرضى إلى الأصحاء الذين هم مشروعات مرضى !

عصر رائع :

وتبدأ شهادة الدكتور الرخاوى على عصرنا بتسجيل انبهاره بروعة العصر . . هو عصر رائع . . لم يكن أحد فى العصور السابقة يحلم أن يكون فى حجرة مغلقة ويرى كل هذه الألوان المبهجة ، والحريم ، والموسيقى والتخت ، والمسرح والسينما . . كل هذا بإدارة زر صغير فى التليفزيون . . حتى هارون الرشيد لم يطمح ولو بآلاف الدينارات فى الحصول على جزء من هذه البهجة . . فى حين يستطيع أى مواطن عنده قدرة على دفع الأقساط أن يحصل عليها !

فهو إذن عصر رائع . . ومتحدى . . وخطير ومتسحب فى نفس الوقت . . بمعنى أننا إذا لم ننتبه لخطورته ، فإننا سوف ننسحب إلى مزالق فى منتهى التهديد بالانقراض ذاته . . إما أن ننجح فى استيعاب أفق المعرفة والارتفاع إلى مستوى مسئوليتها . . وإما أن نخسر كجنس بشرى . . إن القفزة التكنولوجية المعاصرة ليست سلاحا ذا حدين كما يقولون . . وإنما هى سلاح ذو حد واحد . . بمعنى أهمية تحديد مكان الامساك به ، وتحديد ماذا تريد أن تقطع به . . هل نقطع رؤوسنا ووعينا وأبصارنا وحدسنا ووجداننا وتواصلنا المباشر ، وروعة الغموض فى اللقاء المباشر ، ونسلم أنفسنا إلى أشياء تأتى من سلطات لا نعرفها فى العادة - تدير العالم بطريقة قصدية أو غير قصدية . . فالسلطة اليابانية مثلا لا تقصد إفساد العالم ولكنها سلطة . . فالمتلقى يجب أن يعى هذا . . وأن يدرك أنه سلاح ذو حد واحد . . وقد أصبحت تلك مسئولية كل فرد على حدة . .

دعوة للتجمع :

يجب أن ندعو فى مواجهة هذه الأخطار إلى إعادة التجمع البشرى . . أن آخر صيحة فى العلاج النفسى الآن هى العلاج الجمعى . . وهو

عبارة عن ناس يجلسون مع بعضهم البعض . ولكن فى حجرة ومسئولية طبيب . . . وإن كانت عملية سخيفة جدا . . أن يصل الأمر بالانسان أن يشترى لقاءه بالاخرين . . وأن يؤجر رئيسا ! وإن كان شيء أفضل من لا شيء . . وحينما ينقطع التيار الكهربى الان فجأة تجد الناس يتجمعون ، حينما تصمت وسائل الاتصال الجماهيرية . . فالناس للناس وبالناس . . فردا لفرد . . وليس عن طريق آلة . . أو شاشة . لا بد أن نتواصل ونلتقي . . كأيام طه حسين والعقاد وصالونه . . لا بد من الخروج من المنزلق الصعب باتخاذ موقف إبداعي لا نقلد فيه الغرب الذى يختلف مناخه وظروفه عنا . .

أمراض العصر :

● يلاحظ الأطباء النفسيون ان الصور الكلينيكية للأمراض النفسية المنتشرة اليوم تختلف بشدة عن العصر السابق . . وأنها تحولت إلى أمراض خلقية . . بمعنى تراجع الهستيريا والوساوس « وفوبيات » القرن الماضى ، وظهور عناوين . . أو اكتشاف عناوين جديدة لأمراض قديمة أصبحت أكثر انتشارا . . كالاحباط والعصبية والقلق والعنف واللامبالاة . . فما رأيك ؟

— أنا معك ولكن يجب أن نكون حذرين فى استخدام اللغة . . فيجب مثلا أن نحدد . . هل التوتر النفسى هو الذى زاد . . أم أن اكتشافه هو الذى زاد ؟ أنا أرى أنه لم يزدد . . بل رأيى أن المرض النفسى يزيد بزيادة الأطباء النفسيين ! ذلك أنهم يعنونون الظواهر العادية بعناوين نفسية فيوحون بهذا . . طالب فاشل سقط فى الثانوية العامة مرتين . . زمان كان اسمه « خايب » الآن نقول أنه مريض نفسيا ! واحدة تغضب من زوجها . . فتقول أن عندها عقدة من الرجال . . وهكذا . . أصبحنا نطلق على سوء التكيف الاجتماعى أو العزلة أو الفشل أو التقاعس ، مصطلحات طبية مبالغا فيها . . ككلمة عقدة مثلا . . التى أصبحت من سخافتها تستخدم لتبرير حتى الأشياء العادية .

ولكن سؤالك فى الحقيقة أشار إلى شيء فى منتهى الأهمية . . . وهو أن أعراض الاكتئاب والقلق والهستيريا والفوبيا والوساوس التى كانت

من قبل محددة كأمراض تشبه أمراض الجسد كالحمى أو التيفود . . « ساحت » الان فى صفات نسميها الآن اضطرابات الشخصية . . وهى الانحرافات والعدوانية تجاه المجتمع . . أو الاحتجاج الذى يأخذ شكل النمط لا شكل العرض . . الملاحظ الآن أن الأنماط تأخذ مكان الأعراض المحددة . . ويقال أن الأطباء أيضا لديهم مسئولية كبيرة تجاه ذلك . . فهم يسرفون فى وصف الأدوية . . فيزيد العرض . . دون أن تحل محله طاقة بناءة أو إبداع أو إنطلاق نحو المجتمع ، بل يزيل العرض بتسكينه فقط . . وحينما يسكن العرض تنقلب طاقته إلى نمط . . وبدلا من أن يكون المريض عنده مرض . . يصبح هو نفسه « مرضا » ! مثلا إنسان أصابه الحزن . . شىء طبيعى . . ينبغى أن يعامله الطبيب كشىء طبيعى . . إنه حزن أمام تحديات العصر . . لا مرض فيه . . والعرب كانوا يعتبرون الحزن ضيفا يستحق الاكرام . . وقال شاعرهم :

« وكنت إذا ما الهم ضاف . . قريته »

فهو إذن يكرم الهم كضيف حتى يذهب . . أما الرعب العظيم من كل شىء مؤلم . . واستسهال استعمال الحبوب والأقراص ، جعل الطبيب يستخدمها كمضادات للحزن . . أقراص مهدئة . . ومطمئنة . . كما تسمى ! فيهمد المريض . . ظاهريا . . ويساعده الطبيب على عدم قبول الواقع . . ويتحول الحزن . . الذى كان يمكن أن يكون موقفا فلسفيا . . إلى موقف عدمى . . ويأس وقنوط . . بعد أن فقد روح التحدى . . .

عصر غبى !

فالتهور والعدوانية والتعصب والعنف واللامبالاة والاستخفاف بالقيم وبالاخرين . . واطلاق عنان الغرائز ، تجعلنا نقول اننا بعد وصفنا للعصر أنه رائع ومتحدى ومهدد ومتسحب . . نقول أنه أيضا عصر غبى ! فانسان العصر بدلا من استيعاب التقدم الذى فعله هو نفسه ، فانه يحتج على العصر بايذاء ذاته وتشويه بشريته . . عدم الانتماء وجه من وجوه الانامالية . . وهذه الظواهر من رواسب فرويد الذى جعل العصر « عصر التبرير » وليس عصر السعى . . الغباء هو

أن الانسان بدلا من أن يحتج على من أذاه . . فانه يرتد إلى نفسه ويصبح لا مباليا . . أو لا منتميا . . فهو إذن يعاقب نفسه ، وبدلا من السعي إلى التغيير فانه ينزع إلى التبرير . . ويحرم نفسه من صفة البشرية . .المفروض أن ينتمي وأن يدفع ثمن انتمائه . . ولا يتنازل عن شرفه . . وهو انتماؤه . . حينما يتوقف الانسان عن الانتاج فهو الخاسر في النهاية .

حالات فى عيادة طبيب نفسى :

● لو طبقنا ما سبق على الحالات التى تأتى اليك فى عيادتك . . ماذا تلحظ فيها . . وما الذى تعكسه من سمات العصر ؟

— هناك ثلاث مجموعات كبيرة . . مجموعة اضطرابات الشخصية التى تحدثنا عنها . . وهى قليلة الظهور فى العيادات . . وتكتفى باغاظة المجتمع ! ثم مجموعة الفشل المتململ كالقلق والمخاوف والاكتئاب مع بعض الأعراض السيكوسوماتية كالذى يقول بطنى . . عينى . . رجلى . . ويخرج من عند طبيب إلى آخر . . ! يستأصل اللوزتين . . ثم البواسير . . ثم الجيوب الأنفية . . إلى أن يكاد يستأصل أنفه نفسه ! هى مجموعة فاشلة فى التكيف والانتاج ومتململة ومرضها اسمه العلمى « عصاب » وعلاجها قبول الفشل كجزء من الحياة ثم التدرج بهم فى الرجوع إلى الحياة السوية بأقل قدر من المسكنات . . وأحيانا ينقلب عندهم الفشل المتململ إلى نجاح متململ الذى هو صانع الابداع . . لأن التململ يعنى عدم الاستسلام للروتين ومحاولة صنع شىء جديد .

المجموعة الثالثة التى اصطلح على تسميتها بالفصام والشيزوفرانيا وغيرها أسميها انا « الابداع المجهض » .

الجنون شخصيا وجها لوجه !

● هل تقصد أن مرضاها من الفنانين والأدباء . . أو من يتصورون أنفسهم كذلك .

— لا . . لا . . الابداع المجهض هو جنون .

● الجنون ؟ !

— شخصيا ! ! حينما يحاول الانسان أن يبدع شخصيته . . أى يعيد صياغتها . . فى ظروف غير ملائمة . . فيجهض فى الشهر الأول كجنين لم يكتمل تكوينه . . المفروض أن الانسان يبدع نفسه باستمرار . . هذا قانون التطور النفسى العادى . . والذى تتبناه جمعيتنا . . وفكرتها . . بسيطة جدا . . وهى أن الانسان كائن متطور رغم أنفه . . بحكم التاريخ . . والبيولوجى والفيلوجينيا « تاريخ التطور » والانتوجينيا « تطور الفرد فى بطن أمه » وهكذا . . الناس تتصور أن الانسان يتوقف عن النمو بعد المراهقة . .

● نعم . . والمعروف أن الشخصية تتكون فى السنوات الأولى ثم تتوقف بعد ذلك . .

— للأسف الشديد أن علم النفس التطورى يرفض هذه المقولة تماما . . ويقول ان الانسان . . اما نامى واما متدهور . . فى أى لحظة من لحظات حياته . . ماذا يفعل الانسان بعد سن العشرين ؟ هل يتجمد ويقف يتفرج على نفسه . . ؟ ! كيف أقبل أن أعمل « مبنى للمجهول » أو استلم نفسى معمولا . . ثم أظل اكرر نفسى حتى أموت ؟ ولا يتجدد الا قلة المبدعين الذين لا يمثلون الا واحدا فى الألف فى أحسن المجتمعات مثلا ؟ !

● وهل الانسان قادر على أن يبدأ من جديد فى أى لحظة من لحظات حياته فعلا ؟

— هو ليس فقط قادرا . . بل انه . . فى الفكر الذى انتمى اليه ـ هذا هو قانون البيولوجى . . قانون الحياة . . وكل ما عدا ذلك هو ما أصاب الانسان من تشوه . . أنا حينما قدمت لك نفسى قائلا ان عندى خمسين عاما . . لو وجدت نفسى غدا كما أنا . . فأعتقد أننى « سأفاصل » كثيرا فى جدوى أيامى الباقية . . ! إذ لماذا أستمر فى الحياة . . هل لأكرر ما عرفته ؟ قد لا أنهى حياتى . . ولكننى سأكون مندهشا . . فعملية التطور مستمرة . . حتى القبر .

● تذكرنى يادكتور بأبيات صلاح جاهين :

ساعات أقوم الصبح قلبى حزين
أبص بره الباب . . ياخذنى الحنين
اللى اشتريته انبـــاع . .
واللى لقيته ضـــاع . .
وفاتنى الحـــنين
وارجع وأقول لسه الطيور بتغن
والنحليـــات بتطن
والطفـــل ضحـكه يرن
مع ان . . مش كل البشر فرحانين

— نعم . . ولصلاح أيضا فى المعنى الذى أقصده بالتطور :

نهار جديد قال شوف حنعمل ايه
انا قلت ياحتقتلنى . . ياحاقتلك !

هذا التطور المستمر . . أحيانا تكون جرعته معقوله ومتدرجة . . فلا شىء فى هذا . . انما حينما يتطور الانسان « عمال على بطال » أو يملك مقومات التطور . . فهنا يحدث اجهاض للابداع . . أو ابداع مجهض . . حيث يحدث صدام مبكر قبل الأوان . . فيخرج ما بداخل الانسان فجا وغير مسئول وناقص وطفلى ونزوى وغريزى . . فالجنون هو محاولة حقيقية وشريفة جدا لأن أضرب القديم لأصنع ما هو أفضل .

المجانين أساتذتى الحقيقيون !

فهذه إذن هى المجموعة الثالثة من آلام البشر . . وفى الواقع أن هولاء هم أساتذتى الحقيقيون . .

● ماذا تعلمت منهم يادكتور ؟

— كل شىء ! لقد تعلمت منهم نفسى . . فأنا لم أعرف نفسى الا عن طريق مرضاى . . لأن الجنون ليس « فرجـة » والمجانين ليسوا

فى نعيم . . وانما هم فى مخاض مستمر . . بكل آلام المخاض . . لا ينتهى فيتخلص من آلامها بمجىء الطفل الجديد . . ولا يموت فيدفنه ويبحث عن غيره . .

● ألم تحاول ذات مرة يادكتور أن ترصد الذى يجرى فى عقل المجنون ؟

— انى ليس لى « شغلة » إلا ذلك ! فأنا أعيش معهم ليل نهار .

● إذن قل لنا أين وصلت فى ذلك الطريق ؟ . .

— أولا كلنا مجانين . . أنا يعنى . . فالمجنون ليس غريبا عن الوجود البشرى . . بل هو الوجود البشرى ذاته . .

● الحلم :

والحلم هو جنون النائم . . لو لم أحلم أجن . . والبحوث العلمية أثبتت أن الحرمان من النوم يصيب الانسان بالجنون . . والحرمان من النوم هو بالتالى الحرمان من فترة الحلم . . فكل انسان يحلم عشرين دقيقة من كل تسعين دقيقة بالضبط . . وبانتظام . . سواء تذكر أو لم يتذكر . . والجزء الذى نتذكره من الحلم هو آخر لحظاته . . الجزء الأخير منه قبل اليقظة مباشرة . . لذلك فان افكار فرويد فى محتوى الحلم حولها جدل شديد وشك . أما ظاهرة الحلم ـ كظاهرة فسيولوجية ـ فهى ظاهرة الجنون ، بمعنى أنها اعادة تنظيم المخ البشرى كيفما اتفق وبأساليب غير واقعية . . إذن كل منا يجن ربع ساعات نومه . . وهو يجن ليشفى . . فلو لم أجن فى المساء . . لما أصبحت سليما فى اليوم التالى .

بل ان التجارب أثبتت أن حرمان الناس من الربع الأخير من النوم . . الذى يحتوى على فترة الأحلام . . يصيب هؤلا الناس بجنون مؤكد وهلاوس . . إذن الجنون فى داخل كل انسان . . كل ما يحدث أن المجنون يحلم وهو مستيقظ !

● هذا التفسير جديد علينا .

— ولكنه قديم . . فالفن بمنابعه المختلفة يؤكد هذا الموضوع الذى

نضع له الآن أسماء لا تينية وعناوين علمية . . مثلا شكسبير سبق فرويد فى اكتشاف اللاشعور فى هاملت . . وأسطورة أوديب تحدثت قبل الميلاد عن العلاقة التى اهتم بها فرويد فيما بعد بين الأم والابن . .

العقل الجمعى المصرى :

● وأيضا على مستوى الشعوب . . والوجدان الجماعى للشعوب . . ألا يؤكد ذلك ؟

— بالطبع . . فالعقل الجمعى ـ من معطيات يونج ـ أعظم كثيرا من جزئيات المعرفة التى ندعى اكتشافها الان . . فكل هذا موجود فى الأساطير والفولكلور .

● وبالنسبة للعقل الجمعى المصرى . . ماذا يمثل بالنسبة لك ؟

— وكيف لنا أن نتعرف عليه . . ؟ ولكن ما علينا . . فنحن الان نقدم شهادة . . العقل الجمعى المصرى أنا أفخر بالانتماء اليه بسلبياته ، وأرى وراءها ايجابيات قوية جدا . . فهو كيان ينتمى إلى الأرض . . كيان زراعى . . والزراعة فيها مواسم . . وانتظار قوى . . من أجل الفيضان . . هذا التكرار ـ على مدى السنين ـ جعل ايقاع الواقع المصرى مرتبطا بدورة الشمس والنيل والأرض . . فأصبحت الوحدة الزمنية للعقل المصرى وحدة طويلة جدا بالمقارنة للوحدة الزمنية للرعاة مثلا . . فضلا عن خلاف آخر . . هو تميز الايقاع الزمنى فى مصر بالأمان . . وثقة مطلقة فى الغيب . . وأن الخير سيأتى بعد شهر مثلا . . لأنه منذ آلاف السنين يأتى . . الفيضان لا بد أن يأتى . . وكلما جاع الناس عادوا فشبعوا . . وهكذا امتدت الوحدة الزمنية . . لدرجة أن فكرة الخلود بدأت فى هذا العقل . . ثم التوحيد . . ثم الانتماء إلى الكون . . وهكذا ترعرعت الحضارة . . وأفادتنا الوحدة الزمنية الممتدة فى أنها جعلت الأحداث السريعة والهزائم والهزات شيئا تافها حينما توضع على أرضية هذه الوحدة الممتدة والجذور العميقة .

الفن . . والجنون :

● ما علاقة الفن بالجنون مع اعتبار تسميتك الجنون إبداعا مجهضا . .

— إذا كان الجنون ابداعا مجهضا . . فالفن ابداع غير مجهض . . أى كامل النمو ، هو يشبهه فى لحظات البداية فقط . . ولكنه عكسه تماما بعد ذلك . . رغم أن الدافع لكليهما واحد . .

● الحقيقة د . رخاوى دعنى أصارحك بخاطرة تتردد فى نفسى . . انك تثبت بكلماتك أنت أن هناك خيطا رفيعا بين الأشياء . . فما تقوله يمكن أن يسمعه أحدهم فيقول انك انت شخصيا مجنون ؟ !

— عندك حق . . ولا بد أن نسمح بالاختلاف . . وهناك الكثيرون ينزعجون من هذا التشابه بين الفن والجنون . . ولكن هذا لا يمنع أن الحقائق العارية هى حقائق .

المشى على الصراط :

● إذن . . هل نطبق هذا الكلام على روايتك « المشى على الصراط » التى فازت بجائزة الدولة التشجعية عام ١٩٨٠ .

— هى روايتى الطويلة الوحيدة . . كتبتها سنة ١٩٧٢ . . وسعدت بتقديرها لأننى شعرت أن التقدير قد يساعد فى توصيل رسالتى للناس . . كما أنه طمأننى على مناخنا الثقافى . . وهذه الرواية كانت ذاتى إذ هى تستوعب مرضاى . . هى وعى عميق وصلنى من هولاء الأساتذة العظماء : المجانين . . فتحدثت بهذه اللغة الرمزية وقلت ما شاء . . وجزؤها الثانى حدث واحد يحكيه أحد عشر شخصا كل من زاوية مختلفة . .

الانسان المصرى :

● هل حدث تغير ما ترصده فى شخصية الانسان المصرى ؟

— نعم . . وما بلغنى حتى الآن أنه ليس تغيرا إلى الأحسن .

فقد مر بظروف حضارية شديدة الصعوبة . . ففى فترة قصيرة جدا تتابعت وتوالت عليه أحداث وهزات سريعة متعاقبة من استعمار وثورات وحروب وهزائم أخذت كل طاقاته . . وانتقل فجأة إلى معركة اجتماعية أخذت شكلا ظاهريا ولم تتعمق فى وجدان الممارس العادى . . مما حرم الانسان المصرى من مواكبة خطى العصر من ناحية ، وأن يتحمل مسئولية تطوره الذاتى من ناحية أخرى . . وكانت المشاكل دائما تصدر بقرار . . وليس قرارا من سلطة داخلية . . وانما كأنه قرار عالمى ! مثلا : على الشعب المصرى أن يوجه العشر سنين القادمة لا زالة آثار العدوان . . أو . . على الشعب المصرى أن يوجه الأربعين سنة السابقة على العدوان للعدوان ! وهكذا . . فلم تتح للانسان الفرصة للحوار والاختلاف والتحدى والمواجهة والاحتكاك . . والنشر والفن بدرجة تصنع انسانا جديدا معاصرا . .

● طيب لمن توجه هنا الدعوة لتعويض ذلك ؟

— دعوتى للحرية . . وقد بدأناها فى محاولات مختلفة . . قبل ٥٢ وبعدها وفى عهد السادات . . والآن . . الحرية تعطينا كل شىء . . الاستقرار دائما فى صالح الشعب المصرى المرتبط بالوحدة الزمنية المستقرة . . ومن الطبيعى أن تحدث أخطاء ، ولكن لا يجب اصلاح الأخطاء بقرار . . وانما هى حرية مستمدة من القانون ، مهما أخطانا فلا خطر . . لأننا شعب حضارى . . وحين تتوافر الحرية . . فكل شىء يبدأ فى التحسن . . مثلا فى العهد الحالى توجد جرعة حرية لا بأس بها لا أحد ينكرها . . يوجد الرأى والفكر والفكر الآخر . . حرية القول والتفكير جوهرية . . ينشأ الأطفال فيجدون صحيفتين بدلا من صحيفة واحدة . . أى فكرين بدلا من فكر واحد . . فيكلمون أمهم وأباهم . . بدلا من أمهم فقط . . ومن هنا تبدأ شخصية الانسان المصرى المعاصر فى النمو وأعتقد أنه سيكون نموا سريعا لو استمرت هذه الجرعة من الحرية وتزايدت . . والسماح بالتجربة والخطأ . . والنور قادم لا محالة . .

إذا عرف السبب زاد العجب !

● بعض المراقبين برصد ظاهرة انعزال الفرد فى المجتمع المعاصر . . أو تحوله إلى متفرج أعزل . . يعيش على الحياد ويكتفى بالشكوى من الحظ العاثر والزمن الصعب فما رأيك أنت ؟

— لقد كان من آثار فرويد ترسيخ فكرة الحتمية . . وأن لكل شىء سببا يظهر بالبحث . . ويقولون فى المثل « إذا عرف السبب بطل العجب » والحقيقة أنا وجدت فى مهنتى أنه« إذا عرف السبب زاد العجب » لأنه أحيانا يكون سببا تافها . . يتأثر به انسان ولا يتأثر به آخر . . المرض لغة . . لا أستطيع التعبير عنها بلسانى فأعبر عنها بالاعرض . . فهذا الموقف التبريرى التفسيرى للطب النفسى عطل الباعث والمسئولية . . أصبح لكل شىء سببا تلقى عليه المسئولية . . فالمبالغة فى التفسير خطأ .

كـــرة القـــدم :

● لو سد عليك طريق سيارتك جموع مشجعى الكرة خارجين من الاستاد بعد مبارة كرة . . كيف تصف منظرهم ؟

— أولا أنا أسعد بوجود الناس مع بعضهم البعض . . ولكنى أحزن لأنى منعزل ولا أحتمل المجاميع الكبيرة . .

● لكن انفعالاتهم وصيحاتهم . . ما انطباعك عنها ؟

— هى لا تبلغنى إلا شعورا بالانتماء . . إنهم ينتمون إلى لون . . أحمر أو أبيض . . إلى بعضهم البعض . . الاشتراك فى هدف شىء صحى جدا . .

● ولكن المهم ألا يتحول الانتماء إلى تعصب ؟

— التعصب جزء من الكيان البشرى لا بد من احترامه . . على ألا نبالغ فيه . . لو لم أتعصب يكون منظرى سخيفا ! وإلا لماذا ذهبت إلى الاستاد ؟

المرأة المصرية والطفل المصرى :

● ماذا فى شهادتك عن المرأة المصرية ؟

— هى أخذت فرصة العمل والاستقلال المادى الظاهرى وابداء الرأى . . ولكنها لم تأخذ فرصة المشاركة . . وانما أصبح ظلمها ظلمين . . ولم تستغل تعليمها للثقافة . . وانما للتوظف . . ولكنى لا أنادى بعودتها للبيت كمايحدث الآن . . لأنى أكره كلمة العودة فى أى وضع : ولكن أنادى بأن تحاول لعب دور ايجابى . . فى حياة أسرتها ومجتمعها . .

● فى الحقيقة حديثك عن المرأة والأسرة يذكرنا بالطفل . . ويذكرنى على وجه الخصوص بكلمة قالها عالم الاجتماع بارسونز « ان ميلاد جيل جديد من الاطفال يعنى موجة أخرى من الغزو البربرى » . . بمعنى أن الطفل يولد خاليا من أى ادراك وعلينا مسئولية توجيهه . . فماذا عن طريقة تنشئتنا لأ طفالنا ؟

— رأى لا يسر أحدا فأنا ضد أوهام الحنان والحب والحرية بالنسبة للأطفال . . فالثلاثة فى منتهى الخطورة على الطفل . . كما أن فاقد الشىء لا يعطيه . . فحينما نقول لأم ما « اعط ابنك حنانا » بينما هى لا تحصل على حنان ، فلا بد أن نشك فى نوع الحنان الذى تعطيه لا بنها . . كيف تعطى حرية وهى لا تحصل على الحرية . . فى التعبير لنفسها . . أو لزوجها . . أو رئيسها فى العمل . . أو مجتمعها . . فاننا نشك فى هذه الحرية . . كذلك أنا أرفض هذا الحب الالتهامى . . حينما تقول لزوجها « أنا أموت فيك » . . فالطفل أيضا يموت فيها . . فالحب ليس موتا . . والمفروض أن نقول له . . أنا أحيا بك . . هذا هو الحب . . تنشئة الطفل تعتمد على كم الفرص المتاحة . . لغتان أحسن من لغة . . وثلاثة أحسن من اثنتين . . رسم وقراءة أحسن من قراءة فقط . . رسم وقراءة وموسيقى أحسن وأحسن . . وهكذا . . هذه ناحية . . والناحية الأخرى توفر تواجد الأب والأم . . ليس المهم تواجدهما أمام الطفل ليل نهار . . لأن هذا التواجد قد يكون عبئا

عليه . . ولكن يجب أن يكون الطفل متأكدا أنهما فى متناول يده فى الوقت الذى يريده بالطريقة التى يعرفها . . ويجب كذلك الحفاظ على مسافة متوازنة بين الأجيال . . مسافة مرنة تسمح بالحركة . . كما أنى أتحفظ على قصص الأطفال . . فأنا ضد منع الخرافات من قصص الأطفال . . لأن هذه الخرافات ـ كأمنا الغوله ـ جزء من الأساطير التى تعيش فى وجدان الشعوب . . فهى فى داخلى وأنا أحكيها لطفلى . . يبقى الأ أحكيها ببشاعة العقل الجمعى الموروث ، وانما أبقيها فى خيال الطفل بالمشاركة . . وحرمانه منها يسطح خياله . . فالطفل نتاج عصور لمواجهة عصر . . وأنا أيضا ضد الفضائل الجاهزة . . وهى تختلف عن الفضائل الفطرية كالانتماء والهارمونى والتنسيق وقبول الغرائب . . لأنه يقبل الكثير من المتناقضات . . هو مولود هكذا . . نحن لا نقدم هذا . . وانما يكتب كاتب الطفل من الكتب وليس من الحدس . .

* * *

إدانة العصر وإنصافه :

● يدين علماء كثيرون عصرنا . . مثل جاردنر ، الذى يعتقد أن الماضى قد استأثر بالخير كله . . فما رأيك أنت ؟

— أنا أعتقد أنه ليس هناك أفضل من الآن . . وكيف لا ؟ ليس أفضل من اللحظة . . لأننى أخلقها تخليقا . . أنا مسئول عنها ، وإذا لم أصنع منها ما أتصوره الأفضل فانى لن أعيش . . لأنى لا أملك ارجاع الأمس ولا الاتيان بالغد الا حينما يصبح « أنا » هو الآخر والآن هو الأبقى .

● ● ●

أحمد حسن الباقورى ..
شاهد له أم عليه ؟ !

● شاهدنا على العصر اليوم عالم اسلامى جليل ، أسهم أكبر اسهام فى حركة الدعوة الاسلامية ، مفكرا وكاتبا ومحاضرا ومشاركا فى الحياة السياسة ، ووزيرا للأوقاف ، وداعية للاسلام لا يشق له غبار ، فافكاره الجديدة التى تدعو أساسا إلى الاعتدال والتيسير والبعد عن اللغو أو التشدد والعصبية . نجيء اليه ، لا سائلين وانما مصغون ، فهو يعرف ما يقول ، وكيف يقول . . إنه العالم الجليل الشيخ أحمد حسن الباقورى رئيس جمعية الشبان المسلمين . .

بدأ فضيلة الشيخ حديثه قائلا :

لست أدرى هل الشاهد فى برنامجك شاهد له أم عليه . . أم شاهد له وعليه ؟ ! فالشاهد له تعطى معنى أنه خير ، والشاهد عليه تعطى معنى الذنب الذى سنشهد عليه . . فكلمة له ، فى لغة العرب تعطى معنى الملكية ، بينما كلمة عليه تعطى معنى الاستعلاء والغلبة . . ويخيل إلى أن من الحق أن نجمع الحق سواء كان له أم عليه !

● فضيلتك تناولت من عنوان البرنامج كلمة شاهد . . وأنا أضيف كلمة العصر وأذكر أنها أيضا وردت فى القرآن الكريم ؟

— نعم . . يقول الله تبارك وتعالى « والعصر . ان الانسان لفى خسر . الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات . وتواصوا بالحق وتواصو بالصبر » ، فهنا هنا ماذا يراد بكلمة العصر . . أهل العلم يختلفون حولها . . فمنهم من يرى أنها الفترة إلى مغيب الشمس ، ويقولون أنه فى هذه الفترة تقوى الروحانية مع رهبة الغروب . ولكن الامام الفخر الرازى آثر شيئا آخر اقترن بعدة أشياء أخرى ، فقال أن الله تبارك وتعالى أقسم بعمر رسوله صلى الله عليه وسلم بقوله : « لعمرك انهم لفى سكرتهم يعمهون » واللام للقسم بعمر الرسول صلى الله عليه وسلم ، كما أنه عز وجل أقسم بالبلد الذى عاش فيه « لا أقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد » والبلد مكة . فالله عز وجل أقسم بعمر الرسول وبلده . ثم قال الرازى . . وكلمة العصر هنا والواو للقسم والمراد بالعصر المدة التى ابتعث فيها محمد صلى الله عليه وسلم . . فهو عصر النبوة . . وهو أفضل العصور التى أسعدت الانسانية .

● وهناك حديث يافضيلة الشيخ يقول فيه صلى الله عليه وسلم « خير القرون قرنى ، ثم الذين يلونهم . . ثم الذين يلونهم » وهذا الحديث مصدق لما يراه تفسير الامام الرازى ؟

— نعم . . هذا صحيح . . ومعنى هذا أن القرون فى تدحرج !

● نعود إلى عصرنا وشهادتك عليه ؟

مصر . . مشرق الدعوة إلى الله :

● لقد كانت أرضنا مشرق الدعوة إلى الله . . في مصر كان ادريس عليه السلام أبو الأنبياء . . الذى يسميه العبرانيون أخنوخ . وقد كان فيما يقول الأستاذ عبد الوهاب النجار في كتابه « قصص الأنبياء » يعيش في صعيد مصر ، رجل صالح له دعوة ، وهو من قال الله تبارك وتعالى فيه « واذكر في الكتاب ادريس إنه كان صديقا نبيا . ورفعناه مكانا عليا . » مصر . . التى كانت مشرق الدعوة والنبوة . . كيف تصفها الآن ؟

— الناس يتأثرون بحاجاتهم المادية ، وهذا طبيعي ، وكلما تقدمت بالانسان حياة الحضارة زادت مطالبه ، وكلما زادت مطالبه الجسدانية ضعفت مطالبه الروحانية . ومن هنا كان من الحق أن تجيء شريعة الصيام ، تضعف الجسم شيئا وتصادم شهواته لتمكن الجانب الروحي ، لأن كل انسان مادة وروح . فاذا غلبت المادة الروح التحق الانسان بعالم الحيوان ، وإذا غلبت الروح التحق الانسان بعالم الملائكة ، بل كان أشرف ، في كثير من آراء أهل العلم ، من الملائكة . فالملك مفطور على عبادة ربه لا يعصى له أمرا . لذلك فأول ملحوظة لى هى غلبة العنصر المادى على البشر في هذا العصر ، وقد زاده سوءا على سوئه الاكتشافات العلمية التي من شأنها أن تفسد الكون وان تنتهى به أخيرا إلى الزوال .

العلم الحديث . . خير أم شر ؟ :

● هذا رأى لا بد أن نقف معه وقفة يافضيلة الشيخ ؟

— نقرأ قول الله تبارك وتعالى : « انما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام . حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس . كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون » .

هذه آيات تتضمن أن الانسان بما يستطيع أن يزين به الحياة الدنيا

حتى تستحيل إلى جنة يألفها الانسان ويظن أهلها أنهم قادرون عليها ، فينسبون إلى أنفسهم القدرة ، وهم عباد الله تبارك وتعالى ، إذا بلغ العلم بالناس هذا المبلغ فقضوا مثلا على الذباب والحيوانات الضارة ، وأصبحوا قادرين على أن يكيفوا المدن ، فلا بد أن تذهب بهم الحياة أو يذهبوا هم بالحياة . وقد سئل عالم مادى معملى فيه روحانية . . لقد حضرت حربين عالميتين ، وكان لكل من الحربين أسلحة ، فماذا ترى الأسلحة التى سيقاتل بها الجنس البشرى بعضهم بعضا فى حرب ثالثة لا قدر الله ؟ فأطرق اطراقة طويلة ورفع رأسه كأنما استيقظ من حلم مزعج ثم قال أؤكد لك يأخى أننى أعرف أسلحة الحربين ، ولكننى لا أعرف لو نشبت حرب ثالثة ماذا ستكون أسلحتها . . ولكننى على وجه اليقين أؤكد أن أسلحة الحرب الرابعة . . فقاطعه السائل قائلا اننى أسألك عن الثالثة ، قال نعم لأن هذا ما يمكن أن تفهمنى به وأفهمك . . فاذا نشبت الحرب الثالثة ، بأسلحتها فالذى يعبر عنها هو هذا الكلام الذى قلته . أما الحرب الرابعة إذا نشبت فان أسلحتها ستكون أظافر الناس وأسنانهم ! وهذا معناه انتهاء المدنية والحضارة .

● ولكن نحن متأكدون أن فضيلتك لا تعنى ادانة العلم كعلم . . وانما تدين الاستخدام السيىء لمنجزات العلم ؟

— العلم وسيلة ، والوسيلة تحكم عليها بحسب الغاية . . من خير وشر . . ولا شك أن العلم يسر لنا الكثير من الخير . . والكثير أيضا من الشر ! يتفنن عباقرة العلم فى اختراع الأسلحة الفتاكة . . تستخدمها الدول الكبرى فى فرض سيطرتها على الدول الصغيرة كما يفعل الاتحاد السوفيتى فى أفغانستان التى لا ذنب لها فى هذا الظلم والاذلال .

الاستعلاء العنصرى :

أيضا ألاحظ فى هذا العصر ظاهرة أبين تناقضا وهى نظرية الاستعلاء العنصرى ، والاحتكام إلى العنصرية فى كل مكان . . وأنت ترى ما يحدث فى جنوب افريقيا وناميبيا ، واعتداد بعض الناس

فى الشرق الأوسط بعروقهم . التميز العنصرى لا غبار عليه ، أما الاستعلاء فهو يتميز بعنصرين فاسدين . . ان من يستعلى بالعنصرية يعق أباه . . ويظلم أخاه . . أباه آدام وأخاه الانسان فى كل مكان . .

* * *

التيسير والاعتدال فى مواجهة التطرف والتشدد

● فضيلة الشيخ . . يتطوع البرنامج برصد ظاهرة التطرف والتشدد فى مواجهة التيسير والاعتدال . . ونطلب موقفك من هذه المواجهة ؟

— التشدد لا خير فيه للمتشدد ولا للمتشدد عليه ، ولا خير فيه لرب العالمين الذى أمر الناس وكلفهم فى حدود ما يطيقون ويسعدون . والحياة الدنيا معبر إلى الحياة الأخرى ، وبقدر ما نحسن سنلقى . . وكلما كان المنهاج سهلا ميسرا كان العمل به سهلا ميسرا . . ولذلك انصرف الناس فى كثير من الأحيان عن الدين بسبب التعصب والعصبية ، بسبب كثرة القيود والأغلال . . ومن هنا وجد الخوارج فى التاريخ القديم ، وفى التاريخ الحديث وجدت الدعوات الثائرة ، فشقيت فى نفسها وأشقت المجتمع الذى تعيش فيه ، وهذا فى كل مكان . . حتى فى أفغانستان . . من الذى يظاهر الغازى المعتدى السوفييتى ؟ انهم بعض الأفغان ! ! نفس رئيس الوزراء الأفغانى يقود حركة ثائرة تقف فى وجه حركة أخرى ثائرة ! فاجتمع الغازى مع المتطرف ضد الشعب ! وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن العصبية فقال « العصبية أن تعين أخاك على ظلم » ثم قال « خيركم المدافع عن عشيرته ما لم يأثم » وهذا رد للطغيان . .

● ● ●

التفسير العصرى للقرآن
نوع من التطرف !

كما يتمثل التشدد فى فهم القرآن وتفسيره . . مثل من يدعون فى التفسيرات العصرية أن القرآن قد سبق كل شيء يصل اليه العلم . . وأنا رأيى أنه من الخطأ الكبير أن نقول لناس مثلا أن الصعود إلى القمر جاء فى القرآن ونستدل على ذلك بآية من سورة الرحمن « يامعشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض فانفذوا . لا تنفذون الا بسلطان » فقال بعضهم ان المراد بالسلطان سلطان العلم . . ولكن لنسأل أنفسنا أولا فى أى موقع وردت الاية ؟ لقد وردت فى موقع التعجيز . . أى أنكم لن تستطيعوا الهروب من عقاب الله . . فرق بين هذا وبين المعنى الذى يراد . . فموقع الاية انكم لن تستطيعوا . . أى عملية تعجيز . . ثانيا ، هل فى قوة العلم أن يخلص الانسان من جاذبية السماوات والأرض ؟ كيف ؟ لقد وصلوا إلى القمر ، ولكن ، كان معهم من الأرض طعام ، ومعهم لباس ، وأكسوجين للتنفس . . إذن هم لم يفارقوا الأرض مع أنهم على القمر . .

القرآن كتاب علم وتأديب وتربية وتهذيب . . على أنه لا يناقض العلم اليقينى المستقر . غير أن هناك فرقا بين أن يكون القرآن نظريات علمية وبين أن يكون غير متناقض مع العلم العملى والواقع . . لقد أشار القرآن اشارات حاولها العلم ولعله أن ينفع فيها « ومن آياته خلق السماوات والأرض وما بث فيهما من دابة وهو على جمعهم إذا يشاء قدير » ما المراد بالدواب فى السماء ؟ . . لا يمكن أن يكونوا ملائكة . . اذن هناك دواب . . وأحياء أخرى فى السماء أو فى الكواكب الأخرى . . ولا بد أن نسعى فى البحث ولعلنا نعثر على كوكب كأرضنا ؟ من يدرى ؟

● ألا ترى- فضيلتك أن هذه الأبحاث نوع من الاجتهاد ؟

— هو اجتهاد ، ولكن هناك فرقا بين أن تجتهد

بالتخمين وأن تجتهد على أصول . . لا بد أن تضع فى حسابك أولا أن القرآن كتاب الله العظيم الذى لا يأتية الباطل من بين يديه ولا من خلفه . . وانه جاء لتهذيب الانسان وتعليمه ما يحتاج اليه وينتفع به . . لكن إذا حاول بعض الناس أن يعتبره مصدرا للعلم فهذا خطأ ، لأن القرآن ليس مصدرا للعلم المعملى . . وأنا أرجع سبب ظاهرة التفسيرات العلمية إلى ناحية حرص الناس على التفاضل ومحاولة كل واحد أن يظهر علمه على الآخر . . لقد قرأ الناس هذه الايات : « وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون . والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم . والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم . لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار . وكل فى فلك يسبحون » . ثم « وآية لهم أنا حملنا ذريتهم فى الفلك المشحون . وخلقنا لهم من مثله ما يركبون » فقال الناس أن الله خلق لهم من مثله ما يركبون يعنى الجمل . . وهنا يجيء ترجمان القرآن ، فيما يذكر بعض أهل العلم ، فيقول أبدا ابن عباس لم يقل هذا . .

وانما أشار إلى ما سيحدث . . ما الذى يشبه الفلك المشحون ؟ قاطرات السكة الحديد والسيارات وغيرها . . هذه هى الفلك المشحون الذى يشحن الانسان فيه نفسه وأنعامه وبضائعه . . لكن لا يمكن أن يكون الفلك المشحون هو الجمل فى مثل هذه الاية . . فالاجتهاد مطلوب ولكن بالعلم بالأصول

زى المـــرأة :

● أين تقييم شباب هذا العصر فى رأيك ورؤيتك ؟

— شبابنا دائما قابل للخير ، وهو له أهل ، ولا ينقصه الا توجيه مستنير يلتمس اليسر وليس العسر خضوعا لتأديب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله الشريف « يسروا ولا تعسروا وسكنوا ولا تنفروا » فنحن فى حاجة شديدة إلى أن نقبل على المشاركة فى تربية أولادنا بنين وبنات ، بعاطفة الأب ، وليس بالعاطفة الصناعية ، أعنى أن كل انسان قادر على أن يسهم فى نفع أمته يجب أن يتقدم ليحمل العبء أو بعضه بصفته مؤديا أمانة لا مبتغيا جاها أو سلطانا .

ان الشباب إذا وثق بك أخذ عنك . وشباب اليوم ظامىء إلى الدين . كل ما يؤخذ عليه أنه يريد أن يكون ملكيا أكثر من الملك ، كما يقول المثل المعاصر ، أبدا ، إذا كان فى الاسلام أبواب للرخصة فلم لا تأخذ بها ؟ لم تلجأ إلى العزائم دائما وتترك الرخص دائما . الله تبارك وتعالى حين أعطاك الرخصة علم أكثر مما تعلم ، وأراد لك الخير أكثر مما تريد أنت لنفسك الخير . مثلا فيما يتصل بزى المرأة .

يقرأ القارىء قول الله تبارك وتعالى : « ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها »

وهذا تأديب القرآن للمرأة فى طريقة زيها .

هنا يجىء القرطبى فيروى قول الرسول صلى الله عليه وسلم « ان المرأة إذا بلغت مبلغ النساء لم يصلح لها أن يظهر منها إلا هذا ، وأشار إلى وجهه ، ثم قبض على منتصف ذراعه وقال إلى هاهنا » . يعنى الرسول أباح للمرأة أن تكشف وجهها ويديها وساعديها . فيجىء آخر ويقول أبدا . . الكفان فقط . . لماذا ؟ إذا كان شيخ المفسرين قال ان الرسول أباح هذا . . إلى منتصف الذراع . . فكيف ترفض أنت ؟ ! حتى عائشة أم المؤمنين قالت أن السوار من الزينة الظاهرة التى يجوز للمرأة أن تكشف عنها .

كما أننى أرفض التحفظ بأن تكون المرأة مخشية الفتنة ، لأن تحديد مدى أو درجة جمال كل امرأة صعب ، اللهم إلا إذا أجرينا مسابقة ملكات جمال ! كما أباح الرسول الكريم الاختضاب بالحناء ، بل حض عليها لتمييز يد المرأة . ويقابلها الآن المانيكير . . لماذا لا نأخذ بالقياس ، وهو باب من ابواب الدين . . لماذا لا نبيح المانيكير وهو كالحناء ؟ مع أن الله تبارك وتعالى يقول « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم . فان تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول » أى بطريق القياس . كلمة فى شىء تعنى أنها تشمل كل شىء لأنها كلمة عامة .

● ولكن على أى شىء تدل ظاهرة كثرة استفتاءات مسلمى العصر وانتشار برامج الفتاوى وكتب الفتاوى وأركان الفتاوى فى الصحف والمجلات ؟

— تدل على أن هذا الشعب عريق فى التدين . وهذه ظاهرة سارة . . وفى الوقت نفسه نجد أن نشرها على الناس عن طريق أهل العلم يؤدى إلى ظاهرة أعجب . . انك على قدر ما تتشدد يثق الناس بك . . وعلى قدر ما تتسامح ولا أقول تترخص - ينصرف الناس عنك ! ! وهذا خلق ينبغى أن يقوم . ذلك انك ما دامت تقول شيئا لا يناقض القرآن والحديث فليس لك أن تفرض التشدد لتحطاط . . لأن الاحتياط يوقعك فى الحرج ، وهذه قضية أصولية يعرفها المسلمون الذين فقهوا الاسلام . . حتى أن بعضهم يقول انك إذا أخرجت زكاة ما لك برا منقى من الغلث أى نقيا من الشوائب فانك تخطىء لأ نك كأنك تستظهر على الشارع ، لترى نفسك أرأف بالمخلوقين من الخالق ! لذا يجب اخراج القمح بطينه ! هكذا رأينا فى الفقه المالكى .

وأعود إلى عراقة هذا الشعب المصرى فى الدين . . فأذكر أن الامام جعفر الصادق فى تفسير الفاتحة كما يروى الامام القرطبى ان كلمة آمين صفة من صفات الله ، أو اسم من أسمائه جل ثناؤه . فلا تستكثر أن قدماء المصريين هم الذين جاهروا بهذه الكلمة آمين وتعنى يا الله يارحيم . . إنها نفس كلمة آمون التى أطلقوها على آلهتهم . . هى تحريف بسيط لنفس الكلمة . فهذا شعب فى دمه الايمان . . والذين يطمعون فى أن يكون شيوعيا أو أن يحكم بالشيوعية اما جهلة لا يعلمون واما جحدة ، لا يريدون أن ينزلوا على حكم ما يعلمون .

أول حمار يسجن فى مصر :

● كان لك دور سياسى بدأ مع اللجنة التنفيذية للطلبة فى أحداث ١٩٣٦ فهل لك أن توضحه .

— لقد كنا نحن الأزهريين نتهم دائما بأننا عبيد القصر الملكى . . وكانت هذه الشائعة تمس كرامتنا . وانننى أذكر أننا ذهبنا إلى المحامى

الكبير المرحوم زهير صبرى ـ الوفدى القديم ـ ذهبنا مضربين عن الدراسة احتجاجا على تصرفات الخاصة الملكية التى كانت تسرف فى معاملة الشعب أحيانا . . والحقيقة أن الملك لم يكن يعلم بهذه التصرفات والتجاوزات من خاصته ، ولكن المشكلة الدائمة أن بعض من يتقربون من السلطات لا يلتزمون بمكارم الأخلاق . فكانوا يغتصبون بعض الأطيان ويضمونها إلى أطيان الخاصة . . وانني أؤكد أن الملك فؤاد لو كان يعلم نتيجة هذا لما قبل هذه التصرفات حيث كانوا أحيانا يحرمون على دواب الفلاحين أن تدوس على زرعهم مثلا ، والا حبسوا صاحبها . وفى ذات مرة لم يجدوا صاحب الحمار فأخذوا الحمار وحبسوه فى نقطة الشرطة ! وذلك لكى يأتى صاحب الحمار ليأخذه فيحبسوه !

كنا كشباب نشارك فى الحياة السياسية ولكن باعتدال . لقد فقدنا اثنين من أعز شبابنا علينا فى أحداث ١٩٣٦ أولهما عبد الحكيم الجراحى ، وثانيهما محمد عبد المجيد مرسى ، استشهدا برصاص الكونستبلات الانجليز . . ولكن لم يكن هناك تطرف ، الا فى صور قليلة تستنفر الحليم . فذهبنا وسرقنا جثة الجراحى من المشرحة . . وكان فى مقدمتنا الدكتور نور الدين طراف الذى تولى بعد ذلك وزارة الصحة ، وفريد باشا زغلول الذى كان من أفضل الناس ، وهو وفدى قديم ذو خلق لطيف . الآن هذا العصر صبغ الحياة بصبغة أكثر عنفا . . عنف لا هدف له الا اشباع رغائب ذاتية معينة يظنون بها ان كانوا متدينين انهم أرضى لله ، وان كانوا من أهل الدنيا أنها أقدر على توصيلهم إلى السلطان . . والاعتدال فى عقيدتى دائما مطلوب . . والقصد والتيسير لا التعسير .

منهاج العمل :

● فضيلة الشيخ الباقورى بعد رحلتك الحافلة من أسيوط إلى القاهرة والأزهر الشريف والنضال ضمن صفوف الطلبة ضد الاحتلال ثم الانضمام للاخوان المسلمين ثم تجربة وزارة الأوقاف بعد ثورة يوليو . . ما هو المنهج الذى كونته بعد هذه السنين ؟

— كل أملي أن ندرس لأولادنا ، بطبيعة الأب لا المحترف ، أربعة أصول :

أولا : الدين في بناء الانسان فطرة . لا يمكن أن تتنكر لها أو تتخلى عنها .

ثانيا : الدين في فطرة الانسان نعمة . تلجأ اليها وتلوذ بها في الشدائد ، وتنعم بها . والله خلقنا لنستمتع بالحياة على ألا نسرف .

ثالثا : الدين على لسان الأنبياء واحد . فلا مجال للتعصب ، وتذكر قول الله تبارك وتعالى « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين » .

رابعا : تيسير التدين استبقاء لنعمة الدين . مثلا من أصول الدين الوضوء من أجل الصلاة . فاذا جئت لسيدة تضع المانيكير ، وقلت لها لا . . لا بد قبل الوضوء من ازالة المانيكير ، فتزيله ، ثم تواظب على ازالته ، فتفسد أظافرها ، وتسرف في مالها ، والا فانها تضطر إلى التقصير في حق ربها بعدم الصلاة ! لذلك فانا أنادي بتيسير التدين . وإباحة زينة المرأة التي لا تتصل بالفاحشة . . هذه الفتوى تيسر التدين فيصبح الدين نعمة ، وإذا فقدت التيسير فقدت هذه النعمة .

* * *

البنوك والربا :

وانني سأقول هنا كلمة في قضية الخضوع للعصر . . الربا هدام . . هذا مؤكد . . حين نقرأ آخر آيات سورة البقرة الخاصة بالربا ، ونقيم مسألة المعاملات مع البنوك ، نسأل من هو الدائن ؟ أنت ، ومن المدين ؟ البنك . . إذا أردت تطبيق النظرية القرآنية التي جاءت في هذه الايات « وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة وان تصدقوا خير لكم » فهل من المعقول أن نفهم من هذا أن تتصدق انت على البنك ؟ ! وهل البنك

ذو عسرة ؟ ! لا طبعا . . من هنا نحاول أن نفهم . . سيدنا عمر وابن عباس قالا . . كما قال الطبرى فى تفسيره « مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يفسر آيات الربا التى كانت من أواخر ما نزل من القرآن . . ونسأل : لماذا لم يفسر الرسول الكريم القرآن ، وقد لحق بالرفيق الأعلى ؟ هناك عدة فروض نفرضها الان . . هل كان رسول الله لا يعلم معنى هذه الايات ؟ ! لا يمكن . . طيب هو سكت صلى الله عليه وسلم . . هل سكت تقصيرا ؟ ! لا طبعا . . إذن لماذا سكت ؟ لقد سكت لأنه يترك هذه القضية للأجيال القادمة ، حيث يلتقى أولو الحل والعقد من أهل الأمانة فى واد واحد وأولياء الأمر ، ويعرضون هذه القضية وغيرها من قضايا الاصلاح الاجتماعى ، ويناقشون مدى مماشاة أو تناقض هذه القضية مع الحكمة فى تحريم الربا ، ثم يخرجون بنتيجة إلى الناس . فهناك اشارات فى القرآن إلى قضايا العصر . روح الاية وروح الحديث تؤكد أن الرسول صلى الله عليه وسلم فى اعراضه عن تفسير الربا فى هذه الايات ، مع علمه به ، لم يكن جاهلا ولا مقصرا ، ولكنه كان يشير من طرف لا يفهمه الا العاقلون العالمون قائلا أيها الناس الاجتهاد باب من أبواب الدين ، ومفتوح حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، فاجتهدوا وأقيموا أنفسكم على الحق . ومن حق كل عصر أن يكتشف عجائب القرآن التى لا تنقضى ، ومعانيه التى لاتنتهى إلى أن ينقضى باب الدنيا . . فالذين يريدون أن يأخذوا الاسلام من عصر واحد يخطئون . . الذين يريدون أن يردوا الحياة أربعة عشر قرنا إلى الوراء مخطئون . . فيا قوم اجتهدوا . . ويسروا ولا تعسروا .

■ ■ ■
■ ■ ■

دكتور سيد عويس

والكتابة الى الموتى . .

● شاهدنا على العصر اليوم رجل تتربع مصر فى قلبه . . يسير فى أزقتها وقراها وشوارعها ، ليرصد طريقة حياة أقدم شعوب الأرض . . كيف يفكرون . . كيف يسلكون . . كيف يتعاملون . . كيف ينفعلون . خبير عالمى فى البحوث الاجتماعية والجنائية . . حينما قدم بحثه الشهير عن ظاهرة ارسال الرسائل الى ضريح الامام الشافعى ، فجر قنبلة ثقافية مازالت أصداؤها مستمرة . حصل على جوائز الدولة ، ودرست مؤلفاته وبحوثه فى جامعات العالم . عزوف عن الشهرة ، مقل فى الحديث ، ولكنه مصرى الى أبعد الحدود . . ما أن يطمئن الى مستمعيه حتى يتدفق علما وحكمة .

وفى البداية نزداد تعرفا بعلم الرجل . . إنه ، على استحياء ، يذكر أنه حصل على وسام العلوم والفنون ووسام الجمهورية . . وتدرس مؤلفاته ظاهرة إرسال الرسائل إلى ضريح الامام الشافعى و « هتاف الصامتين » أو ظاهرة الكتابة على هياكل المركبات ، و « حديث عن الثقافة » الذى يتناول القيم المصرية وانماط السلوك . . كلها تدرس فى جامعات « اكس لابروفانس » بفرنسا ، « وهارفارد » بالولايات المتحدة . وقامت دار نشر فى باريس بترجمة ونشر كتابه عن « الازدواجية الثقافية فى المجتمع المصرى المعاصر » .

● ومن هنا كان المنطلق فى الحوار .

— قال : لقد أوليت اهتماما شديدا لهذه الازدواجية الثقافية ، وهى موجودة فى كل المجتمعات ، ولكن عواملها تختلف من مجتمع الى آخر ، لأن مجتمعنا مجتمع قديم ومستمر ، غير دينه مرتين ، وغير لغته أكثر من مرة ، ولكنه مستمر ، ومصادر ثقافته متعددة ، منها الفرعونى ، واليونانى ، والرومانى ، والمسيحى ، والعربى الاسلامى ، وحاليا المصدر الغربى . نحن المصريين تلقينا هذه المصادر بوعى أو بلا وعى ، ونحن نتاج كل هذه المصادر . .

* * *

حدود الشخصية المصرية حاليا

● وندخل الى قلب الموضوع . . اسأله عن حدود الشخصية المصرية الحالية بعد أن تلقت كل هذه المصادر والتأثيرات . .

— فقال إن كلمة الشخصية يلاحظ أنها تستخدم كثيرا هذه الأيام فى غير موضعها ، فالشخصية كلمة لا تستخدم إلا للتعبير عن شخصية إنسان أو فرد . . أما الشعوب فتستخدم معها كلمة « الطابع » القومى . . ومع ذلك فهو كلام نظرى . . لأنى لا أتصور أن السواحلية مثل أهل الواحات أو القاهريين . . ولا حتى أولاد البلد مثل المثقفين . . حتى اللهجات بينهم تختلف . . والنظرة نحو الحياة . . والموت . . والمرأة . . والقيم التى تتحكم فيهم تختلف من إقليم إلى إقليم . .

● ولكن . . هل حقا انت ذلك الرجل الذى يسير في الشارع ، فتستوقفه خناقة او فرح أو زفة ، او كمسارى نزل من الأتوبيس ليشرب كوبا من الشاى ؟

— نعم . . كل شئ يستوقفنى . وقد دربت عينى على ذلك منذ أن قمت بدراسة حدث جانح عام ١٩٣٨ . . حينما ذهبت لزيارته حيث يقيم مع أسرته في حوش قرافة . . وذلك كان أمرا نادرا في ذلك الحين ، أصبح الآن أمرا عاديا . . وهذا مدهش . . منذ ذلك الحين وأنا أدقق في أنماط السلوك والظواهر الاجتماعيةوالعلاقات القائمة .

صراع الأجيال

● بهذه العين الفاحصة المدربة ، ماذا ترى في الشارع المصرى ؟

— أرى الكثير . . تغييرا جذريا ، خاصة في علاقة الرجل بالمرأة ، أو الشاب بالشابة . . تغيرت العلاقة الى الأفضل . . اكتسبت المرأة حرية واستقلالا أكثر ، وتعلمت ، وحتى المرأة الأمية تؤدى دورا كبيرا في ادارة الأسرة الآن ولو من وراء الستار . . رفاعة الطهطاوى ، قبل قاسم أمين والمازنى ، أول من رفع صوته مطالبا بحرية المرأة ، وقد أصبح هذا واقعا الآن . وطبعا هذا الأمر يعتوره بعض الانحرافات التى تأباها قيمنا ، كمصريين . . وحينما أقول مصر . . ومصريين . . يجب أن أقرر أن مصركمانها أخذت من هذا المزيج من الثقافات ، فانها أعطت الكثير ، بل أنها كانت البادئة بالعطاء . . مثلا مفهوم العدالة أو « معت » بالفرعونية . . مفهوم مصرى . . وقد اثبت الباحث العالمى ادوارد سبق المصريين الى الدعوة الى الأخلاق السامية والتعاون مع الأم والأب والضيوف . . وسبقهم في تحديد « اتيكت » المائدة ، والعادات الصحية في الغذاء ، وهكذا . . انك ستجد مصر موجودة في اتيكيت المائدة الانجليزية ، وطريقة حفظ اللحوم في مصانع الأغذية في أمريكا ، وطقوس الصلاة في معبد هندى ، موجودة مصر بعطائها الكبير . . .

أيضا نرصد تغيرا في الشباب . . شباب هذا العصر أوفر حظا منا ،

لأن مصادر الثقافة الحديثة والتليفزيون والراديو توصل لهم الثقافة . . أيضا أصبحوا بمنأى من الأوبئة الجماعية التى كانت تصيبنا . .الآن تقدم الطب . . كان زمان قلما ينجو طفل من الدفتريا أو غيرها من الأمراض . . الآن تقدم الطب . .

● وصراع الأجيال ؟

— نعم موجود الآن . . بسبب اختلاف العصر وتغيرالقيم . . الفتى يريد أن يتزوج فتاة أهله يرفضونها . . أو العكس ، مشكلة الفتاة فى الاختلاط بالآخرين مثلا . وأنا أعتبر أن شباب اليوم أكثر وعيا منا . . وأيضا أكثر حرية . . قد يدخن الشاب أمام أبيه الآن ، هذا لم يكن يحدث مطلقا من قبل .

لقد تغيرت القيم القديمة . . فقد كانت المرأة فى نظر الرجل مجرد جسم . . عيون وشعر وطول وعرض وبياض وسمار فقط . الآن والى حد كبير أصبح الاهتمام بشخصية المرأة جسمها . . وإن كان هذا التغير فى بدايته ، ولكنه يمكن رصده . زمان كان الرجل البلدى يقول عن زوجته حينما تمرض « الفخدة تعبانة » بسخرية وتهكم . . تصور كيف كانت تلخص المرأة الانسانة فى هذا التعبير ؟

● إنه تعبير أقل ما يقال فيه الآن أنه لا يستخدم إلا فى محل جزارة ؟ !

— نعم ! إلى هذا الحد . . الآن هذا تغير ، إلا قليلا . . فنحن فى مصر لدينا نقطتان حساستان هما الدين والجنس . . نلاحظ أن الشبان يتعاملون بشكل عادى مع الشابات فى أماكن العمل . . وهذا تغير فى النظرة الاجتماعية . . ومرجع حساسية النظرة الى المرأة الى فكرة العرض أو الشرف ، وهى سبب ظاهرة الأخذ بالثأر ، وظاهرة معاملة المرأة بتشكك وغيره . . طبعا فكرة العرض أساسها دينى .

لقد أجريت مقارنة اكتشفت فيها أن المرأة المصرية القديمة أنضج من الحديثة ، وأكثر حرية ، ومكملة للرجل . . فهمت هذا من الرسائل التى يرسلها المصريون منذ آلاف السنين الى الموتى . . والناس يظنون أن المعاصرين فقط هم الذين تفردوا بهذا الظاهرة بارسال الخطابات

إلى ضريح الامام الشافعي ، ولكنها ظاهرة مستمرة منذ العصر الفرعوني ، حيث كان يكتب المصريون رسائلهم الى الموتى . وفي العصر المسيحي الى القديسين ، والآن الى الامام الشافعي وأيضا الى القديسين . . وهذا يؤكد أن المجتمع المصرى مجتمع قديم ومستمر .

من هذه الرسائل نلاحظ أن المرأة تكمل الرجل وتساويه نسبيا في العصر الفرعوني . وفي المسيحية : رغم اننا نجد اهتماما كبيرا بالمرأة ، فاننا نجد في الكتاب المقدس (الرجل رأس الأسرة) كما أن السيد المسيح رأس الكنيسة وهكذا نجد أن الأسرة أصبحت أبوية ، بعد أن كانت أموية قبل ذلك . . فلان ابن فلانة . . دليلا على أنها كانت تتمتع بمكانة اجتماعية . وهذا موجود الآن في القرى والأحياء الشعبية فقط . . أيضا في الاسلام نجد في القرآن « الرجال قوامون على النساء » وقد جاءت لها تفسيرات متعددة . . أنا شخصيا أسعد بتفسير الامام محمد عبده أن القصد من هذه القوامة أيضا أن المرأة تكمل الرجل والرجل يكمل المرأة . .

● ألاحظ يادكتور عويس أن الدين هو محور معظم هذه الظواهر التي رصدتها ؟

— لا جدال . . فالمجتمع المصرى مجتمع شديد التدين . . ولاتنسى أن اخناتون هو أول الموحدين . . ولا تنسى أن فكرة الثالوث وجدت في مصر القديمة ، وهو ثالوث أوزيريس وإيزيس وحورس . . لذلك رحبنا بالمسيحية حينما جاءت ، لأن فكرة الثالوث موجودة ، أهلا وسهلا ، وحينما جاء الاسلام أيضا رحبنا به ، لأن فكرة التوحيد كانت عندنا ، رغم أن الكهنة قاموا ضد أخناتون ونجحوا في الغاء معالم التوحيد الذى أتى به ولا اله الا الله التي هتف بها ، لكن رغم ذلك ظلت فكرة التوحيد موجودة لأن الأفكار لا تموت . انني أسعد الناس بأن أخناتون - كمصلح ديني - سبق مارتن لوثر بتسعة وعشرين قرنا . . سبقه في الاصلاح الديني لو اعتبرنا اخناتون مجرد مصلح ديني ! ومع ذلك فان الكثيرين يصنفونه في عداد الأنبياء المجهولين .

● الدين أقدم وأسبق :

● ولكن - أرجو أن تأذن لى يادكتور عويس - أن أتحفظ هنا بأن سعادتنا بوجود عقيدة التوحيد لدى اخناتون لا يجب أن تنسينا أن الدين والرسالات السماوية أقدم من الحضارات البشرية وأسبق منها ، فمنذ آدم عليه السلام ، والله عز وجل يرسل الرسل تترى ، رسولا فى إثر رسول حتى محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء . .

— نعم . . هذا كلام صحيح تماما . . وقد ذكر هذا فى القرآن . . فيجوز جدا كما قال بعض الناس أن اخناتون قد يكون نبيا . .

● هو أو غيره يادكتور . . فلماذا لا تكون مبادىء الدين قد انتقلت اليه وعقيدة التوحيد أيضا . . من رسل أرسلهم الله لا نعلمهم ؟

— أنا متفق معك تماما فى هذا . . ولعل هذا يفسر أن قدماء المصريين عرفو التوحيد ، وعرفو الجنة والنار والقيامة والحساب . . . والتدين كما قصدته فى حديثى ، هو التدين قبل الرسالات السماوية الكبرى الثلاث المعروفة اذا اعتبرنا بدايتها اليهودية ثم المسيحية ثم الاسلام . . كان الشعب المصرى متدينا جدا ، واهتم بالموت والخلود ، ولاعتقاده فى القيامة والحساب كان يعمل عملا صالحا . .

● وهذا هو اثر التدين فى السلوك . . أو أن يتحول الدين الى سلوك الى جانب أنه شعائر أوطقوس . .

— تماما . . كان المصرى القديم ، بالدين ، يصبح مواطنا صالحا ، لكى يضمن أن يخرج من القيامة طاهرا بريئا لكى يدخل الفردوس . . هذه فكرة قديمة عززتها الأديان السماوية . .

● هذا عن قدماء المصريين . وماذا عن التدين فى حياتنا الآن ؟

— الانسان المصرى ، حتى الذى لا يصلى ولا يصوم ولا يزكى ، متدين . . لأن فينا شيئا يمكن أن تسميه الضمير الدينى . . موجود . . حتى فى الانسان القاسى أو الذى انحرف فى شبابه ، يعود الى التوبة والتدين فى أواخر حياته . . ان التدين كامن فى النفوس .

● ولكن الدين كسلوك ومنهج . . في حياة الانسان المعاصر ؟

— لا أخفي أن هناك تسيبا بعض الشيء . . ولكن . . دلني على مجتمع أخر يضم خمسة وستين ألف مسجد ، غير الزوايا على طول نهر النيل . . ومساجد الأهالي يلاحظ أنها أكثر من مساجد الحكومة . . هذا غير مائتي وثمانين طريقة صوفية تضم أكثر من ستة ملايين غير أهاليهم وذويهم ! قارن بالدول الاسلامية الأخرى التي قد تفوقنا في عدد السكان مثل باكستان مثلا ذات المائة مليون أو اندونسيا أو غيرهما ! نعم قد يوجد تسيب وانحراف لدى البعض . . وقد يعمد البعض الى الرشوة والفساد والانحراف الجنسي ونسيان الشعائر ، لكن هذا موجود في كل عصر وفي عهد النبي صلى الله عليه وسلم كان يوجد زناة . . ولكن خمسة وستين ألف مسجد رقم لا يفوت على الباحث . . والكنائس نفس الشيء . . وتجد الكنيسة بجوار المسجد . . وهذه لدى الباحث تساوي فكرة التسامح . .

● المهم يادكتور الا يكون الدين في حياتنا مجرد جدران مساجد وأرقام ، وإنما يتحول إلى منهج حياة وسلوك وعمل ومعاملة ؟

— أنا معك في هذا . . واذكر هنا الدور العظيم الذي كانت تقوم به الجمعيات القديمة والأساتذة الأجلاء ، مثلا الشيخ محمود خطاب ، والشيخ حسن البنا ، والشيخ محمد محمود رئيس جمعية مكارم الأخلاق ، والدكتور محمد سعيد رئيس جمعية الشبان المسلمين . كانوا يكونون شبابا مثاليا . . مثلما كون النبي صلى الله عليه وسلم شخصيات مثل أسامة بن زيد الذي قاد جيش المسلمين وتحت امرته أبو بكر وعمر بن الخطاب ، وهو لم يتجاوز السابعة عشرة من عمره ! هنا روعة الاسلام في تكوين الشخصية للعمل الفاضل ، أي المفيد للبشرية . وقد قال الرسول الكريم « لأن تهدي رجلا خير من الدنيا وما فيها » قال ذلك لعلي ابن أبي طالب رضي الله عنه في موقعة خيبر ، وفي قول آخر « لأن تهدي رجلا خيرا من حمر النعم » . . أن تهدي رجلا أي أن تكونه ليؤدي أدواره الاجتماعية كما ينبغي ، وكما يتوقعها مني المجتمع

المسلم . . اذن الهدف أننا نريد أسامات مثل أسامه . . الذى قاد جيشا يضم المبشرين بالجنة وهو فى السابعة عشرة .

● حضرتك تحدثت عن تغير نظرة الرجل الى المرأة بشكل مطلق . .

ولكن . . هل تغيرت هذه النظرة الى المرأة بكل أطوارها . . الحماة مثلا ؟

— لقد تقلصت الأسرة الكبيرة و (بيت العيلة) . . وبسبب أزمة الاسكان . . بدأ الزوجان يرسلان أطفالهما إلى الجد والجدة . . لذلك ما كاد دور الحماة يتقلص ، وبعد أن بدأت تصبح مادة للكاريكاتير والسخرية ، حتى عادت فى هذا العصر تسترد بعض قيمتها ، لاحتياج الزوجين إليها فى رعاية الأطفال أثناء عملهما ! ولكنى أعتقد أن ذلك الاحترام مؤقت أيضا بسبب أزمة الاسكان . . وهذا يعرفنا أن تفكك الأسرة الكبيرة قلل من قبضة الأجيال القديمة ، مثل الجد أو الجدة على الحفيد . . وقل تدخلهما فى حياته . . ولكن لا شىء مطلق فى العلم . . فكما أفادت هذه الظاهرة فى فهم أكثر للأجيال الجديدة ، إلا أنها سلبتهم الرعاية الاجتماعية لبيت العائلة ، والتضامن القديم . . الآن فى الأسرة الفردية ، إذا مات الأب تتصدع الأسرة وتتشتت .

● الجريمة فى مصر :

● ونحن نحاور الدكتور سيد عويس لاننسى أنك خبير فى البحوث الجنائية أيضا . . فماذا عن الجريمة فى مصر ؟

— الجريمة فى كل المجتمعات . . ولكن فى مصر الجريمة فى محيط الرجال أكثر . . اقصى رقم فى محيط النساء ٧,٨ ٪ من نساء مصر يرتكبن جرائم . .

● اقصد . . هل تغير نوع الجريمة ؟

ـ نعم ! كثرت الرشوة . . ومازالت ظاهرة المخدرات رغم غلو أسعارها . . وقل النشل . . وذلك لندرة العمالة وانصراف الصبيان الى العمل الحرفى . . فالصبى الآن يعمل صبى مبيض بثلاثة جنيهات يوميا . . وهذا أكسب وأشرف أيضا من النشل !

جـــريمة العصـــر

● وما جريمة العصر ؟

— أكثر الجرائم أنتشارا وأثرا التهريب . . والمخدرات . . رغم أن ثمن قرش الحشيش الآن ستون جنيها ـ وكان زمان بجنيه ـ تجد من يشتريها . . لك أن تتصور أن رجلا كل عمله « كناضورجى » مخدرات أن يقف فى دوريات ويكسب ثلاثين جنيها يوميا ، ماذا يكون حاله ؟ ! طبعا يدخن سجائر مستوردة ، ويتعاطى البرشام ، وأيضا الأفيون لكى « يعدل مزاجه » كما يدعى ! ولماذا نذهب بعيدا ؟ منادى السيارات الآن يكسب كم فى اليوم ؟ أكثر من عشرين جنيها يوميا . . ومع ذلك يلبس قميصا مقطعا وحذاء ممزقا وشكله مبهدل . . لماذا ؟ أين تذهب فلوسه ؟ أكل ومخدرات وبرشام ! وهذا شىء مؤسف . . ولا تسجله الاحصائيات الرسمية ، لأن هناك جرائم غير منظورة مثل الجرائم الجنسية والرشوة والتهريب والمخدرات .

● المدهش أن تظل ظاهرة مثل المخدرات والأقراص . . فى مجتمع محاط بأجهزة الاعلام التى تنبه وتنذر وتعرض المسلسلات والبرامج التى تقاوم هذا المرض الاجتماعى . . فأين أثرها ؟

— يجب أن تعلم أن هذه الأجهزة تعطى معلومة فقط . . أو رأيا . . قد آخذ به اليوم وأغيره غدا . . ولكنها لا تعطى اتجاها . . لا تغير اتجاها قائما . . المهم أن تغير سلوكا . . فضلا عن أن البحث أثبت أن الأميين لا يفيدون قط من أجهزة الاعلام . . لأن الأمى لايرى ولايسمع من اجهزة الاعلام إلا مايريد أن يراه فقط . . يسمع أغنية أو قرآنا . .

لقد قمنا بتجربة تستحق الاشادة والاستفادة من أجهزة الاعلام فأنا سكرتير عام جمعية الخدمات الأجتماعية ببولاق منذ عام ١٩٤٧ وكان هدفنا دائما هو محو الأمية . . خاصة فى محيط الشابات . . فحينما تأتى فتاة لتتعلم الخياطة مثلا ، نشترط عليها أن تتعلم إلى جانبها أو أن تتلقى دروس محو الأمية . . أتيت بمجموعة من الشباب والفتيات أمام التليفزيون حيث شاهدنا جميعا أحد المسلسلات . .

ثم سألتهم عما شاهدوه . . فقالو كلاما لا يتصل بصلة بما رأوه ! وهناك بحث آخر فى قرية بها تليفزيون وراديو وكاسيت . . وأتضح من البحث أنهم لا يفهمون شيئا من الذى تبثه هذه الأجهزة ! إنهم يقولون الكلام الذى يريدون أن يقولوه . . وليس الذى يقوله المسلسل أو الجهاز ؟ !

لذلك أطالب منذ ثلاثين عاما بمحو الأمية . . وليس الهجائية فقط ، وإنما الأمية الثقافية أيضا والفنية والدينية . .

فأجهزة الاعلام اذن لا تغرس قيمة ولا تكون رأيا ولا تغير اتجاها . . وهذا هو المطلوب . . يجب فهم كل هذا . .

لماذا لا تنجح سياسة تنظيم الأسرة بالشكل المطلوب من خلال أجهزة الاعلام ؟

إن هناك ظاهرة حب الذكور لدى الأسرة المصرية . . لأن حورس أنتقم من عمه ست لأبيه أوزيريس . . وحورس ذكر وهذه الحكاية موجودة فى وجدان الجميع مسلما كان أم مسيحيا . .

* * *

● أوزيريس والامام الشافعى والحسين :

أريد أن أقول أن من يذهب الى سيدنا الحسين أنما هو فى الحقيقة يذهب لأوزيريس ؟ كيف ؟ ! لأن الحسين شهيد مثل أوزيريس تماما . . والاثنان قطع جسدهما وفصل رأساهما وتولت الأخت جمع الأشلاء . . وهى أيزيس فى الفرعونية ، والسيدة زينب عند المسلمين !

هذه حقائق علمية . . وهذا التراث الثقافى ممتد عبر عصور مصر كلها . . ونجدها أيضا فى المسيحية . . عند الأقباط أوزيريس يمثله مارمينا . وانني أسألك وهل سيدنا الحسين توفى فى مصر ؟ طبعا لا . . البعض يقول أن رأسه نقل الى مصر . . وهذا غير ثابت تاريخيا . . فلماذا اهتمت مصر بسيدنا الحسين بالذات ؟ والغريب أنك تجد مسجدا للحسين فى القاهرة ، وفى النوبة ، وفى السودان ! وتحمل نفس الاسم . .

● وهل يرسل الناس رسائلهم وشكاواهم الى ضريح الحسين أيضا ؟

— لا ! . . لأن الامام الشافعى كان قاضى الشريعة . . وله محكمة باطنية !

● هذا غريب . . ان يعرف المصرى القروى هذه المعلومة التى لا يعلمها المثقفون ، ويرسل شكواه الى « المختص » !

— نعم ياسيدى . . هذه هى الأسرار المصرية الخالدة . .

● انها تدل على الحاسة الفطرية المصرية .

— نعم . المصرى بوجدانه يعرف أن المحكمة الباطنية المفترضة موجودة وكان يرأسها أوزريس ، والآن يرأسها الامام الشافعى ! . . وهذا جزء من تراثنا الثقافى ، وهو إرسال الرسائل الى الموتى وفكرة الخلود .

● الفولكلور والأمثلة الشعبية :

● هذا الحديث يجرنا الى تساؤل . . لو كان من الممكن أن يكون لشعب كامل لا شعور جمعى . . فانه ينبغى دراسة اللاوعى الجمعى عند المصريين والأسرار الكامنة وراء عاداتهم وتقاليدهم وفولكلورهم . .

— ياسيدى . . لو كنا ابتدأنا من هذه النقطة التى تطالب بها الآن منذ زمن . . لأصبحنا شيئا آخر أفضل مما نحن عليه الآن . . لو كنا جمعنا الفولكلور والأمثلة الشعبية والحكايات وإنتاج عباقرة المصريين مثل ابن خلدون وابن الهيثم وأمثالهم لوصلنا الى الكثير . . بل أنا تعلمت فى أمريكا وانجلترا ، ولكن ينبغى دراسة تراثنا وتنقيته .

إن اليونان أخذت ثقافتنا الفرعونية ونقتها . . أفلاطون كان تلميذا فى جامعة عين شمس التى كان اسمها « أون » وغير ما من فلاسفة اليونان . . ولكن الفرق أنهم قاموا بتنقية هذه الثقافة من الشوائب . . لأن عندنا شوائب . . تلاحظها فى « سبوع » المولود حينما تهز الأم وليدها فى الغربال لتنقيته من كل الأدران . . مسلمون وأقباط نفعل ذلك . . والحبوب السبعة رمز للخصوبة . . والرجل يطلق عليه « فحلا » كميزة ورمز للقوة والخصوبة . . والمرأة الولادة . . ووراءها كلها فكرة الخصوبة . . فمثلما تقول لو كنا ابتدأنا من بدرى فى دراسة

كل ذلك لكنا تطورنا أسرع من ذلك . . فى الفولكلور مثلا . . كانت موسيقانا تطورت . . بدلا من هذه النغمات الحزينة والناى المقهور الذى يعكس حزن وأنين الانسان المصرى ، فينفخ فيه من قلبه . .

أو لو تابعنا طريق محمد عبده الذى أفرج عن مقدمة بن خلدون وقام بتدريسها . . لقد أضاف . . ولم يكمل أحد بعده . . لو فعلنا ذلك لفعلنا الكثير . .

أنا لست أقول أننا الآن عالة على أحد . . لأن العلم لا وطن له . . والغرب يأخذ منا حتى الآن . . إنهم يعطوننا التكنولوجيا . . ويأخذون منا أفكارا عن مجتمعاتنا وجماعاتنا وأسلوب حياتنا . . بل يوجد فى مصر الآن علماء من الغرب ينقبون ويدرسون ما تطالبنا أنت به الآن !

● لماذا لا نسمع الآن أمثالا شعبية جديدة ؟

— لأن المجتمع المصرى مجتمع قديم . . فمنذ ٥٢٥ ق . م يحكمنا الأجانب الى ١٩٥٢ . . فالخير يكمن ثم يظهر فى أوقات . . مثلا فى أكتوبر ١٩٧٣ ظهرت القيم العظيمة فجأة . . أين كانت ؟ كانت كامنة . . إنها لم تضع . . ولكنها كمنت ـ لأن عصر المماليك كان كله قهرا وظلما . . فاختفت القيم الايجابية وحلت محلها قيم سلبية . . وظهر الكذب والنفاق والصبر السلبى . . والضعف والتخاذل والدموع . . كذلك ظهرت الهجرة الى الله فى الطرق الصوفية . . والهجرة بالجسم الى الخارج ، وظهر التمسح بالمشايخ والأولياء . . وهذا حرام ! لأنك « اذا سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله » ولكن تجد منذ تلك المرحلة واحدا يقول « والله لأكنس السيدة عليك يابعيد » ! لكى يؤذى شخصا ما . . هذا تمسح بالأولياء . . ويكفى أن تقرأ « بدائع الزهور » لابن اياس وترى كيف كان يعيش المصريون فى ذلك العصر . . وسط القهر والظلم . .

الحرية والديمقراطية الحقيقية

● وما نريده الآن هو احلال القيم الايجابية محل السلبية ؟

— لن يحدث ذلك . . وأنا مسئول عما أقول وأنا رجل عجوز - إلا بالتغيير الجذرى للمجتمع المصرى . . أهم شىء الحرية والديمقراطية الحقيقية . . لأن الشعب المصرى عظيم و « ناصح » ويعرف الغث من السمين . . قد ينافق ويكذب وقد . . وقد . . مداراة لدرء الأذى . . ويقول « الصبر طيب ولو كان مر نرضى بيه » ! أو « من رضى بقليله عاش » هذا كلام ولد أيام عصر المماليك وعصور الظلم والقهر . . !

● فى قاموس لغة الحياة اليومية للمصريين الآن . . ماذاتلاحظ ؟

لكل جماعة لغة سرية . . تجدها بين أولاد الأسرة والتلاميذ وفى مواجهة كل الرؤساء . . والى الحاكم بمستويات متدرجة . . ولكل زمن لغته ولكل مهنة لغتها حتى النشالون . . والنجارون والنقاشون . . الخ . . لهم لغتهم السرية لكيلا يفهم صاحب العمل ما يقولون . . وتجد هذه اللغة فى محيط الشباب والفتيات . . يقولون مثلا « الجو بتاعى » . . لكيلا تفهم أنه يقصد الفتاة . . أو مثلا كلمة طنش . . التى تعنى كن سلبيا . . لا تؤد دورك . . انها كلمة مخربة ويجب استئصالها من جذرها اللغوى !

أيضا نلاحظ انتشار ظاهرة الكتابة على المركبات . . هياكل السيارات والتاكسيات . . تجد أمثالا شعبية وآيات قرآنية ومطالع من أغنيات مشهورة وحكما وتحذيرات وشعارات وأسماء . . وأنا رصدت هذه الظاهرة الحديثة الظهور فى كتاب بعنوان « هتاف الصامتين » لأنى أعتبر هذه العبارات وسيلة تعبير « للغلابة » والبسطاء الذين لا يجدون أذاعة ولا صحافة تعبر عنهم فيعبرون عن أنفسهم بأنفسهم !

أيضا نلاحظ انتشار بعض الكلمات الأجنبية مثل O. K .

● تنمية الانسان المصرى والاهتمام بالشباب :

● د . عويس . . هذا البرنامج يهدف الى تنمية الانسان المصرى من كل النواحى . . فأين ترى بداية التنمية ؟

— من الشباب لأنهم هم الذين يمثلون الطاقة . . فلنحترم شباب مصر . . ولانلقى باللائمة عليه دوما . . ولا نظلمهم . الشباب فى مصر يمثل ٦٦ ٪ من مجموع المصريين . . لابد من وضع استراتيجية قومية لاعادة بناء الانسان المصرى . . هذا أهم من كل المؤتمرات والندوات . . فنحن نهدف الى الانتاج . . أنتاج بشرى واقتصادى واجتماعى يجب التركيز عليه . .

يجب اعادة تكوين المجتمع المصرى امعاصر . .

نريد تحقيق أهداف حفظ الحياة وحفظ النوع للمصريين ، والاحتفاظ لهم بمستوى لائق للمعيشة . . لانطلب رفاهية الأمريكان أو عيرهم . . ولكن على الأقل يجب أن يجد المصرى ماء نقيا . . غير ملوث ولا يصيب ٦٧ ٪ من السكان بالبلهارسيا :

لا أريد أن أجد فى بلدى ستين فى المائة وأكثر أمية . . أنهم ملايين من الأميين لا تنفع معهم أى خطط للتنمية :

أريد أن أرى طاقة شابة واعية متعلمة تفهم الآلة التى تقف وراءها وتتمكن من اصلاحها اذا أصابها عطل . . وأن تكون هذه الطاقة واعية لما حولها من ظروف وحقائق سياسية واجتماعية . وتأخذ حقوقها . . وقد آن الأوان لهذا الشعب أن يعطى وأن يأخذ بقدر ما يعطى . وأرجو أن تتحقق آمالنا فى مصر . . وسيظل هدفى دائما أن نعطى الشباب بقدر ما يعطى .

○ ○ ○

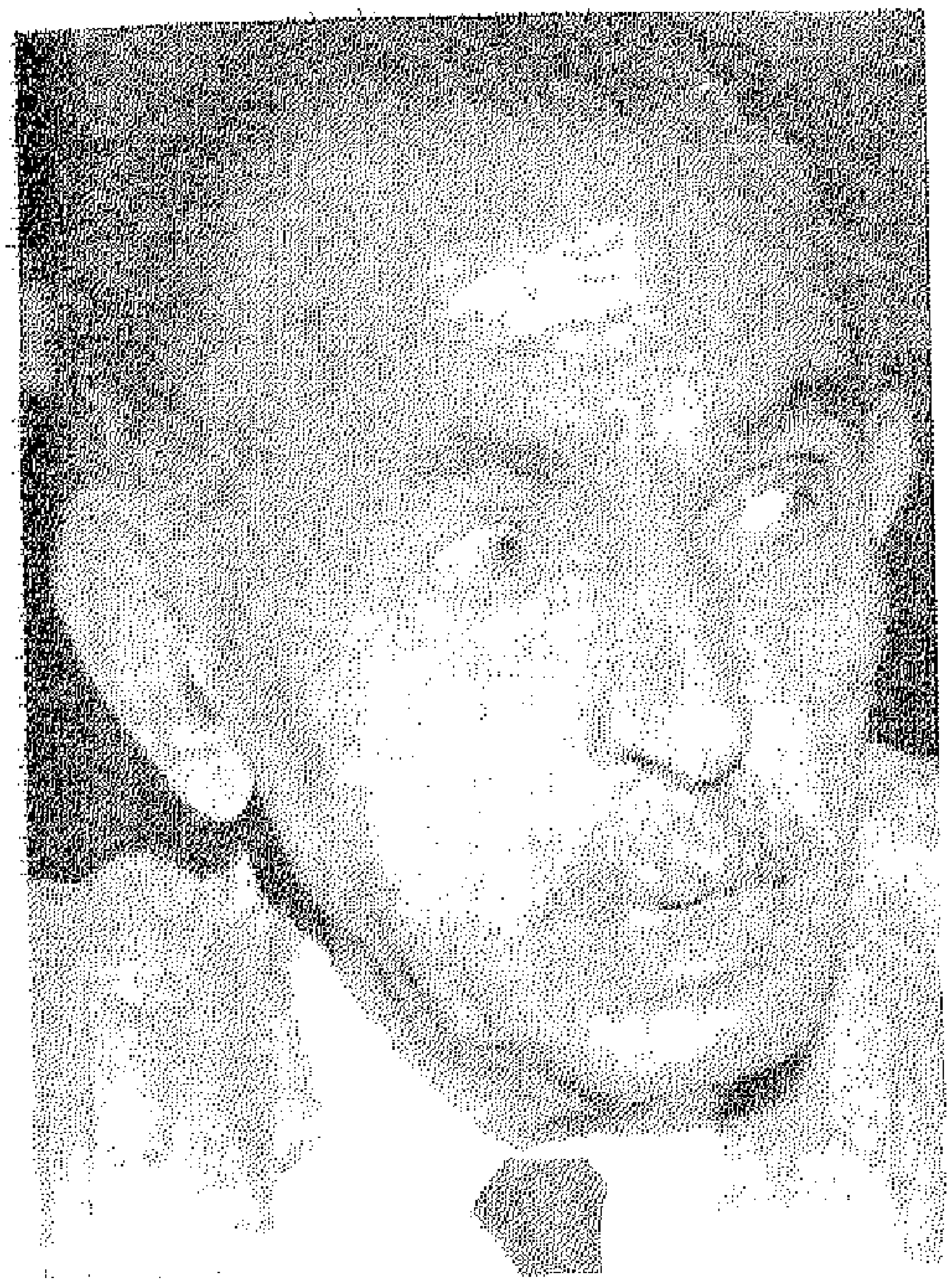

شيخ المهندسين

المهندس حسن فتحى

ومنزل أبيه الذى كل خطوة فيه لها معنى !

● ● وهذا تعريف شاهدنا على العصر اليوم . . وهو ليس فقط رائدا من رواد الهندسة المعمارية فى مصر . . وإنما اتسع فكره . . وتعمقت رؤيته . . فتكونت لديه فلسفة متكاملة واضحة المعالم والأثر . . جعلت العمارة جزءا لا يتجزأ من الحضارة . . وبنى فكرته على رفض البنايات الضخمة المقامة بالاسمنت المسلح والواجهات الزجاجية ، والعودة الى الاسلوب الاسلامى فى البناء بالخامات المحلية ، وباستخدام القبب والقبوات ، بالجهود الجماعية . . وكان توجهه الاساسى للبسطاء من قومه . . ولخير وطنه . . لا لمنصب أو جاه . . حصل على أكبر الجوائز العالمية ، واسمه ومؤلفاته تتداولها جامعات العالم . . ومنحته فرنسا مؤخرا أعلى أوسمتها للفنون ، أولى لنا فأولى ان نعتز باقتناء هذه الدقائق مع شهادته على العصر .

● الاغتراب الثقافي :

أشد ما يزعج المهندس الكبير حسن فتحي هو ظاهرة الاغتراب الثقافي أو الحضاري . . التي تتمثل في أننا نقلد الغرب في كل شيء . . والعمارة لها ملامح تعكس ملامح البشر . . واذا كانت عمارة الغرب تعكس ملامحهم وتناسب اجواءهم الباردة ، فانها لا تناسبنا بالضرورة . . فلماذا نقلد عمارة الغرب ، ونقيم الابراج والعمارات الشاهقة بالاسمنت المسلح والواجهات الزجاجية بالملايين ، ثم نستورد لها أجهزة تكييف بملايين أخرى لنخفض درجة حرارتها ؟ ! أليس هذا تقليدا أعمى ؟ !

اننا في هذا نخضع لاساليب الاستغلال التجاري والصناعي العالمي . . الذي يتعمد ان يغرينا بتقليد عمارة الغرب حتى يبيع هو أجهزته وخبراءه وخاماته . . ان العمارة لها أثر خطير في تنشئة الانسان . . خاصة في فترة الطفولة . . فالعمارة كقشرة القوقع . . تشكل ما بداخلها بشكلها . . والعمارة تنبع من العقل الباطن للجماعة . .

أما ما أراه الآن فهو تجارة . . وانني اتذكر هنا كلمة لانطوان دى سانت اكزيبرى الذى ألف « القلعة » و « الأمير الصغير » يقول فيها « منزل أبى . . الذى كل خطوة فيه لها معنى » . . أما بيتنا المصرى الآن فلم يصبح منزل أبى . . وإنما أصبح منزل « عمى سام » الذى كل خطوة فيه وراءها دولار ! !

العمارة كانت تنبع من وجدان الشعب كالفنون الشعبية ، أما العمارة الحديثة فتنبع من ذكاء الاكاديميين وليس من الجماعة . . لذلك ضاعت الصفة الانسانية من عمارة العصر .

إنك لوزرت أصفهان تجد عمارة اسلامية رائعة تعكس روح الشعب الايراني . . ولوزرت فينيسيا تجد وراءها الفكر الايطالي والحضارة الأوربية . .

أما لوزرت أمريكا . . فانك لا تعرف أية حضارة تعكس ؟ لا تفهم ما وراءها . . لأنها لا تعبر عن الانسان . عمارات شرفاتها غير مغطاة . . ومكدسة فوق بعضها بأعداد مهولة لا تصلح للايحاء بحب

روميو لجوليت حينما كان يتسلق لها الشرفة فى فيرونا ! فمن وراء عمارة مثل عمارة فورد مثلا ؟ انهم ملوك البترول والسيارات ورجال الاعمال . . وليس المثقفين الذين يصيغون الحضارات . .

لذلك فأنا لا أجد نفسى الا هنا فى بيتى أنا . . بيت الفن . . الذى بنى فى القرن السابع عشر . . وهو بيت مملوكى بناه حسن بك الذهبى فى العصر الذى شهد بداية الانهيار والاغتراب الثقافى على أيدى محمد على وأبنائه . . فقد حاول محمد على تقليد تركيا ، وحاول اسماعيل تقليد فرنسا . . وأخذ الباشوات يقلدون الخديوى . . والبهوات يقلدون الباشوات والافندية يقلدون البهوات . . والآن الفلاحون يقلدون الافندية . . وهكذا استمر الاغتراب منذ مائتى عام ، ولا يزال مستمرا ويحتاج الى مجهود رهيب للعودة الى الطريق السليم .

★ ★ ★

● المعاصرة الحقيقية :

التغير والتطور من أسس الحياة . . ولكن نحن نتغير للاسوأ . . وعامل الزمن مهم . .

ولكن . . ما هى المعاصرة ؟

عند الفراعنة مثلا كانت المعاصرة أن يجعلوا المعبد وكأنه كون صغير يعكس فكرة أبراج السماء بحيث يمكن تغيير محور المعبد ونسبه ليتمشى مع انتقال الشمس . . وكانت هذه معاصرة للنظام الكونى . . فالمعاصرة يجب أن تحقق التوافق بين الانسان وما وصلت اليه المعرفة . .

أنا فى رأيى ان العمارات القديمة كانت أكثر معاصرة من عمارات اليوم ! إنها كانت عمارات للمستقبل . . ولأوروبا . .

لقد قام الدكتور أمين يونس فى معهد ابحاث البناء بعمل دراسة عن الفرق فى درجة الحرارة بين البيوت الاسلامية القديمة والعمارات

الحديثة . . فوجد أن البيوت القديمة كبيت السحيمى مثلا أقل خمس درجات عن العمارة الحديثة !

كما وجد باحث آخر ان « القاعة » فى البيت الاسلامى تخضع لما يسمى بالنسبة الذهبية أو النسبة التقريبية . . التى تعتمد على إيقاع الخطوط الذى يشبه وحدات الموسيقى فتريح العين

والأعصاب . . وهى تقتضى عبقرية هندسية لا تتوافر لمهندسى اليوم ! وهى تتمتع بالناحية الرمزية ومهيئة سيكلوجيا !

* * *

فالبيت العربى مفتوح على الداخل وليس على الخارج كالعمارات الحديثة . . لاتقاء الحرارة الشديدة والاتربة التى تتميز بها البلاد العربية . . لذلك يفتح البيت على الصحن . . الذى يعتبر منظما للحرارة أو جهاز تكييف طبيعى . . لأنه يتبادل الهواء مع الخارج فيحتفظ بهواء الليل البارد . .

الآن نحن نفتح مدينتنا على الخارج . . على الحرارة والاتربة والتلوث . . أيضا المشربية التى يهاجمونها الآن هى شىء فى منتهى

القيمة العلمية ، فهى تشبه نظارة الشمس . . ألياف خشبية ذات خاصة هيجرومترية تمتص الرطوبة وتمنع زغللة العين . .

أما الآن فيلجأون الى كاسرات الشمس الحديثة التى مزقت المنظر الطبيعى الى أبيض لامع وأسود مظلم وقضت على دانتيللا المشربيات . . كل ذلك من أجل تقليد الغرب .

● ● ●

● المدن الجديدة :

كل هذه المميزات والمفاهيم أهملت فى المدن الجديدة . . التى أنشئت بلا مدارس ولا مستشفيات ولا خدمات . . ولم تراع فيها الظروف المناخية ولا النواحى الجمالية . . فالشارع القديم مثلا كان يراعى فيه انحناءات و « كوعات » منتظمة على مداه ، بحيث لا يتوه بصر الذى يمشى فيه فى اللانهائى كالشوارع الحديثة ، فيتعب نفسيا . .

أما الشارع القديم فبعد كل مائة أو مائتى متر تلتقى العين بانحناءة أو دوران أو زاوية تقسم اللانهائى الى نهائيات مرحلية . . فكأنه سوناتا موسيقية . . وعلى فكرة الموسيقى والعمارة متصلتان اتصالا وثيقا . . ولا ننسى كلمة جوته أن العمارة هى موسيقى مجمدة . .

● وانا أيضا اذكرك ياشيخ المهندسين بكلمة د . زكى نجيب محمود ان الموسيقى هى عمارة فى الزمان ، والعمارة موسيقى فى المكان . .

— نعم هذا صحيح . . وأضيف ان العمارة من الاحلام لا من الجسم . . وهى فى هذا مثل كل الفنون . . فكيف تكون كل العمارات الحديثة متشابهة ؟ ! لابد من ان تكون لكل بيت شخصية . . كما أننى تابعت تجربة اعادة ترميم وتجديد مسجد صلاح الدين والقلعة ولكننى تعجبت من توقف التجديد على المسجد فقط . .

أننى أطالب بتكوين لجنة وعمل مسابقة عالمية لاعادة تخطيط ميدان صلاح الدين كله . . الذى يضم اندر وأقيم مجموعة معمارية إسلامية

فى العالم وسط « مزبلة » من محطات الاوتوبيس ومقالب الزبالة . . كيف نضع أجمل مجموعة جوامع فى العالم وهى السلطان حسن والرفاعى والمحمودية وقايتباى الرماح وغيرها بهذا الاهمال ؟ . .

ان هذه المجموعة المعمارية تمثل فن النحت الاسلامى فى أروع صورة ولا مثيل لها فى العالم ، وهى تعكس فكرة خط السماء . . فالمطلوب تخطيط المنطقة بحيث يظهر جمالها . . إننى اؤكد ان القاهرة على مدى الثلاثين عاما الأخيرة قد فقدت قيمتها المعمارية . . ومما ساعد على ذلك إقامة كل هذه الكبارى التى حولت النيل الى ترعة . . !

لقد حجزوا النيل عن البصر . . وأنا كنت أطالب ألا تقام مبانى حول ضفتى النيل بأقل من ألف متر . . ثم تقام المبانى متراجعة بنظام « الامفيتياترو » أى تتصاعد فى العلو كلما تراجعت للوراء مثل كراسى السينما أو المسرح . . وذلك حتى يتمكن الجميع من مشاهدة النيل . . وان يترك ما حول النيل حديقة قومية للجميع . .

اما الآن فنحن لا نرى النيل بسبب المبانى الشاهقة والابراج التى اقيمت ملاصقة لشاطئيه . . كما أننى ضد موضة الكرانيش « جمع كورنيش » التى حجبت النيل عن النظر الا اذا غامرت بحياتك لالقاء نظرة . . فالسيارات تنهبه نهبا وتهدد حياة من يقترب من شاطئه !

★ ★ ★

● تجربة باريس :

● طرازك المعمارى الذى طبقته على قرية باريز بالواحات أصبح طرازا عالميا يدرس فى انحاء العالم . . فما مصير هذه التجربة ؟

— إننى أحس ان كل عمارة حديثة أسير أمامها تقول لى هذه السفاهة وهذا القبح قيمتك عندى أيها الرجل ! إنها إهانة لعابر الطريق . . إننا نسب فى قيمتنا الثقافية والحضارية حينما نسير فى مدينة العصر التى تنهار عماراتها الحديثة . . وكأنها تقول لنا أنت ليس لك أى قيمة . . انا التى أحدد كم تدفع لى . . ألف أو مائة ألف فى الشقة والا فلتظل بلا مأوى ! أصبحت القيمة الوحيدة هى الجنيه . . وياليتهم يحسنون التخطيط لقاهرة المستقبل بعد عام ٢٠٠٠ . . ولكنهم يتبعون نفس الطريقة العشوائية فى القاهرة ، وأيضا فى ضواحيها وفى المدن الجديدة . . ويزيدون التشويه بهذه الكبارى العلوية التى تتقاطع على شوارعها مشوهة جمالها . . !

ولذلك صممت ونفذت قرية باريز بالواحات . . وحينما دعتنى الولايات المتحدة منذ عام لزيارة لمدة أسبوعين حدث رد فعل . . بل ثورة إعلامية لم أحصل عليها خلال أربعين سنة فى بلادى . . حدث انبهار بتجربة باريز والاسلوب الاسلامى المعمارى . . واقتبسوها وبدأ تطبيقها فى نيومكسيكو . . وطلبوا منى الاشراف عليها وأرسلت لهم بنائين وصنايعية مصريين لصنع الاسقف المقببة التى طلبوها لتوفير ثمن الخشب . . بينما هنا فى مصر قتلوا التجربة وحولوا قرية باريز الى منفى لمهربى الحشيش ! وذلك لسبب بسيط انها لا تتكلف الكثير . . وبالتالى فلا مجال للعمولات وما إليها ! !

ان الفيلا الواحدة من التى اقمتها فى الواحات الخارجة تكلفت أحد عشر ألفا من الجنيهات ومساحتها ثلاثمائة متر . . وهى تتكلف بمقاييس المعمار « العصرى » ثلاثة ملايين من الجنيهات ؟ وتتمتع بميزات مناخية لا تتوافر لمبانى العصر . . البدروم يكاد ان يكون

ثلاجة . . ولكن لأنها لا تتكلف الكثير أوقفوا المشروع . . بل هددوا طالبا بكلية الهندسة بالفصل لأنه في الامتحان صمم مباني متبعا أسلوبي المعماري ! في نفس الوقت الذي أشرف فيه الآن على اقامة « دار الاسلام » في نيومكسيكو بالولايات المتحدة . . وحدث اهتمام عالمي بها وثورة في الصحف والتليفزيون الامريكي . . وهو في الحقيقة شيء مخجل . .

● هل صراحتك هي المسئولة عن حجب وصول التقدير اليك في مصر ؟

— ربما كانت صراحتي تضرني . . وأنا فعلا في هذا الحديث كنت أيضا صريحا وأعتذر لكل من جرحتهم صراحتي ! ان كل هدفي الا أكون خائنا لديني وبلدي . . لابد ان أقول الحق . . ان أمنا مصر مريضة ومعي العلاج ولكن اخوتي يمنعونني من علاجها ! انني اقدم مشروعي باختصار واضعه تحت بصر المسئولين وأخلي ذمتي أمام الله . .

أنا أدعو الى ترك البناء بالحديد والأسمنت المسلح والتكييف وبناء الناطحات والابراج . . وان نبدأ على الفور - ان لم يكن بالقاهرة والضواحي - فعلى الاقل في المدن الجديدة والتوسعات والامتدادات - بالعودة للبناء طبقا للنظام المعماري الاسلامي . . بيوت عربية مبنية بالخامات المحلية من حجر وطوب لبن وخلافه ، وبالمجهود البشري التعاوني . . وبحيث يكون كل بيت مريحا للطفل وللشيخ معا . . فيه مكان للعب والاستغماية وفيه الصحن والقبة . . وان يكون ملائما لاجوائنا . . بحيث تكون درجة الحرارة فيه معتدلة . . ولا يكلف كثيرا ليصبح في مقدور الانسان البسيط أن يقيمه . .

لماذا لا تدرسون هذا المشروع وتوفرون على الدولة ملايين الجنيهات التي تنفق على الاسمنت والحديد والتكييف . . وترفعون عن كاهل المواطنين مشكلة الخلو والمقدم ؟ ولماذا لا تعودون الى حضارتكم الأصيلة لتصبح لمدننا وبيوتنا شخصية حضارية وسط الشخصيات ؟ لماذا ؟ ؟ ؟ علامة استفهام .

الدكتور حسين فوزى عاشق الحضارات

● أيها الاصدقاء . . لا أجد تقديما لضيف هذه الحلقة ، إلا هذه الكلمات . . التى جاءت فى تقرير منحه الجائزة التقديرية فى الفنون عام ١٩٦٦ . . وهى تقول : « إنه من الشخصيات النادرة ، التى تؤكد المعنى الكامل للانسان المثقف فى العصر الحديث » . جمع الى عقليته ، ودراسته العلمية المتخصصة ، ثقافة اديب وفنان . تعمق فى الآداب الى ما هو ارفع من مستوى الاحتراف ، وأعمق من مستوى الهواية . . إنه العالم والأديب والفنان والمفكر الكبير الدكتور/حسين فوزى . .

جيل بداية القرن

بدأت الشهادة بتحديد ميلاد صاحبها مع بداية القرن عام ١٩٠٠ كما بدأت بتقرير كطلقة الرصاص أنه على مدى بدايات حياته كانت مصر على الدوام ترتقى . .

ويقول : ان معنى الارتقاء عندى هو الارتقاء فى طريق الحضارة . . لا توجد حضارة عربية وحضارة أوروبية . . وإنما يوجد ما يسمى الحضارة أو « سيفيلاسيون » . . قالها بالفرنسية وكأنه يؤكد الفكر الذى يحكم اختيار الألفاظ واللغات أيضا !

فالحضارة . . فى الاصل ـ يكمل ـ حضارة واحدة . . هى طريقة التفكير بالعقل . . ولكن يمكن ان تسميها حضارة شرقية أو غربية . . ولكنها واحدة . . وقد كان اتجاهنا فى البداية محددا فى مصر . . ونحن ما نزال بالبنطلون القصير . . كان اساتذتنا يقولون لنا . . لو كنتم تحبون بلدكم وتريدون لها الخير والتقدم . . فانظروا الى اوروبا . . هذا ما حكمنى منذ مطلع عمرى واستمر معى الى اليوم . .

أوروبا الحضـــارة

لماذا أنظر الى أوروبا ؟ حاليا انا ارى مصر تنحدر ولا تتقدم . . فكريا . . لا ماديا . . فالحضارة المادية ـ أى التكنولوچيا ـ يمكن شراؤها واستيرادها والتدرب عليها . . ليست مشكلة . . حتى لو اقتضى الأمر استيراد خبرائها معها . . ونحن كنا نفعل ذلك فى البداية . .

● تقصد كما فعل محمد على

— أنظر الى ما فعله محمد على . . رجل لا يعرف القراءة والكتابة . . ولكنه عبقرى . . لقد رأى أن أحد أسرار تقدم بلده ، تركيا ، هو تقبلها للحضارة الأوروبية . . خلعوا « العمم » ولبسوا الطرابيش . . وهكذا . . واليوم تركيا دولة أوروبية . .

● ولكن . . بأى قيمة يا دكتور ؟ ألا تعتقد ان تركيا أخذت الشكل الخارجى فقط للحضارة الأوروبية ؟

— لا . . لا أعتقد . . فهذا يرجع لملكات الأمة نفسها . . ان لم تتقدم فالذنب ذنبها . . لكن المهم أن تبدأ . . لقد ارسلنا بعثات . . كان القصد منها واضحا وهو تكوين الجيش بكل متطلباته وتخصصاته العسكرية والمهنية . . ولكن حدثت ظاهرة غريبة . . أحد الشيوخ نصح محمد على بارسال بعض مشايخ الأزهر مع البعثات لكى يحافظ على اسلامهم فى الغربة . . وفعلا سافر رفاعة الطهطاوى . . الذى أدى مهمته خير قيام من الناحية الدينية . . ولكن الأهم . . أن هذا الأزهرى الصعيدى احتك بحضارة أوروبا ، وكان لهذا أكبر الأثر فى بعث الحضارة الحديثة .

لأن ما أريد أن أصل اليه أنه لا توجد حضارة روحية خالصة ابدا . . اللهم إلا فى الأديرة مثلا . . كتابه « تلخيص الابريز فى تلخيص بارز » كتاب عجيب حقا ! يعبر عن انبهاره بالحضارة الأوربية . . فدرس المسألة . . واهتم بالناحية السياسية وطريقة الحكم فى أوروبا . . وسيادة القانون . . والديمقراطية . . ولا تنس أن الدراسة الأزهرية تزود دارسيها بمنطق عظيم . . ففهم هذا . . ولم يقع فى الخطأ الذى نقع فيه الآن حينما نقول حضارة مادية وحضارة روحية . . البعض لا يستطيع الفصل . . ويتصور أن الحضارة الأوروبية أن يكون عنده سيارة وأجهزة حديثة . . لأنه لا يعرف بالضبط ما هى الحضارة الأوروبية . . الحضارة الأوروبية هى النتيجة العجيبة التى حدثت فى أوروبا بعد عصر « الرينسانس » أى الميلاد الجديد . . الذى جعل أوروبا بعده غير أوروبا قبله تماما . . وبدأ التطور الكبير من فلورنسا فى إيطاليا . . هذه الحضارة . . هى فكر قبل كل شىء . . نهلت من الفكر الاغريقى . . مما ينفى عنها صفة المادية . . فقد نهلت من فكر وفلسفة وفنون اليونان . . وهذا كان الأساس . . وكلها عناصر روحية . . عندنا نظن ان الحضارة الاوروبية سيارات وطيارات وتكنولوچيا . . لكن لا . . فالاساس فكر وروح . . الرينسانس نهلت من الرومان واليونان . . واليونان أكثر طبعا . . ودرسوا لغاتهم . . وكانت البداية فى فلورنسا ثم روما . . ثم فرنسا . . ثم المانيا ثم انجلترا . . وهكذا . . وقد نجحت الحضارة فى أوروبا نجاحا كبيرا . .

* * *

الحريات أصل الحضارة

وأصل هذه الحضارة هى فكرة الحريات . . لأن كل هذه كانت مقدمات لتفتيق الأذهان من ناحية الفلسفة أو الشعر أو المسرح اليونانى . . فأهم وأخطر ما كان يقضى على العصور الوسطى هو التمسك بقوة واجبات الدين . . ان الدين - فى رأيى - حرية . . ولايمكن لأى سلطة فى الأرض أن تفرض على أن أصلى أو أن أصوم . . لا . . أنا مسلم يعنى

مسلم . . ! لذلك انا ضد تقنين الشريعة الاسلامية . . فالقانون قانون والشريعة شريعة . . ولقد كنا كذلك في العصور القديمة . . ولكن الدارسين في مدرسة الألسن الذين درسوا القانون الروماني . . اكدوا أتفاق الاسلام مع الكثير من القانون الروماني . . ووجدوا أن تطبيق قطع يد السارق مثلا في هذا العصر مستحيل عمليا في بلادنا . . ما الذى يلزمني أن اطبقه ؟ ! لذلك فأني ارى أن اهم ما حدث في الرينسانس هو تخليص المجتمع من تضييق التنظيم الديني . . وليس ترك الدين أو التدين . . وهناك فرق بين الاثنين . . هم فقط ازالوا حمل رجال الدين ، واعفوهم من التدخل في كل شيء . . تحرروا . . لذلك أقول لا يصح ونحن في اواخر القرن العشرين أن نبحث عن الشخصية المصرية ! الشخصية المصرية قائمة منذ سبعة آلاف سنة . . الفلاح المصرى هو هو . . والنكتة المصرية مستمرة على مدى العصور . . وأذكرك بقصة الفلاح الفصيح !

تحديث مصر

المهم . . أن أول احتكاك حقيقي لمصر بحضارة أوروبا تم مع الحملة الفرنسية . . حيث اكتشفنا أننا لم نكن نعيش في الدنيا ! كانت دنيانا عبارة عن الخطبة والزواج والحج وكفى ! فيما عدا الشعائر الدينية كالصلاة والحج فهذه هي ما تسمى الحياة المادية ! وقد حدث هذا الاحتكاك بطريقة منظمة جدا . . فاكتشفنا أنه لا يوجد عندنا قانون ! فاجتمع خريجو مدرسة الألسن بمساعدة شيوخ الأزهر وتناقشوا . . واكتشفوا ان القانون المدني لا يختلف كثيرا عن الشريعة الاسلامية . . في المواريث وما اليه . . فقالوا . . لماذا نغيرها ؟ ولكن القانون الجنائي يختلف تماما . . فاقاموه مشاركة مع علماء الأزهر المتنورين . . واستطاعوا حل المشكلة . . ولم يأخذ قانون انجلترا لأنه لا ينفعنا . . ولا ينفع إلا انجلترا الملكية ، وأخذوا القانون الجنائي الفرنسى . . وركزوا على نقطة هامة . . وهي أنه لا حق للمجتمع في الحكم بالاعدام على انسان . . لذلك . . حينما تصدر محكمة حكما بالاعدام على واحد

تعرض أوراقه على المفتي ! والحقيقة أنا ضد أن يكون الدين عائقا أمام الحياة بسبب الفهم الخطأ للدين نفسه . . إن سبب تقدم أمريكا في نظري انها تفصل الدين تماما عن بقية أنشطة الدولة . . وهذا موجود في دستورها . . والذي طالب باضافة مادة الحرية الدينية الى الدستور الأمريكي هو سفير أمريكا في فرنسا . . الذي حضر تكوين القانون الفرنسي في القرن الثامن عشر . . فأرسل لحكومته قائلا « لقد نسينا شيئا هاما في الدستور . . الحرية الدينية . . إننا لا يجب أن يكون لنا دخل في دين ما » وفعلا ضمنوها في الدستور . . فكيف يريد الآن البعض ارجاعنا الى الوراء ؟ لاخطر علينا من التقدم . . بل الخطر في محاولات التعصب والتطرف .

الأسئلة في حوار الحضارات ما زالت قائمة

● الحقيقة لا يمكنني أن اقبل آراءك يا دكتور حسين الا بتحفظات شديدة . ولكن حديثك يؤكد أن كل الاسئلة التي كانت مثارة في قضية التقاء الحضارات والثقافات مازالت قائمة منذ مائتي عام ولم تجب حتى الآن . . بدليل اننا مازلنا مختلفين على المنهج والأسلوب ونقطة البداية حتى الآن . . اليس هذا غريبا ؟

— هذا سؤال جميل . . ولكنك تنسى ان هذه الظاهرة مستجدة . . بمعنى اننا من أوائل هذا القرن الى سنة ١٩٥٢ كنا سائرين كأى دولة أوربية مع فارق الامكانيات فقط . . الى ان جاءت ثورة ٥٢ التي كان فيها صفتان خطيرتان . . ان بعض قادتها كانوا من اصدقاء النازيين والمعجبين بهم . . والبعض الآخر كانوا متعصبين دينيا . . فلم تكن الرؤية واضحة . . ولم يتضح إلا طموح عبد الناصر ! فما أريد ان أقوله ان هؤلاء الحائرين أمام هذه الأسئلة الى الآن ليس منهم حسين فوزي أو توفيق الحكيم مثلا . .

● الا ترى ان سبب الانقطاع الحضاري الذي تشير اليه بعد ثورة ٥٢ هو انشغالنا في أحداث وحروب متوالية استنفدت طاقتنا وقدرتنا على تحديد الطريق والاحتفاظ به ؟

— تفكيرك سليم . . ولكى لا أكون مفهوما بطريقة خاطئة ، فأننى أؤكد ان بداية الأخطاء لم تكن بعد ٥٢ أنما قبل ٥٢ . .

فالخطأ الأول وقع من الملك فاروق . . الذى اقنعوه انه ملك العرب كلهم ، وادخلوه حربا لم يكن عنده جيش مهيأ لها ! ضحكوا عليه . . وأنا أعرفه وأعرف أباه الملك فؤاد شخصيا ، وكنت أزورهم فى القصر حينما تركت تخصصى كطبيب عيون واتجهت لدراسة علوم البحار فى معهد الملك ، وقمت برحلتى الشهيرة على السفينة « مباحث » . . وكنت صديقا لصفوة أدباء مصر . . مثل محمد واسماعيل تيمور ، الذين عملوا فى القصر كتشريفاتيه ، فلما عدت من بعثتى قمت بزيارتهم كأصدقاء ، فقابلت الملك فؤاد الذى حاولت تقبيل يده . . فقال بلكنة « جريجى » استغفر الله ! فى حين قابلت ابنه فاروق بعد ذلك ، فكان هو الذى يمد يده الملظلظة لى لأقبلها . . فلم اقبلها ! وكان فاسدا ولم يقبل نصيحة ولا برنامجا . . لأن تربيته كانت خطأ من ناحية أمه . .

نقد عبد الناصر . .
لكتاب سندباد مصرى

المهم أننى أريد أن أصل الى أن ثورة ٥٢ كررت نفس أخطاء الملك فاروق فى دخول حروب غير مستعد لها عسكريا . وأنا قلت هذا الكلام ، ثم وصلنى عن طريق الأستاذ محمد حسنين هيكل أن عبد الناصر رغم اعجابه بكتاب سندباد مصرى ، فإنه لم يعجبه قولى أننا لسنا بلد عسكريين . . مع انى مصر على ما قلته . . وأردده فى كل مكان . . فنحن صناع حضارة ، ولسنا صناع قتل . . لذلك أنا عارضت عبد الناصر فى تكرار نفس أخطاء فاروق ودخول الحرب بلا استعداد ، فتكون النتيجة الهزيمة مرتين . . لذلك فأننى رغم عيوب السادات الا اننى لا يمكننى إلا أن أحب هذا الرجل ، لأنه هو الذى استطاع أن يعيد إلينا سيناء .

* * *

عصر التخصص

● جمعك بين طب العيون وعلوم البحار والتذوق الموسيقى والأدب والفكر يطرح سؤالا عن عصرنا . . هل هو عصر التخصص أم اللاتخصص . . أو الانسان الشامل ؟

— بل هو عصر التخصص الدقيق . . وأنا تخصصت فى كل ما ذكرته !

* * *

شخصية مصر تأبى التغريب

● ألا تخشى على الروح المصرية الأصيلة من الذوبان بعد دعوتك للتغريب ؟

— إنك تنسى ظاهرة هامة فى تاريخ مصر . . ان كل الفاتحين والغزاة والملوك الاجانب الذين اعتلوا عرش مصر ، سرعان ما ذابوا هم فى روح مصر على مدى كل عهودها . . مصر لا تغير وجهها بهذه السهولة . . بل ان الاجنبى بعد فترة قصيرة يجد نفسه وكأنه واحد منا . . حتى المماليك الذين أشربنا كرههم فى المدارس كان فيهم عظماء اندمجوا فى روح مصر . . اننا لا يجب ان نخشى الحضارة العالمية . . فقد ساهمنا فى صنعها ثلاث مرات . . مرة فى العصر الفرعونى ، ومرة فى العصر القبطى بالأديرة ومدرسة الاسكندرية ، ومرة ثالثة فى العصر الاسلامى بالأزهر الشريف . .

لذلك لا يجب أن تكون لدينا « عقد » من الأخذ من حضارة العالم . . اذن سواء فى عهد الفرعونية الوثنية أو القبطية . . التى ابتكرت الاديرة التى قلدتها أوروبا وأولها أيرلنده . . ثم فى عهد الاسلام بالأزهر الذى ابتكر نظام استاذ الكرسى والعمود . .

إن مصر مكرمة عالميا أكثر من المصريين أنفسهم !

وانا اقول هذا الكلام من منطلق أنى أعتبر نفسى عاشق الحضارات .

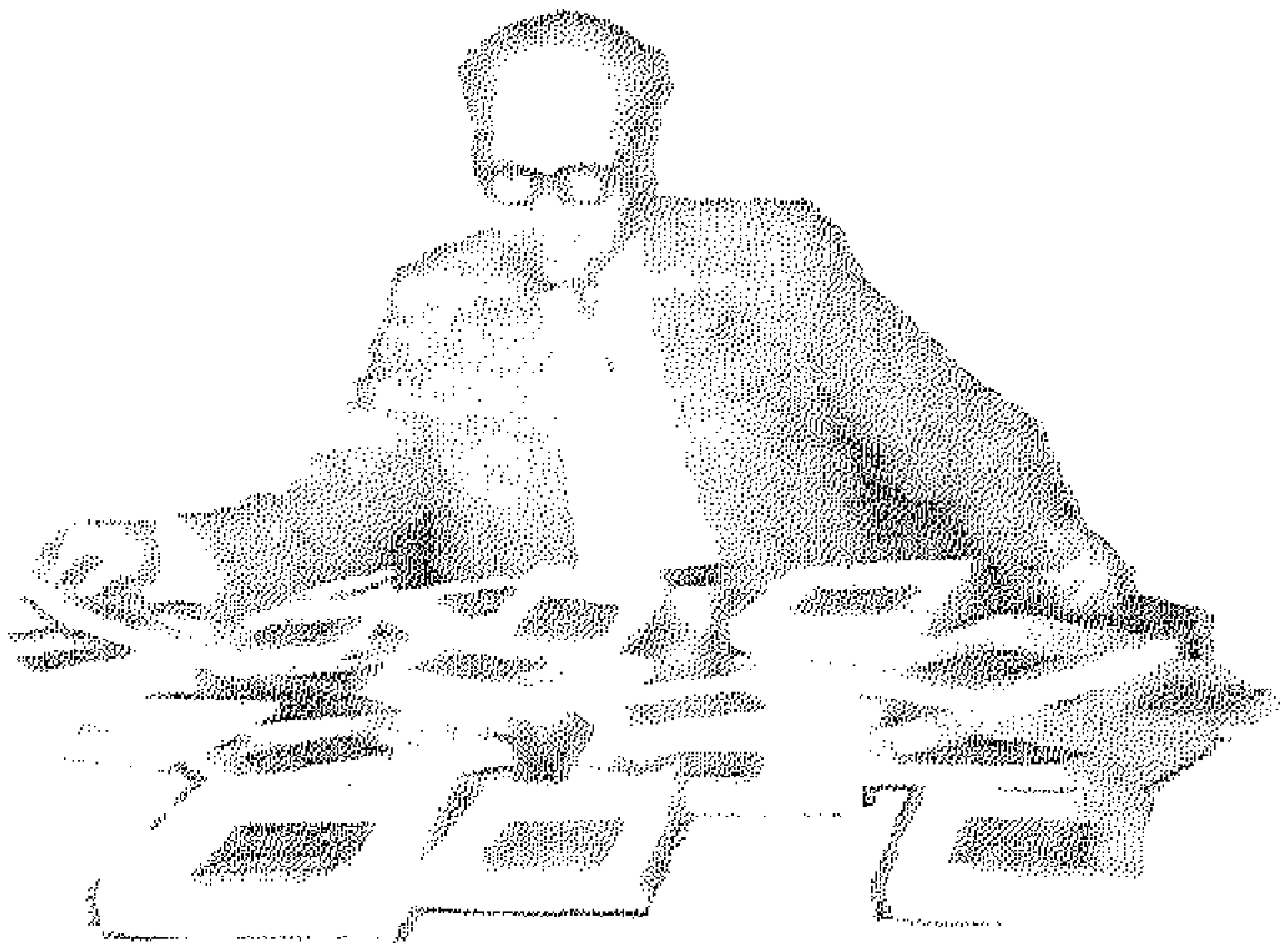

دكتور حسين مؤنس وعشق مصر

● لا شك اننا كلنا عشاق لمصر .. ولكن السؤال هو .. كيف نحب مصر ؟

ان الظواهر التى تسود مجتمعنا المصرى المعاصر تفرض هذا السؤال .. لأن فى اجابته تحديدا للطريق ، وانطلاقا الى الغد . وشاهدنا على العصر فى هذه الحلقة .. مفكر مصرى كبير .. يرصد الظواهر المعاصرة ، ويحللها بروح المؤرخ ، وعقل المفكر ، ورؤية الأديب ، وقلم الناقد ..

إنه الكاتب الكبير د . حسين مؤنس .

انه يؤكد فى البداية أننا لا نعيش الآن عصرا واحدا .. فقد اسرع التاريخ مسيرته ، فأصبحت العصور قصيرة متوالية متداخلة .. فمن الحرب العالمية الثانية الى الآن فترة قصيرة نسبيا بالنسبة لبلد مثل مصر ولكنها حفلت بالاحداث والأشخاص .. بعكس ما كان يحدث من قبل .. حينما كان الحاكم يحكم فترة طويلة تزيد أحيانا عن عشرين سنة والزمان كان نائما ..

النقلة الحضارية

لذلك فأننى اعود الى بداية اتصال مصر بجوهر الحضارة الاوروبية بعد الحملة الفرنسية ، وما حفل به القرن التاسع عشر من أحداث انتهت بالاحتلال البريطانى فى ١٨٨٢ وكفاحنا ضده الذى استمر حتى ثورة يوليو ٥٢ . .

وهذه الفترة تنقسم الى احتلال وشبه احتلال . . احتلال حقيقى بقوة عسكرية وسيطرة كاملة الى سنة ١٩٣٦ ، حيث تخلص المصرى من قوة الاحتلال الرابضة فى قلب بلاده على القلعة أو باب الحديد أو قصر النيل بالقاهرة ومعسكرات مصطفى باشا بالاسكندرية .

ومن ١٩٣٦ الى ١٩٥٢ كانت الفترة هى شبه احتلال . . حيث عسكر الانجليز على منطقة قناة السويس فقط ويسيطرون على مصر مع الملك الذى كان يمثل امتداد عصور السلاطين ، وكان يمثل الشعب فى ذلك الوقت النحاس باشا والوفد . . الى أن جاءت ثورة ٥٢ فابتعد الانجليز . . حينما جاء عبد الناصر بشخصيته الضخمة التى القت ظلها على مصر كلها . . ثم على العالم العربى ثم العالم الثالث . . كان يجرنا وراءه . . يجرى ونحن وراءه . . ولم يفكر أحد منا الى أين ونحن ذاهبون ! تم ذلك بسرعة غير معقولة . .

الثورة قامت فى ٥٢ ، وفى سنة ١٩٥٣ معاهدة السودان ، سنة ١٩٥٤ جلاء الأنجليز ، سنة ١٩٥٦ تاميم القناة ، سنة ١٩٥٧ صفقة الاسلحة التشيكية . . سنة ١٩٥٨ الوحدة مع سوريا وفشلها ، ثم الفترة الناصرية الأولى . . ثم فترة الأغلاط الكبرى . . حرب اليمن . . التى دخلناها بدون تخطيط . . وخرجنا منها بدون تخطيط . . ثم نكسة ١٩٦٧ ثم تصفية قوة عبد الحكيم عامر الذى كان كنائب السلطان . . ثم نأتى الى فترة السادات . . الذى بدأ بداية عظيمة بتنظيمات ١٥ مايو واغلاق المعتقلات والغاء الحراسات . . واعادة الأمان المفقود الذى ضاع قبله ، حينما لم يكن أحد يملك

حقوقا . . حتى عبد الناصر نفسه . . يوم ٥ يونيو لم يكن يعرف في العاشرة صباحا ما الذى حدث . . وأين يذهب جيشه !

* * *

السادات والاستفادة من الكارثة !

لكن كارثة النكسة كانت مفيدة . . فقد دفعتنا الى التفكير والتقييم . . وأعتقد أن هذه الفترة من ٦٧ الى ٧١ هى الفترة التى انهمك فيها السادات في التفكير بهدوء فيما ينبغى عمله . . وشاركه في نفس العمل الآف الشباب الذين عبروا عن سخطهم . . وهذه فرصة لكى انصف شباب مصر الذى اتهمونى بظلمه ! والحقيقة ان الخطأ ليس خطأ الشباب ، وانما خطأ المشرفين على الشباب .

وقد توج السادات هذه الفترة بانتصار ٦أكتوبر ، ثم استثمار نتائج هذا النصر باستعادة ارضنا ، واستعدناها فعلا . . ثم يأتى البعض ليشكك في قيمة ذلك ! وهذه ظاهرة طبيعية كذلك . . فالبعض لم يكن يريد ذلك أو لم يكن يريد ان يحدث ذلك الا عن طريقه وبأسلوبه . . لكن أرضنا عادت . . وهذا نجاح . . لا شك . . يقابله فشل مطلق من نواحى الاصلاح الادارى . . لقد كنا نحتاج الى عبور آخر ادارى . . لكى لا أذل نفسى من أجل استخراج ورقة من موظف لم يعبر بعد ! ثم تجد شخصا آخر عبر أكثر من الباقين . . تجده متحمسا ويقول ان ما أتى به السادات ليس بكاف ! لو كان حسن النية فيجب الاستماع اليه . . لأن من هذا الشباب سيخرج قائد المستقبل . .

إذن فنحن نعيش اكثر من عصر واحد . . هناك من عبروا وهناك من لم يعبروا . . وهناك من استفادوا من العبور . . كالانفتاحيين الذين هرولوا الى الكسب السريع المضر بالبلد . . أى بلد . . الا اذا كان المجال الذى يعيش فيه الناس هو مجال كسب . . كطبيعة امريكا مثلا : التى تملك خيرات لا نهاية لها . . لكن بلدنا محدودة . . فلو أنك كسبت ألف جنية فوق دخلك فلابد انها منى أو من غيرى . . لأن بلدنا فقير ولم نتعلم صنع المال . .

كيف نكون شطار !

اللبنانيون لديهم القدرة على صنع المال . . ويخططون لكسب قد يأتى بعد ربع قرن . . أما نحن فنفسنا قصير . . فى انجلترا مثلا يفكرون لمدى أبعد . . وربما الى غير مدى . . فيفتح اثنان محلا باسمهما . . محل فلان وفلان ويستمر ثم يضم الآلاف . . أما نحن فلم نتعلم معنى الزمن . . والتخطيط . . الذى ما هو الا تفكير منظم . .

بلدنا صغير حقيقة . . لكن امكانيات الثروة فيه غير محدودة . . فبلدنا يقع على بحرين لابد أن يمر العالم كله عليهما جيئة وذهابا . . كأننا على ناصية أهم شارعين فى العالم ! لو وضعنا بعض القلل القناوى لبعناها للعالم . . إنها عبقرية المكان على قناة السويس . . ولكننا لا نستغل هذا الموقع . . فنحن نملك اطول شاطئين لا نستغلهما . . بعكس ما يحدث فى دول امكانياتها السياحية اقل كثيرا . . ولكنها تكسب كثيرا . . اما نحن فيأتى لنا السياح يريدون شيئا من الشمس وبعض الراحة . . ولا يجدونها فى بلادنا التى لا تملك أكثر من الشمس . . لأننا نتدخل فى شئونهم ونضايقهم . . ويأتى الرجل الاجنبى ليرى الهرم الذى طالما حلم به . . فيفاجأ بمن يطارده بجمل أو حصان بالعافية ! فهو أتى للشمس ولكننا نضعه فى الظل ! عيبنا ان تفكيرنا فردى . . لم نتعلم من الماضى ولا الحاضر التعليم المشترك . .أو الجماعى . . وتكوين الجماعات وروح الفريق . . لماذا لا يجتمع كل سكان عمارة مثلا لاصلاح وصيانة وتنظيف عمارتهم ؟ لأن كل ساكن يعتبر ان عالمه ينتهى عند باب الشقة . . ولم يفطن الى أن عالمه يمتد الى « بير السلم » والحوش والشارع . .

ياليتنا نأخذ القدوة من أسلوب الجيش فى العمل الجماعى . . لقد نجح تنظيم الجيش واعادة بنائه لأنه جماعة تلتزم بنظام . . نحن لم نتعلم فن الادارة . . وهى تسيير الامور بأسرع وأسهل وأوفر طريقة ممكنة . . وليس بتعطيل كل ورقة كما يحدث عندنا بسبب عدم ثقتنا فى بعض . . اذ لا يكفينا توقيع موظف واحد أبدا . . لابد من عشرة !

والمسئول عن هذه الظواهر هو سرعة العصر فى احداثه وتلاحق أحداث الفترة الأخيرة بما لم يترك فرصة للتروى . . المصرى لم يجد من يعلمه ان يمسك بزمام الزمن . . عبد الناصر قال لنا « اسكتوا وأنا سأعمل لكم كل شىء » . . فقضينا خمسا وعشرين سنة لا نفعل شيئا الا اطاعة اوامره . . فكانت النتيجة انه لم ينجح . . ولا نحن . . هو كبطل لم ينجح كبطل . . ونحن شعب قوى قادر على القيام بالكثير ، ولكننا لم نقم معه بأى شىء . . لأن هذا الاسلوب كان اسلوبا خاطئا . . لم نفهم تجربة أيزنهاور فى اعادة بناء المانيا بالعلم والتخطيط . . اليوم المانيا الغربيةأقوى دولة فى أوروبا الغربية وألمانيا الشرقية أقوى دولة فى أوروبا الشرقية . . بالعلم والتخطيط . . بلد مقسمة . . وشعب واحد يفتخر بألمانيته . . ونجحوا . . أما عندنا فقالوا لنا سنفعل لكم كل شىء . . وهذا مستحيل . . ان الدولة ملزمة الآن بما لا يطاق . . ملزمة ان تعالج وتشفى وحتى تسلى . . بالتليفزيون وخلافه ! فهل هذا معقول ؟ !

● وأقطع تدفق الدكتور حسين مؤنس وأنا أقول . . ولكنك لابد يا سيدى أن تعطى لكل فترة عذرها التاريخى لأن لكل فترة ظروفها . . وأنت بانصاف المؤرخ لابد أنك واضع ذلك فى الاعتبار . . ؟

ويرد الدكتور الأديب المؤرخ . . لقد جربنا هذه الفترة على العموم . . وعشنا عصر الحاكم الذى يمسك كل شىء بيده . . وانتهى ذلك العصر بهزيمة ١٩٦٧ ـ ثم جاء عصر السادات . . واخذنا حرية الكلام . . وهذا عظيم . . حتى لو حدثت تجاوزات لا يجب ان نضيق بها . . فالبعض يتصور ان المعارضة هى ابراز السلبيات فقط . . ولكن لا أحد ينكر أننا نتمتع الآن بنصيب لا بأس به من الحرية . . ولكن . .

● ● ●

القطــاع العــام

● ولكن ماذا يادكتور ؟

— يجب على الحكومة أن تتخلص من الغلطة الكبرى المسماة بالقطاع العام . . فأنا لا أتصور وزيرا يستطيع وحده أن يدير قطاعا

كاملا . . إنه بشر من لحم ودم . . أين الوقت ليدير وزارته ويدير كل الهيئات والمصانع والشركات التابعة لها ؟ هذه خرافة نتيجتها أن القطاع العام أصبح لا هو قطاع قومى ولا قطاعا خاصا !

مسئولية كتابة التاريخ

● نسألك يادكتور عن ظاهرة اضطراب وتعدد واحيانا تناقض كتابة التاريخ الواحد . . ونرى مذكرات السياسيين التى تنشر الآن متناقضة حول نفس الأحداث . . ونفس الفترة . .

— وماذا فى هذا ؟ حرية الرأى مكفولة . .

● اذن هو رأى وليس تاريخيا .

— نعم . . فتاريخ العصر لابد ان يكون رأيا شخصيا . . وهذا يختلف عن كتابة تاريخ العصور القديمة المستقرة . . وهنا نلاحظ ملاحظة هامة وهى ان مصر هى البلد الوحيد فى المنطقة الذى به آراء . . وحرية . . وهذا عظيم . .

لقد غضب البعض من بعض الكتب التى صدرت تهاجم السادات . . الذى اعاد لنا سيناء . . أو ٧٥ ألف كيلومتر من أرضنا . . يخرج احدهم فيقول أن هذا ليس انجازا . . وأغضب منه . . ولكن أسعد أنه قال هذا . . فلا يربى الشعب مثل الحرية . . الحرية التى تحكمها القوانين العادية لا الاستثنائية . فنحن كلنا سعداء بالسادات . . ولكنه حينما وضع الناس فى السجون قلنا له لا . . فهذا قانون القوى . . وربماهو نفسه كان آسفا على ما فعل . .

● شبعنا جوعا !

هذه السجون شبعنا منها فى تاريخنا . . أحمد بن طولون كان لديه فى سجونه خمسة عشر الف مسجون تحت الارض . . ولكن فى نفس الوقت الحرية لها ضوابط يجب ان تنبع من داخلنا . . الحكومة

لن تضع شرطيا على كل مواطن . . يجب الا نفسد حرية الرأى التى نتمتع بها الآن . . ويجب أن نضرب القدوة فى حسن استخدام الحرية . . فلا ينجب عشرة اولاد بدعوى الحرية . . فالموارد قلت وعدد الناس تضاعف . . لا يجب أن أغفل الآخرين . . لا يجب أن اسىء استعمال الطريق . . ان عدد السيارات عندنا اقل من أى مدينة فى العالم . . وشوارعنا متسعة بما فيه الكفاية . . لكن المشكلة فى الفوضى . . فى أوروبا يعلمون الاولاد فى المدرسة كيف يعبرون الشارع . . وعلامات اشارات المرور . . من صغرهم يتعلمون احترام الطريق . . وعدم القاء ورقة فى الشارع . . كل هذا فى المدرسة .

ما الذى نحتاج لتعلمه ؟
إننا نتعلم ما لا نحتاجه . .
ولا نتعلم ما نحتاجه . .

● طيب ما هو الذى نتعلمه ونحن لسنا بحاجة اليه ؟

— كل أو ثلاثة أرباع المادة التى فى الكتب المدرسية . . بدليل انه لا يبقى منها شىء بعد انتهاء السنة الدراسية . . يجب أن نقصر تعليمنا على ما يجب أن يتعلمه فقط . . مثلا . . أقول له أن ارضنا هى هذا الجزء من العالم . . ولا أسرد عليه تفاصيل الحكام والعهود . . فكلها نسخ بالكربون . . وإنما يكفى ان اقول له يجب ان تحافظ على هذا الوطن من هذه الحدود الى تلك كما حافظ عليها آباؤك . . تحميه . . وتعمل . . وتنتج من اجله . . وتخرج منه أحسن ما فيه . . وتفهم اهمية موقعه . . وتستغله احسن استغلال . . وان هذا الاستغلال لن يتم الا بالتعاون مع جارك ومع الآخرين . . وانه لا يمكنك أن تصبح ثريا وحدك أبدا . . التربية ليس معناها ان اعلم الولد أن يفعل كل شىء . . وإنما ان اعلمه كيف يفكر وكيف يتصرف .

كيف نحب مصر

نحن نتكلم عن الحب ولكننا لا نعرفه . . لا نعرف الا حب فتاة ! لا . . الحب ان تحب فتاة . . وتحب نفسك . . وتحب شارعك . . وتحب وطنك . . وهذا هو المهم . . لأنك حين تحبه لن تسىء اليه . . نحن الآن نسىء الى مصر . . نحبها بجهل . .

أنا لو كنت شاباأعبر عن حبى لمصر بأن اجمع شبان شارعنا ونقوم بتنظيفه . . كنظام الكشافة العظيم فى الدول المتقدمة . . لا نظام معسكرات الصيف الفاشلة عندنا . .

أريد من شبابنا أن يحافظوا على ما ينتمون اليه : الشقة ثم البيت ثم الشارع . . كلها ملكنا . . وهذا ايضا يربى الضمير . . ثم يجب على المصرى أن يحب المصريين . . لأننا شعب عظيم . .

الطفل المصرى متوقد الذكاء حتى سن ١٠ سنوات . . ثم يبدأ فى الغباء . . لماذا ؟ لأننا نبدأ فى الغاء عقله . . ونظل نقول له اعمل كذا . . لا تعمل كذا . . فينطفىء . . ويجب ان نعلمه حب الجمال . .

نحن ننظر الى الشارع فنجده كله باللون الرمادى . . ! ليس لدينا احساس بالألوان . . حياتنا ليست ملونة . . وأنما ابيض واسود . . واحيانا اسود فقط . . !

يجب ان احافظ على راحة جارى . . ولا أزعجه وأقطع هدوءه . . يجب المحافظة على شجرة . . على زهرة . . وان نزرع الجمال حولنا . . فى البيت والشارع والمدرسة . . كما يجب تعلم قيمة القرش . . المال . . هذه الاشياء أهم عندى من كل الكتب المقررة الآن . .

أما ما يحدث الآن فإننا نعلم أولادنا أشياء وسلوكيات رهيبة . . تفتح التليفزيون تجد فيلما فيه عشرة اولاد يضربون بأصابعهم فى طبق واحد . . أو رجل يصفع زوجته . . لماذا نعلم أولادنا ذلك . . ؟ لقد تعلم جيلنا السلوكيات الرفيعة من الأب والأم . . الآن التليفزيون هو الذى يعلم . . فماذا يعلم أولادنا ؟ ! إنها صغائر . . ولكن الحياة لا تتكون إلا من هذه الصغائر . . الأوتوبيس يعيش فى العالم

عشر سنوات وعندنا سنتين فقط لماذا ؟ لأننا نخربه ولا نحبه . . هذا هو الحب على الطريقة الحقيقية . . لا على طريقتنا . . حتى حبنا لأولادنا خطأ . . رجل يقول لك اريد أن أنجب طفلا يخلد أسمى ! هل هو نابليون ليخلد اسمه ؟ ولماذا يخلد اسمه . . المفروض أن ينجب طفلا ليعيش حياته . . لا ليكون امتدادا لحياة ابيه . . اذن هذا الأب لا يحب ابنه وإنما يحب نفسه . . والمحبة ان تتركه يربى نفسه ويخطىء ويصلح خطأه .

● د . حسين مؤنس الواقع ان المعاني التي ذكرتها متضمنة في الأديان السماوية . . نحن شعب عريق التدين . . فكيف نفسر انصرافنا عن هذه السلوكيات ؟

— هناك انفصال بين الشكل والجوهر . . وبين التعليم والتربية عندنا في مصر بشكل واضح بسبب تدافع الأحداث الذى تحدثنا عنها . . الآن بدأ الهدوء بدلا من التدافع . . السلام اعطانا فرصة نادرة لالتقاط الأنفاس . . نستطيع الآن أن نتعلم كيف نعطي بلدنا ونأخذ منها الكثير . . البحار حولنا بها كنوز من الثروات تحتاج الى تنظيم واستغلال . . لابد من الاستفادة من عدم وجود خطر داهم على حدودنا كما كنا قبل استعادة سيناء . . ولابد من تعلم استخدام الحرية بما ينفع . .

* * *

الاســلام . . والمسلمون

ولذلك انا دائما اقول . . اذا اردت ان ترى الاسلام . . فانظر الى مسلم حقيقي . . فالدين لا يعيش الا بالناس . . أنظر الى المسلم وهو يصلى إما في البيت أو في المسجد . . فهل نحن نعنى بمساجدنا ؟ إننا نلوثها . . بل والبعض يسرقها ! يسرقون التيار الكهربى من المسجد ليمد كشكا أو محلا ثم يقف ليصلى ! والخطباء لا يمسون واقع الناس في خطبهم . . ولا يركزون على السلوكيات . . الصدق مثلا . . نرتكب مئات الأكاذيب اليومية للتهرب من مقابلة زائر أو الرد على التليفون وأولادنا

يتفرجون ويتعلمون منا . . ولذلك لا نصدق بعضنا البعض . .

الاسلام هو الدين البسيط الواضح الذى يضع الانسان أمام مسئولية نفسه ، ويشهد عليه الله عز وجل . . فيتحلى بالخلق القويم . . وهو خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم . . وهو البساطة المطلقة . . حتى أنه كان يغسل ثوبه مرتين فى اليوم ، ويكنس بيته بيده . . لا يشتهى طعاما معينا . . لا يضايق جاره . . لا يأكل الثوم والبصل حتى لا يؤذى الآخرين برائحتهما . . إن خادمه أنس بن مالك قال « والله ما رفع على يدا ولا صوتا »

لماذا لا نقلد الرسول الكريم فى ذلك . . فحينما تجد شوارعنا قذرة فتأكد أننا لا نعرف كيف نكون مسلمين حقيقيين . . وإنما نحن نأخذ مظهر الدين فقط . . ويكفى ما يحدث فى الموالد . . من دوشة وملاهى وطبل وزمر . .

نريد أن يكون مسجدنا مرآة لنا . . وشيخ المسجد قدوة لنا . . وخطبته جزءا من حياتنا . .

* * *

المشكلة هى التربية والتعليم النافع وثقافة الشباب

مشكلتنا عدم وجود التربية . . وعدم تعليم الناس العلم الذى ينفعهم . . كيف اعلم طالبا الكهرباء لمدة سنة أو سنتين ثم لا يعرف كيف يركب جرسا كهربيا أو لمبة نور ؟ !

الثقافة هى مجموعة المعلومات التى يمكن للانسان أن يعيش مستفيدا بها . . شبابنا ثقافتهم قليلة لأن تجاربهم قليلة وكتبهم يكتبها مؤلفون معلوماتهم قليلة . . نحن نعلم أولادنا تفصيلات فى التاريخ والجغرافيا مثلا . . لا يجب ان نعلمه الجغرافيا من كتاب . . وإنما من خريطة . . تعكس الواقع الذى يعيشه . . ونعلمه من التاريخ دروس التاريخ وجوهر الاسلام وأسباب انتصاره . . وأسباب انهياره بعد تحوله من خلافة الى ملك . . وكل ذلك فى عشر صفحات . . ثم انتقل به

الى الواقع المعاصر . . ألقنه أهمية العلم . . واحترام صناعة المال وتثميره . . بحيث لا يكون ثابتا على هيئة عقار مثلا . . وانما نجعله قوة متحركة ومحركة . .

* * *

طـالب اليـوم

طاالب اليوم مظلوم بسبب زحام التفصيلات التى نحشو بها رأسه . . يجب تغيير طريقة التعليم بالحشو كما غيرنا طريقة الرى إلى التنقيط . . يجب أن ننقط فى رأسه المعلومات الضرورية فقط . . ويجب التركيز على دراسة اللغات لأن مصادر العلم الآن أجنبية . . والتركيز على العبادات والصدق . . والتعاون . . وحب مصر . . يجب تعليمه ان فدان الزراعة أبرك من ألف عمارة . . لأن العمارة مال واقف . . أما الفدان فانه يزرع وينتج خيرا الى الابد . .

أما طالب اليوم فالعلم عنده وسيلة . . الطـالب لا يحب ما يدرسه . . وانما يدرسه ليحصل على الشهادة . . وهذا على حساب المستوى . . طالب اليوم يسد نفسى . . ! تسأله فى أبسط المعلومات فلا يعرفها . . عندى طلبة دراسات عليا فى التاريخ الاسلامى . . لا يعرفون أين الفسطاط . . أو الكوفة . . طالبة اسألها عن ثورة يوليو متى وقعت تقول سنة ١٩٥٦ . . وآخر لا يعرف هل تقع ليبيا شرق مصر أم غربها ! ولذلك يجب الاهتمام بدوائر المعارف والقواميس والأطالس . . أنها فى أوروبا موجودة فى كل بيت ويرجع إليها رب الأسرة حينما يحدث أى خلاف علمى بينه وبين أولاده . . وهو يشتريها بالتقسيط كما يشترى ضروريات البيت . . ولا شىء يعطى عائدا أكثر من الكتاب . . لابد من تمرين الذهن كما نمرن العضل . . ولهذه الاسباب انخفض مستوى الخريجين فى كل المجالات . . ونرى العمارة تقع . . والمرضى يموتون !

كتاب اليوم • عدد أول سبتمبر

حكايات صحفية

لشيخ الصحفيين :

حافظ محمود

من محتويات الكتاب :

- كدت أكون عاملا ، وكدت أكون وزيرا ، وكدت أكون رأسماليا !
- المعارك الصحفية الكبرى
- أوائل النقابات المهنية
- سعد زغلول فى الميزان
- الهوانم فى ثورة ١٩١٩
- قصة الوحدة الوطنية
- غراميات الملك فاروق
- المعارك الزجلية
- قصة المصروفات السرية
- سعد وميرابو
- مؤتمرات شعبية قديمة
- حياة صفية زغلول
- قصص الطلاق الملكى
- جمعية عمومية ضد الارادة الملكية !
- التصيف الملكى الذى ألغته الصحافة
- يوم الانتقام الالهى

• ترقب صدوره

كتاب اليوم الطبى

عدد ١٥ أغسطس

الجديد فى علاج وتشخيص :

العقم ..

للرجال والنساء

دكتور

محمود طلعت

أستاذ أمراض النساء والتوليد ـ طب القاهرة

- أسباب العقم عند الرجال والمرأة
- كيفية الوقاية من العقم .. !
- الطرق المستحدثة فى التشخيص والعلاج

كتاب هام لكل شاب وشابة تتأهب للزواج

ترقب صدوره

هذا الكتاب

عزيزى القارىء ..

لاشك أننا جميعا نقدر للكلمة المسموعة مدى رواجها الاعلامى .. ولكن .. للكلمة المطبوعة ميزتها ، فهى فى متناول يدى القارىء فى الوقت الذى يناسبه ، ومحفوظة لديه للرجوع اليهاحينما يشاء .

وقد دعانا هذا للتفكير فى التيسير على شبابنا وقرائنا ، ممن تشغلهم أمور العصر ، عن متابعة الاذاعة . لنقدم لهم فى تركيز أهم ما شهد به بعض قمم العصر . على صفحات « كتاب اليوم » - تمشيا مع أهدافنا .

« كتاب اليوم »

927
361
Bibliotheca Alexandrina
0686979

٥٠ قرشا